

قصة الزير سالم

أبوليلة المهمل لكبير



قصة الزبير الكبير

وفيه ما كان من كليب وحسان اليماني
وجساس بن مرة وما وقع بينهم
من الحروب والاموال

تطلب من

مكتبة الجمهورية المصرية

لها جميعها جند الفناء جند الحيد مراد
بنار الصارفة بجوار الزبير

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد حمد الله . والصلاة والسلام على رسله وأنبيائه وبممد فهذه سيرة الأسد
الكرار والبطل المغوار الذي شاع ذكره في الأقطار وأذل بسيفه كل صنيدي وجبار
المهلل بن ربيعة صاحب الاشعار البديعة والوقائع الموهلة المريعة وما جرى له في ذلك الأيام
مع ملوك التبايعه وفرسان الصدام من الحوادث والوقائع التي تطرب القارىء وتلد
السامع ولكن قبل الشروع في هذه السيرة العجيبة وأخبارها المطربة الغريبة رأينا أن نذكر
طرفا من أخبار العرب أهل الفضل والأدب إفادة للطالبن ونزهة للسامعين فنقول والله المستعان
أن أصل العرب من قديم الزمان وسالف العصر والأوان من ولد نزار بن معد بن عدنان
وكان قد ولد ل نزار المذكور أربعة أولاد من الذكور كل منهم بالفضل والبأس مشهور وهم مضر
إنما دوا با وريعة فارس الطراد ومنهم تشبعت قبائل الأعراب وملأت البراري والخصاب
فن نسل أبادى ملوك التبايعه الذين أخبارهم بين الناس شائعة ومن نسل ربيعة ومضر وانمار
عرب الحجاز ونجد العراق وسكان القفار وكانت العرب في ذلك الزمان منقسمة الى جزئين
فيس ويمن فسكان اليمن في اليمنيين وباقي العرب هم لقيسبون مازالت العرب تنموا وتكثر
وتتمدد في البر الاقصر حتى اشتهرت العشائر والقبائل وظهر الأمير ربيعة وأخوه مرة أبناء
وريعة المذكور وهو أبو الزير الفارس المشهور صاحب هذه السيرة ووقائعها الشهيرة
(قال الراوى) كان ربيعة في ذلك الزمان من جملة ملوك العربان وأخوه مرة من الأمراء
والأعيان وكانت منازلهما في تلك الأيام في أطراف بلاد الشام وكانا يحكان على قبيلتين
من العرب وهما بكر وتغلب وولد لريبعة خمسة أولاد مثل الأقار وهم كليب الأسد الكرار
وسالم البطل الشهير الملقب بالزير وعدى ودريعان وغيرهم من الشجعان وكان له بنت جميلة
الطبع شديدة الباع تشارك الأسود والسباع اسمها اسمى وتلقب بضباع وأما الأميرة مرة
فكان له عدة أولاد أبطال أجداد قد اشتهروا بالشجاعة وقوة البأس منهم همام وسليمان
وجساس وله بنت جميلة فاضلة يقال لها الجليلة فاتفق في بعض الأيام أن الأميرة مرة دخل
على أخيه ربيعة في الخيام وخطب ابنته ضباع لابنه همام وخاطبه بهذا الشعر والنظام

يقول أمير مرة في قصيد معانيه حكى درر الجواهر
ربعة يا أخى اسمع كلامى أيا قهار فرسان الجبار
أريد ضباع بلك ياربيعة الى همام يا فخر القبائل
وتكبر يا مالك بنتى الجليلة فخذها له وروح لا تشاور
هذا يا أخى قصدى ومرادى أيا صدم أساد كواسر

تبدي له ربيعة ثم قل
تريد ضباغ خذها باسمي
كلامك يا أخى مثل العنابر
وزوجها لابنك لا تشاور
ومعها مئة حر كالعراس
ومئة قود مع ميتين قاطر
ومعها الحل الفاخرة واعاس
زياد مسك فايج دوم عاطر
فقم لنقض وزوجها بسرعة
وافرح واعمل عرس فاخر

فلما فرغ ربيعة من كلامه وشعره ونظاها أعنقه أخوه وشكره على حسن اهتمامه ثم بشر
القوم بأمر العرس وعقدوا عقد الأمير همام على ضباغ بنت الكرام كما جرت عادة
الملوك العظام فاولموا الولائم وذبحوا الذبائح واطعموا كل آت ورائح وما زالوا في سرور
وأفراح وبسطوا الشراخ ودق طبول وشرب مدام مدة عشر أيام ثم زفوا ضباغ على الأمير
همام فكانت ليلة عظيمة لم يسمع بمثلا في الأيام القديمة حضرها كثير من سادات العرب
وأهل المناصب والرتب ودخل همام على ضباغ وحظى بحسنها وجمالها ونالت منه غابة أملها لأنها
كانت تحبه محبة شديدة وتوده مودة أكيدة وسوف يظهر لها ولدان وهما لمحيبون وشبان وسيأتي
حديثهما بعد الآن هذا ما كان من خبر بنى قيس المدعويين بالقيسية ولنتكلم عن حديث اليمينة
وما جرى لهم من الأمور والأحكام والحرب والأهوال في ميادين القتال فنقول :

انه كان في قديم الزمان في بلاد اليمن ملك عظيم الشأن صاحب جند وأعوان وأبطال وفرسان
يقال له الملك حسان ويكنى بالتبع اليامي ولم يكن له بين الملوك ثاني هو أول اليمنية كما كان ربيعة
أول القيسية وكان شديدا لبأس قوى المراس طويل القامة عريض الهامة لا يعرف الحلال من
الحرام ولا يحفظ العهد والزمان وكان يحب النساء والمزاح معهم في المساء والصباح من أعماله
الغريبة وأعطاه العجيبه كما ذكر أصحاب الروايات انه كان في ليلة يتزوج بصبية من بنات
الملوك والسادات وكانت الملوك تخافه وتخشاه وتحسب حسابا به وترضاه وتحمل له الخراج وتعمل
له الخاطر وكان عنده من الابطال والفرسان الف عنان وهم عشر كرات مستعدين للحرب
والعراك وكان يشرب المدام بالليل والنهار ولا يبالي بأهوال ولا خطه وكان له وزير عاقل
خبير قوى اسمه نهبان وقد امتاز على الأقوام بفعل الخير وكان له كثيرا ما ينهى الملك
حسان عن ارتكاب الظلم والعدوان فانفق في بعض الأيام أن الملك تبع وزيره نهبان وقال له
في الديوان بحضور الأمراء والأعيان هل سمعت أيها الوزير العاقل الخبير عن مالك كبير عنده
رجال كرجالي وأموال كعدد أموال قبيل الوزير الأرض ووقف في مقام العرش وقال اعطني
الامان يا ملك الزمان وأنا أحدثك بأخبار ملوك الأمم وأصحاب البطش والهمم بما عندهم من

الجبوش والعساكر والمهمات والذخائر فقال قل وعليك الأمان من نوائب الزمان اعلم أيها الملك
المعظم أنه لا يوجد مثلك في هذه الأقطار من الملوك الكبار أصحاب المدن والأحصار ولكن
يوجد خارج البحار عرب أهل الشجاعة والأنداد عددهم كثير وجيشهم غفير يقال لهم
بنوا قيس وسيدهم اسمه الأمير ربيعة ولهم في الحروب والغارات وقائع مهولة مريعة وهم
من أولاد مضر الأسد الغضنفر قد امتلكوا أكثر جهات الأرض في الطول والعرض هم
أعظم منا وأكثر وأشد بأسا فلما انتهى الوزير من هذا الكلام وسمعه من حضر في ذلك
المقام اغتاظ الملك وتأثر وكان عليه أشد من ضرب السيف ألا بتر فصاح على الوزير وزعق وقال
بكلام الخنق هكذا يا نيس تفضل على في قيس وما دام الأمر كذلك لا بد أن أقصدهم بغرسان
المعارك وأقتل ملكهم ربيعة وأوردتهم موارد الممالك وأخرب بلادهم وديارهم وأحوا
بالسيف آثامهم وأمتلك تلك الديار بالقوة والافتدار ثم أئشده هذه الآيات على مسامع
الأمراء والسادات

يقول التبعى اليمنى المسمى	بحسان فما للفول زورا
ملكك الأرض غصبا وإقتدارا	وصرت على ملوك الأرض سورا
وطائفي الملوك والقبائل	وفرسان المعاصع والفورا
لقد أخبرت عن بطل عنيد	شديد البأس جبار جسورا
وقالوا انه يدعى ربيعة	أمير قد جرى مدنا ودورا
تولى الأرض في طول وعرض	فكم أخرب وكم شيد قصورا
فقصدي اليوم أغزوه بجيشي	واترك أرضه قفرا وبورا
أيا نبهان اجمع لي العساكر	فيأوا فوق خيل كالغورا
وجهاز ألف مركب ياوزيرى	وأوسقهم في وسط البحورا
ثلاث شهور أسرع لا طول	يكون جميع ماقلته حضورا
أسير بهم الى تلك الأراضى	وأملك للفلاح والفصورا
ويبقى الحكم برا وبحرا	ويصفي خاطرى بعد الكدورا

(قال الراوى) فلما انتهى التبغ من شعره فهم الوزير فحوى حديثه وكلامه ندم وتكدر الذي
أعله بهذا الخبر ولم يعد يمكنه الاستقالة رتجهز الفرسان والأبطال الى الحرب والقتال فنزل
الى الديوان وهو مقبور غضبان وأمر دق طبل النحاس لاجتماع العساكر وباقي الناس وكان
هذا الطبل يقال له الرجوع وهو من أعظم الطبول وكانت تدقه عشرة من العبيد وهو من صنعة

الملوك العظام كان انك حسان إذا غزا قبيلة من العربان ياخذ ذلك الطبل معه وابتاعه ولم يزل هذا الطبل في ذلك الزمان يتصل إلى كل ملك حتى انصل إلى الأمير حسن سيد بني هلال المشهور بالاحسان والافضل فلما دقت العبيد الطبل وسمعت صوته قواد انمرسان اقبلت على الوزير من كل جهة فسلوا عليه وتمثلوا بين يديه وسألوه عن سبب دق الطبل فحدثهم بذلك الامر والمسير إلى تلك البلاد لانزوا والجهاد ففرق عليهم السلاح رأيات الحرب ولم تكن إلى مدة قصيرة حتى تجهزت المراكب وتجمعت العساكر من كل جانب وكان من جملتهم عشرة ملوك كبار كل ملك يحكم على مائة الف بطل مغوار فحضروا أمام الملك تبع حسان فسلوا عليه وقبلوا لأرض بين يديه وقالوا له هاتن بين يديك ولا نبخل بأرواحنا عليك نشكرهم وخلع عليهم الخلع الفاخرة ووعدهم بالمال الجليل وبكل خير جميل ثم أمر الوزير بالاستعداد والرحيل على عرب بني قيس وتلك البلاد وطلب منه أن يأتي بالعساكر من تحت القصر وهي نازلة إلى الحرب ليشاهد أحوالها ويرى سلاحها فامتلأ الوزير لما أمر وفعل كما ذكر فانشرح صدر الملك عند رؤية العساكر بالسلاح الكامل والاستعداد للحرب والقتال فانشد يقول

يقول التبع الملك اليماني	صفا عيشي وقد طاب فؤادي
فغنى عساكر كلاسد تجرى	ألف راكبين على جياد
عليهم كل درع من حديد	له زرد كما عين الجراد
وفيهم كل جبار عنيد	يقابل ألف ليث في الطراد
برؤيتهم فقد زاد انشراحي	وزال الهم عني بابتعادي
أسير بهم لذاك البر حالا	وأقتل كل من يطلب عنادي
وارجع غانما في طيب عيش	ولا يبقى لتبسع من يعادي
ومنى أبشروا فيما تدابروا	ومهما تطابره بازديادي

فلما فرغ الملك من شمره صرخت الامراء والاكابر وقياد الجيوش والعساكر ودعوا للملك بالنصر وطول العمرة واستبشروا في غزو تلك البلاد وأيقنوا بالنجاح وبلوغ المراد ثم نزلت العساكر في المراكب مع الامراء والقواد وكان الملك حسان قبل خروجه من الاوطان وقصد ابلان الحبش والسودان وعند وصولهم إلى ذلك الجانب القوا المراسي ونزلوا إلى البر نصبوا الخيام وفي الحال أرسل الملك نبع وزير اسمه زيد بن عقبه بألف فارس منتخبة ليعلم ابن أخته الرعيتي بقدومه إلى تلك الأقطار لأنه كان ملك هاتيك الديار وبأمره بسرعة الحضور وتقديم الذخيرة إلى الجيش فلما علم الرعيتي بذلك الخبر بادى في الحال وسار

بالفرسان والابطال والمهمات إلى أن التقى فدخل وسلم عليه وقبله بين عيليه وقدم له
الذخائر والمهمات وسأله عن سبب قدره إلى تلك الجهات فاعلنا بواقعة الحال وأنه قصد
غزو بني قيس وفي الصباح أمر الملك العشرة ملوك العظام أن يتأهبوا للرحيل إلى بلاد
الشام وأن ينقسموا قسمين ويتفرقوا فرقتين فخمسة منهم تسير عن اليمن وخمسة
عن الشمال وأوصاهم أنهم كلما أقبلوا إلى مدينة يملكونها في الحال وبقيموا فيها نائبا من
سادات الرجال فاجابوا أمره فمئذ ذلك دقت الطبول وركبت لفرسان وترتبت الكتائب
وسارت المواكب في تلك البراري والسياسب وكانوا كلما وصلوا إلى مدينة أو بلد امتلكوها
بحد السيف حتى ملكوا أكثر البلاد وأطاعتهم العباد وما زال تبع يتقدم إلى الأمام
حتى أقبل إلى مدينة الشام فاحاط بها إلى جميع الجوانب بالمواكب والكتائب وكان
نائبا الملك ربيعة في دمشق الشام يدعى زيد بن غلام وكان ربيعة وأخوه في وادي الانعمين
وهو مكان بعيد عن المدينة مسافة يومين فارسل الملك تبع إلى نائب الامير ربيعة أحد الوزراء
يطلب منه الخضوع لأمره وتسليم البلد فلما وصل اليه ردخل عليه أعليه بالخبر فاجاب بالسمع
والطاعة وأجاب مسرعا في تلك الساعة وأخذ معه الآه والذخائر وخرج في جماعه من
الأكابر حتى التقى بتبع في الخيام فحياه بالسلام فترحب به تبع غاية الترحيب وأمر له مجلس
بمكان قريب منه فقال هل أنت ملك الشام قال نعم أيها الملك الهام فسأله عن حكم ربيعة
قال له ظالم على قومه وكل الرعايا ياتشكوا من ظله وتمنى له الأذى والموت والحد لله رب
البرية الذي ابعدا عنه حتى تخلص من غير العبودية فتبسم تبع من هذا الكلام وقال ابشر
ببلوغ المرام فانك ستكون نائبا في بلاد الشام وتجمل لي الخراج في كل عام فقال سمعا وطاعة
ياملك الزمان وجوهرة هذا الاوان ثم أعرض عليه الزخائر وما جاء بنفس الجواهر
فانشرح قلب تبع وجلع عليه الخلع وقال له اذهب الآن مع جوهرة أهل المدينة وباشر
في امر الضيافة والزينة فاننا سنحضر إلى سندك بعد ثلاثة أيام ونتفرج على الشام ثم رجع
إلى المضارب والخيام فقال أهلا وسهلا ثم ودع الملك وسار بمن معه من الأكابر والتجار
وأخذ يسعى في أمر الولاية وقد خامرت معه أرض الشام خوفا من السبي والمزينة هذا
ما جرى لهؤلاء الاخيار وأما ما كان من ربيعة وبني قيس الاخيار فانهم لما سمعوا بقدم
الملك تبع إلى تلك الديار وافتتح المدن والامصار وأخذهم القلق وكان قد بلغ ربيعة
وزيد إلى تبع وكيف أنه نسب إلى الظلم والعدوان مع انه كان من أعدل ملوك الزمان
أخذوه الغضب والقلق وزاد به الحق فجمع أكابر قومه وأخيه مرة ومن يعتمد عليهم

من أهل الشجاعة السادات وجعل يخاطبهم بهذه الآيات

غنا ربيعة شهر من ضيائه	دمع العيون على الوجنات طوفان
يا قومنا اسمعوا واستمثلوا قولي	أتم بنوا قيس أبطال وشجعان
كنا بخير وكان السعد يخدمنا	نقري الضيوف ونكسي كل عريان
والروح والحز والسمور يأتى لنا	من سائر الأرض والملبوس ألوان
جانا من البحر ذا التبع يحاربنا	صعب المراس شديد البطش سلطان
معه رجال عرايس ألف بطل	من كل درغام قلبه مثل صوان
حاز البلاد وما أمير خالفه	الكل طاعته القاضي مع الدان
أتى إلينا وما حسب حساب لنا	منا ومن غيرنا ليس هو فزعان
معه عسكر كثير ماله عدد	أبطال حرب وفرسان وشجعان
أنا بقيت كبير السن يا عري	مالي جلد في اللقا في وسط ميدان
مرة أخى بهذا الرأي ساعدنى	همام يابى، أخى ما كنت كسلان
كيف العمل نهمز أو أن نقابله	شوروا الصواب اخواني وخلاى

فلما فرغ ربيعة من شعره قالت السادات والفرسان عن فرد لسان أن هذا الأمر لا يطاق وعلقم
مر المذاق وليس غير الهزيمة فبى أوفر غنيمة والاحكام سيفه فينار لاشا نعن بكرة أينار بعد
مداولة وجلسة مستطيلة استقر رأى الجمهور على أن يذهبوا إلى عند تبع المذكور فيسلبوا عليه
ويقبلوا يديه ويطلبون لأنفسهم الأمان ويقدموا له التحف الحسان لعلمهم يتخلصون بهذه الوسيلة
من تلك الورطة البيلة هذا ما كان من أمر بنى قيس وأما الملك تبع فانه في ذلك اليوم الثالث ركب
في وجه قومه وتوجه إلى مدينة الشام لاجل الزيارة وكما تقدم قلنا بلغ الغاية ووصل إلى السراية
التقاء زيد بالتعظيم والاكرام وأجلسه في أعز مقام ووضع له وليمة عظيمة ذات قدر وقيمة
فأحسن إليه وخلع عليه وفرق التحف الثمينة على أكابر أهل المدينة ثم رتب عليهم الخراج
كل عام وبمد ذلك رجع إلى المضارب والخيام وهو مسرور الفؤاد على المرام وأما بنو قيس فانهم
جمعوا التحف الحسان والأموال التي يكل عنها وصف المال من عقود وجواهر ومهبات وذخائر
وقماش فاخرو حملوها على مائة جمل وركب ربيعة مع أخيه مرة وسار معهم جماعة الأمراء والقواد
الذين عليهم الاعتماد وجدوا في قطع البرارى والقفار حتى وصلوا إلى تلك الديار وعند
وصولهم المضارب نزلوا عن ظهر النجائب واجتمعوا بخنداد الملك تبع وكان اسمه ثعلبة
الاشبع فقدّموا له تلك التحف الحسان ليقدّمها إلى الملك تبع حسان ويعلمه بقدمهم إلى الديار

فقدموا لخدمته واعلم الملك بمجيء القوم في ذلك اليوم وأن مراده الدخول عليه ليتشرفوا
بتقبيل يديه ويصلوا أمامه ويكونوا في جملة خدامه وأعوانه فتبسم البتة ولففت إلى وزيره
نهبان وقال له إن ملوك قيس العظام الذين كنت قلت لي عنهم ما هو كذا وكذا من الكلام وأنى
لا أصلح أن أكون لهم من جملة الخدام وهم قد حضروا الآن إلى تقبيل أقدامى ليكونوا من جملة
أعوانى وخدامى فمال الوزير وقال لك الله من كل شر وضيع وجعل عاقبة هذا الأمر إلى خير فبينما هم
في الحديث إذ دخل على الملك أمراء بني قيس الكرام فقبلوا الأرض بين يديه ووقعوا على رجليه
فاخذ تبع ينظر إليهم ويتأمل فيهم فحانت إليه التفاته فظفر الأمير ربيعة ووقف في باب الصيوان
وهو مثل الأسد الغضبان وكل الأمير ربيعة لم يدخل مع قومه على حسان لأن نفسه كانت
لا تطاوعه على الذل والهوان فالتفت الملك تبع إلى ترجمان وقال له من يكون هذا إلا أن فاني
أراه معجب بنفسه غاية الإعجاب ولا حاسب لي أى حساب فسئل الترجمان عنه فقالوا هذا الأسد
الغشمشم سيد بني قيس الأمير ربيعة المعظم فلما سمع تبع هذا الخبر شخر ونخرو وتبدل صفو عيشه
بالكدرا حمرت عيناه ثم ناداه فحضروا وقد تعجب من معظم هيئته وياص لحيته فسار ربيعة عليه
ووقف بين يديه فقال تبع أنت سيد بني قيس الكرام فقال نعم أيها الملك الهام قال ولماذا أسأت
الأدب واحتقرتني دون راقى أمراء العرب الذين تمشوا أمامى وقبلوا أيدي وأقدامى فتقدم
الآن وقبل رجلى بامهار ولا فلتك بمجد الحسام وجملة مثالبين إلا أنام فقال ربيعة وقد استعظم
ذلك الأمر واحمرت عيناه من الغبط حتى صار مثل الجر لأنه كان من أشرف العرب حسبا
وأعلام نسبا ثم قال أعلم يا ملك الزمان باننى من ملوك العربان صاحب قدر وشان وما ذليت
إلى انسان وهذه هى البلاد بلادى وملك أبائى وأجدادى وأنا تعديت عليك ولا أوصلت
أذيتك إليك بل أنت شليت علينا العارة وأمتلكت بلادنا وألحقت بنا الخسارة وذلك بدون سبب
من الأسباب فكفى الذى فعلته أيها الملك المهاب وقد بلغت منا مقصدك فلا أنت نقبل يدى ولا أنا
أقبل يدك فلما سمع تبع منه هذا المقال خرج من دائرة الابتدال وقال يا ندل بنى قيس من هو
أدل من التيس أنى ما أتيت من بلادى فى هذا الجمع المتزايد إلا حتى أجعل زمام الدنيا فى قبضة
ملك واحد ثم أنه بعد هذا الكلام صاح على الأعوان وأخدام بصوت كالرعد فى الغمام يا ويلكم
أفبضوا على هذا الشيخ الكبير ومن معه من بنى قيس الطنجاير وقيدوهم فى الجنازير فامتلوا
أمره فى الحال وقيدوا ربيعة وباقي الرجال وبعد أن قيدوه وتوثقوه أمر الملك شقيقه فشتقوه
وهكذا انتهت حياة وانصت أيامه وساعاته وبقي معلقا ثلاثة أيام حتى جاء نائبه الأمير زيدولى
الشام فغسسه وكفنه ثم وراه التراب ودفنه ثم جاؤا بأبى الرجال وأرادوا أن يفعلوا مثل تلك الفعال

فانهزم الامير مره من بين أيدي الفرسان وقال لا مازيا ملك الزمان نحن الآن عبادك وطوع
يديك وجبجع أوردنا راجعة اليك فقد صرت لنا ملك ثم أن بعد هذا الحديث أشار
بخطابه بهذه الأبيات

أيا ملك الورى فى العالمينا	ألا يا أمير تبع يا مسمى
أجريا لا تشنى الصد فينا	أنا فى خيرتك يا خير قومك
واسقيت العدا الحدينا	قتلت أخى ربيعة يا مكنى
تهد وجاقتا طول السنيننا	وتقتلنى أنا يا أمير بعده
على كل القبائل حاكمينا	ونحن يا ملك حكام مثلك
ولا هذا فعل فى الماجديننا	فليس بواجب تهم ييوتى
ونحن اليوم بحكمك رضىنا	وقد حاربنا وحكت فينا
على طول الليالى والسنيننا	وبعد اليوم صرنا رعايا
فاحكم ما تريد اليوم فينا	وندفع كل عام عشر الممل كلة

(قال الرازى) فلما سمع تسع شعره ونظامه وعرف قصده ومرامه عفى عنه وأعطاه
الامان وكذلك صفح عن باقى الامراء والاعيان وجعلهم من الرعايا والخدام مدفون له
الخراج فى كل عام وقال مرة عم يا سيد القوم انى قد سمعت ان اتخذ مدينة الشام كرسى مملكتى بعد
هذا اليوم فسر أنت واملك من هذه الديار وتعرفوا فى سائر الاقطار ركونوا لأوامرى طائعين
ولحكى خاضعين وسامعين ثم أنه قسمهم إلى عدة فرق لكل فرقة ملك من سادات بنو قيس الاعيان
فحمل الامير مرة على الفرقة الاولى وأمره يسكن مع قومه فى نواحي حى بيروت وملبك
والبناع وجعل الامير عسر على الفرقة الثانية وأمره أن يقيم فى بلاد السمر وعباد وأقام الامير
عدنان على الفرقة الثالثة وأمره أن يقيم فى بلاد العراق وتلك المنازل والاقاق وكان الملك تبع
قد شئت بنو قيس بهذه الوسيلة خوفا من أن يقع منهم فى حقه مكيدة أو حيلة ثم أنه
التفت إلى الامير مرة وباقى السادات وأشار اليهم بهذه الايات

يقول التبعى المدعو اليماني	ايا مرة لكم منى الاماني
الا يا قيس روحوا لا تخافوا	فقد سدتى على أهل الزمان
وبيعه أنت يا مرة بداله	كبير القوم من قاض ودان
واولاده فهم موضع أبوم	أنت كبيرهم فيهم تعانى
ولكن جلت لا تسكنوها	وكونوا فى أمان مدى الزمان

فلما فرغ تبع من كلامه وشعره أجابت بنو قيس امره بالامثال وتفرقت جموعهم فى
الفرادى والتلولوم يبكون على ما جرى عليهم وما وصل الاذى اليهم لانهم كانوا فى هناك

وعز وجاه وكدتهم بين الناس مسموعة ورايتهم فوق عام المجد مرفوعة لا يعرفون السكدر ولا يأخذهم قلق ولا ضجر إلى أن أصبهم البلية وحلت بهم تلك الرزية فبكوا على تفرق بعضهم البعض وتشتتهم في أقطار الارض ومن غريب الاتفاق المستحق التسطير في الاوراق وما جرى للاربعة الذي اشتهر امر بني قيس بالحمية والبخوة وانه لزوج الامير ربعة المذكورة والدة كليب والوزير العارس المشهور وأربعة أخوة الذكور وهم جوشن وناجد وجودرو الامير منجد الاسد الغضنفر وكانوا من أجواد الناس قد اتصفوا بالشجاعة وقوة البأس فلما رأوا أفعال تبع الشنيعة وكيف أنه قتل صهرهم ربعة ساءهم ذلك الامر وتوقد قلبهم من الغيظ ولكنهم أخفوا السكدر واظهروا الصبر لحملوا عيالهم وساقوا غنمهم وجمالهم وجدوا في قطع البرارى والاكام حتى وصلوا إلى بلاد الشام فزلوا بقرب صيوان تبع حسان فقال تبع من تكونوا فقال ناجد اعلم أيها السيد الماجد إننا من خيار العرب اصحاب الحسب والنسب وكان الامير ربعة متزوجا باختنا جميلة وكنا في زمانه في نعمة جزيلة لا قد أمسينا في ذل وهوان وقد قصدناك وأتينا اليك وجعلنا أعتما نابعدا لله عليك املك ترحمنا وترقي لحالنا وتبلغنا غاية املنا وتجعلنا لك من جملة الاعوان والامبيد والغلمان فتستقيم امورنا بعد الذل والسكدر ونحظى بالشرف الرفيع فاعجبه كلامهم وجعلهم من جملة وزرائه وكان يستشيرهم أكثر الاوقات ويفضلهم على الرؤساء والسادات وكانوا يترقبون الفرس ليأخذوا بالثار ويذلواعن قلوبهم الغصص ولما بلغ تبع الغاية دخل إلى مدينة الشام ونزل بالسراية فطاعته العباد وخضعت له جميع البلاد وشاع ذكره في الاقطار وتحدث به الملوك الكبار واستمر على هذه الحال مدة ثلاثين سنة وهو في عز وسلطنة وتها به ملوك القياصر وتخدمه بكافة الجبابرة وكان قد بنى له قصر مرتفع البنيان مشيد الاركان وجعل أبوابه من الفضة والذهب وحيطانه من الجواهر والدر المنتخب ما مثله ملك ولا سلطان فكان من عجائب الزمان واتقنه غاية الاتقان وذلك لما فيه من التحف الحسان التي تدهش النواظر وتحير العقول والبصائر فاتفق ذات يوم بينما هو جالس في الديوان ومن حوله الاكابر والاعيان وقواد الجيوش والفرسان وهم يتحدثون بذكر نساء العرب اللواتي اشتهرن بالفعل والادب والحسن والجمال واللفظ والكمال إذا قال بعض الوزراء انه لا يوجد في هذا الزمان بين بنات العرب ان في المحاسن اجمل من الجليلة ابنة مرة أخرى ربعة وأخذ الوزير يطيب أوصافها وأدائها والطائفا ثم قال في آخر الكلام أن هذه العبيبة التي كانها البدر التمام مخطوبة لابن عمها الامير كليب ومراده أن يتزوج بها في هذه الايام فنهينا لمن كانت زوجته فلما سمع تبع بذكرها وانها من بنات عصرها اشتد غرامه بها وكتب إلى أبيها مره كتابا في الحال يا مره ان يرسل له الجليلة ابنته بدون امهال لأن مراده ان يتزوج بها ويكون صهره وبهذه الوسيلة يعطوا بين الناس قدره ثم ختم الكتاب بهذا

الشعر والنظام وبه يتهدد الانتقام أن لم يمتثل الى هذا الكلام وأشار يقول

يقول اتبعني المالك النجاشي	ملكك الأرض والسبع الباري
بحال وصولي مكتوب اليه	فاعلمه بحال وانتظاري
أيا مره فارسل الى الجلييلة	بلا اجمال من بين البراري
وركبها على جبل عدل	بهودج فيه تقطع البراري
أريد تكون باكر على وسط قصرى	ويتسلطن على كل الجوارى
واحضر ياملك مرة لعندى	واخضع لى بذل وانكسارى
وأدخل على الجلييلة وسط قصرى	واتمتع بها واطفي لنارى
وان كانت كما وصفوا وقالوا	سأقضى الليل معها مع نهارى
وان لم تتمثل قولى وأمرى	ترانى جئتكم مثل الضوارى
وأفنى جميعكم فى حد سيني	وانهب مالكم وأنال ثارى

ثم أمر تبع وزيره نهبان أن يركب مع جماعة من الفرسان ويقصد تلك القبيلة ويسلم الكتاب الى مرة ويأتيه بالجلييلة فامتثل أمره وسار حتى وصل الى تلك الديار فرأى القوم فى سرور وأفراح وانشرح لانهم كانوا مهتمين فى تلك الايام فى زواج كليب بالجلييلة بدر التمام فلما سمع مرة بقدوم وزير تبع خفق قلبه من شدة الخوف والفرح فنهض فى الحال واستقبله أحسن استقبال ثم أتى به الى الخيام واحترمه غاية الاحترام وأمر الخدم أن يأتوا بسفرة الطعام وآنية المدام فامتثلوا ما أمر وفعلوا كما ذكر وبعد أن أكلوا وشربوا وطربوا قال الامير مرة الى الوزير اعلم أيها السيد لقد زاد سرورنا الآن وتزيت بقدمك الاوطان ثم سأله عن سبب زيارته وماهى غاية حضرته فقال قد أتيتك بكتاب من عند تبع ملك الاعراب وبه يطلب بنتك الجلييلة امرأة له وأنت تعلم بطش هذا الجبار وقد قال المثل لاتعاندمن قال فعل وأنا والله فى غاية الحياء والخبجل وليس لى إرادته بهذا العمل ولكننى أتيتكم فى زى وسولا لاعلمك بالخبر اليقين وليس على الرسول الا البلاغ الممين ثم أخرج الكتاب وسلمه اياه ففتحه الامير مرة وقرأه ولما وقف على حقيقة فحواه تقطعت امعاء وضل عقله وتاه لانه ان أتى وامتنع يقتله الملك تبع وان أجاهه الى ما طلب يصير معيرة بين قبائل العرب وتشتمه الناس وتزدريه حيث كان قد انعم بزواج ابنته الى كليب ن أخيه فاندهل وحار وأخذ العلق والافتكار واشتعل قلبه بلهب النار فاطرق رأسه الى الارض واخذ يتأمل فى عاقبة هذا العمل فلم يجد سوى الخضوع والامتثال لاوامر تبع فى الحال خوفا من العواقب فالتفت الى الوزير نهبان وقال له امام الامراء والاعيان ومن حضر فى ذلك المكان لقد أجببت الملك الى ما طلب وبلغته من ابنتى غاية الادب لان ليس لنا بعد الله سوى امتثال أمره ورضاه

لانه الملك الاكبر وبمصاصه رته نحظى على الشرف الرفيع والحظ الاوفر بعد ثلاثة ايام
يكمل جهازها بالتمام فنفضه بالصناديق ونحمله على ظهور الجمال مع باقى الامتعة والاحمال
وتركب فاذشرح صدر الوزير بهذا الكلام وأيقن بالنجاح وبلوغ المرام والحصول على
خلع الجليلة فى هودجها وتسير أمامها الفرسان وتذهب أنت معنا الى عند الملك تبسح
حسان وانعام فبات تلك الليلة فى أمان وهو مسرور فرحان

قال الرواى فهذا ما كان من أمر الوزير نهبان وأما الامير مرة فانه استدعى كليب
سرا اليه وقص ذلك الحديث عليه . وقال اعلم يا قرة فؤادى ومن هو عندى أعز من
أولادى . ان الضرورة أحوجتنى الى ذلك خوفا من الوقوع فى المهالك وقد اعلمتك
بما جرى وتجدد فاهو وأليك أيها البطل الابطال فلما سمع منه هذا الكلام صار الضيا فى
صنيه كالظلام وقال أرجوك أن تمهل الوزير ثلاثة ايام عن المسير حتى أنظر فى الامر
(قال الراوى) لسكيب صديق يتعمن له النجاح والتوفيق يدعى العابد نعمان وكان كثيرا
ما يوعده بالخير والاحسان فقصدته تلك الليلة واعلمه بما جرى فقال له ابشر بالخير يا نورالعين
فان رأى عندى أن تجهز مائة صندوق يكون كل واحد بطبقتين فى الطبقة الواحدة
تضع فارسا من أبطال المكافحة والمجادلة وفى الثانية جهاز الجليلة وأنت تكون مہرجا
لهم أمام سادات القبيلة وبهذه الوسيلة تم الحيلة وتنال المراد من رب العباد واعلم
لاخفاك هناك عند وصولك الى هناك تجد سلسلة من النحاس الاصفر معلقة فوق الباب
الاكبر وهى مرصودة من سحر هذا الزمان لهلاك من أراد الضرر للتبسح حسان فتقع
عليه فى الحال وتذيقه الوبال فخذ لنفسك الحذر واتكل على إله البشر فهو يحفظك ويحميك
وينصرك على جميع أعاديك فاذا بلغت الارادة وفزت بالسعادة بنيت لى مسجد برسم
العبادة وخذ لك هذا السيف الخشب وبه تنال القصد والارب وأشار يقول

قال نعمان يا بن ربيعة	أناك الخير وسعدك تم	روح لقومك وبشرهم
قولى لعلمك وابن العم	وبشر المسمى همام	بان الشمل اليوم يلتم
قول السعد أنى لقيس	واستوفى تارك والدم	تأخذ تارك من التبسح
تسقيه الخمر بكاس السم	هذا السيف تقلد فيه	وفى كفك يا أمير يتم
تبقى أحمر مثل الدم	حط عروسك فى هودج	وقرد بها زمام وزم
وسوى عرسك فشمرها	احذر منه فى حقك زم	وان أخذت لك ماتكون
سلسلة معمولة هناك	بعلم السحر مع الطلسم	تبين كل أعداءه بساعة

احذر منها لا تعدم طيب قلبت لا تغتاظ من ذا العابق لا تتم
 سألت المولى ينصركم ويزيل عنكم كل المم
 فلما فرغ العابد من كلامه وعده كليب ببناء المقام على أحسن نظام ثم رجع على
 الأثر وأعلم عمه بذلك الخبر وقال له يقتضى الآن أن يبادر باتمام هذا الشأن ومنتخب
 مائة من الفرسان ونضعهم فى الصناديق على ظهور الجمال مع باقى الجهاز وأموال فى صفة
 أمتعة ويكونوا جميعا بالأسلحة الكاملة وتركب الجلييلة فى هودجها وهى مزينة بالجواهر
 ويكون فى صحبتها جماعة من السرارى يدقون أمامها بالدفوف والمظاهر وأنا أجمعل
 نفسى مهرجا لحصرتها وقائدا لزمام ناقها وتدخل على تبغ هذه الوسيلة فان تمت عليه
 الحيلة نلت المرام وأخذت ابنة عمى بحد الحسام وأكون قد بلغت المرام وأخذت ثار
 أبى ومتى قتل الملك تبع يقع فى قلب قومه الخوف والفرع
 (قال الراوى) فاستصوب الأمير مرة بكلام كليب وعلم أنه سينال المرام بدون أدنى
 شك ولا ريب فقال لقد تكلمت بالصواب وأشرت بالامر الذى لا يباب فافعل ما تريد
 أيها الفارس الصنديد وكان قد أمهل الوزير ثلاثه أيام حتى تمت هذه الامور والاحكام
 وقد أطلع أمره ابنته الجلييلة على ما تقدم ذكره وعلى ما قصد كليب فعله فلما كان يوم
 الارتحال انتخب كليب مائة من الابطال وقص على مسامعهم وافعة الحال ثم وضعهم
 فى صناديق الاحمال وحملوهم على ظهور الجمال وكان من جملتهم الامير همام والامير
 حسان وجماعة من عظماء الناس وركبت فى هودجها الجلييلة وركب أيضا الوزير والامير
 وجماعة من فرسان القبيلة وتقلد كليب بالسيف من تحت الثياب ولبس فرو من جلود
 الثعالب والذئاب وأرعى له سوارف طوال من أذنان الكباش والبغال وركب على
 قطعة من قصب وحمل دبوسا من خشب وكان يقود بزمام مائة الجلييلة امام فرسان
 القبيلة فلما رآه الوزير نهان بال لبعض الفرسان من يكون هذا الانسان فانه زيه عجيب
 وحاله غريب فقالوا هذا مهرج الجلييلة بنت مرة واسمه قشمر بن غرة فزاد عجبته ونبسم
 وهو لا يعلم أنه الامير كليب الاسد الفشمشم وكانت السرارى تدق أمام الجلييلة بالمزامير
 والدفوف والفرسان تلعب بالرماح والسيوف ومازالوا يقمعون البرارى والاكام
 مدة ثلاثة أيام حتى اقتربوا من مدينة الشام فنزلوا هناك ونصبوا الخيام ورفعوا الرايات
 والاعلام وأرسلوا رجالا من أكابر العمد لى يعلم تبع بوصولهم إلى البلد فارسا على
 الأثر وأعلم الملك بذلك الخبر ففرح واستبشر وزال عنه الفلق والضجر وأحضر الرمال
 وكان له رمال شاطر فحضر بين يديه وقال له تبع اضرب لى تحت الرمل فجلس وضربه

الرمال فرأى جميع مآثره بنوا قيس وقال الصناديق فيها رجال وأشار يقول
قال الفتى الرمل صادق سقاني الدهر كاس المرارا
تبعث الرمال أنا كنت طفلا وقلبه يمين مع يسارا
ولا حد مثلى بالرمل عارف ولا غيري يعرف كيف سارا
أخط بالرمل بأربع أمهات وولده الصغار مع الكبارا
ألا يا أمير تبع يا ملكنا يا عز الغراري يوم غاري
أفلك عن التقادير والجناب وتحسب ان جاولك تجارا
جوا ياملك هما يقتلوك ويدعوا القصر بعدك دشارا
صناديق التي لك حلوها بها أبطال بالعدد أمارا
يريدون قتلك ياملك عاجل لهم ثارا عليك وأى ثارا
وهذا قد اعلمتك يامسى وبالدينيا يشيع لها اخبارا

(قال الراوى) فلما فرغ الرمال من كلامه وتبع يسمع نظامه نادى على العبيد فحضروا
مائة عبد فقال لهم روحوا إلى الهامة وكل صندوق الذى تلقوا فيه رجال كسروه فانطلقت
العبيد إلى الهامة وهما أسعد وسعيد وبقية المائة عبد هذا فى يده عصا والآخر فى يده
بلطة والثانى فى يده دوس حديد ولما وصلوا إلى الهامة ابتدوا بكسر الصناديق وكسروا
الاول والثانى إلى العشرة فصاحت الجليلة يا عبيد السوء لماذا تكسروا صناديقى فقال العبيد
الرمال قال ان فى هذه الصناديق رجال فقالت اسمعو حتى أفتح لكم اياها تروا الرجال
الذى فى الصناديق فتقدمت وفتحت لهم عشرة صندوق فما وجدوا فيها غير جهازها والقماش
فقالوا ان الرمال كذاب وعادوا يردوا الجواب يقع لهم كلام ثم يرجع الحديث إلى
عجوز يقال لها حبلان وكانت رمالة وهى التى علمت الرمال فبان لها جميع ما فعلوه بنى
قيس تبين لها أن الصندوق طبعتين فى السنلى رجال وفى العليا قماش فافسكت ساعة من
الزمان وضربت ثانى رمل رأت أن بنى قيس يقتلون التبع لاحالة فقالت خير لى أن
أخذ الوجه الابيض عند بنى قيس فقامت وأخذت عصاها بيدها وسارت إلى أن وصلت
عند بنى قيس وهم فى ارتباك عظيم فقالت لهم أنا أتيت من عند التبع فقالوا وما هو قصدك
قالت قصدى أكشف الصناديق فان الرمال قال إن فيها رجال ففتحوا أول صندوق
والثانى فقالت أنى أرى الصناديق من الظاهر ذات عمق ومن الداخل بخلاف ذلك وضربت
على الطبقة السفلى فلما رأوها عارفة قالوا استرى على ماستره الله وفتحوا الصندوق وأعطوها
ثلاث بدلات حزيز فقالت لهم من الآن أساعدكم على قتل تبع ثم أن العجوز طلعت إلى
عند تبع والرمال بين يديه وعمال يضرب الرمل لان العبيد أخبروا تبع بما شاهدوا

وكذلك المعجوز أخبرته كما أخبروه العبيد فقال تبع يا معجوز الرمال عني قلبه من أكل
التوم والبصل فامر الملك بضرب عنقه وراحت روحه إلى وادي الأحمر تقدمت المعجوز
إلى الملك وأشارت توصف حسن الجليله وما أعطاه الله من الجمال

تقول المعجوز التي شاهدت	مليحة تزيج العنا والصدود
يا أمير تبع يهنيك فيها السعد	وأقبل الخبير لك والسمود
أتوك بنى قيس أهل السماح	وجابوا لك الخيل ثم النقود
وجابوا الجليلة لتخصك حليلة	بخدين حمر وعينين سود
بشعر طويل وعين كحيل	بلا جرميل نصيل الاسود
ولها شفاف رفاق نظاف	عقاييل طرايف تزيل النكود
ولها وجه كبدر بليلة قدر	وحبات حمر كما الورود
وجسم رقيق وريق رحيق	وسنان أوّل سبت البرود
لها عنق كعنق الغزال	وطوق الذهب يوقد وقود
كتاف كالعاج مثل الزجاج	والنقش موج فوق الذقون
وصدر كلوح خلقه الاله	قد زين الصدر جوز النهود
أما الجحول تزيل العقول	حب الطرف يطفي الصدور
أما القلائد سلاسل ذهب	من الرأس المكعوب مثل البنود
وملبوسها مليح حرير مقصب	مطيب بمسك وزهر وعود
وإن شافها رجل عابد فقيه	غدا العقل منه شارد شرود
قد زينوا بنى قيس لك عروسا	تجلى لاجلك كل هم وكود
للملك حقا وقد أحضروا	مليحة وصاها يزيل النكود
فارسل وراها وخلي الحمال	واسمع كلامي وأجلى الصدود
وادخل على بنت مرة وكن	لطيفا بقطف ثمار النهود

(قال الراوى) فلما فرغت المعجوز من كلامها وانما تبسع يسمع نظامها فرح
عقله من وصف المعجوز ونادى على الوزير يأمره أن يحضر الجلياة بالتحليل والتكريم
وخلفها السرارى بموكب عظيم فدخلت على تبع وكان جالسا على كرسى المملكة على
رأسه تاجا من الذهب الفاخر مرصعا بأنواع الجواهر فسلبت عليه ووقعت بين يديا فرداها
السلام وانسبها بالحديث والكلام وقال اهلا وسهلا بالسيدة الكريمة والدرة التي ليس يقدر لها قيمة
ثم اجلسها بمكان قريب منه وترحب بها غاية الترحيب وقد انهر من فرط جمالها وعدوبة أفعالها

وفصاحة كلامها لأنها كانت متصفة بالأدب ومن أجل فناء العرب فأخذ الملك يسألها عن أهلها وعشيرتها فقالت له بكلام اعلم أيها الملك المفضل إن انصالي بجنابك وتشربني بساحة بابك جعل لقبيلتنا اسما كبيرا وذكرنا بين الناس شهرا كاف وأنت ملك هذا الزمان والجوهر الثمين في هذا الاوان فالله يحفظك لنا ويقيمك وينصرك على جميع حسادك وأعاديك فإن كنت تحبني وتعظم شأنى وترفع مرتبتي على أقراني فلا تر لي أبى وأعمامى وسادات أهلى وأقوامى بعيدين عن فضلك وإحسانك لأنهم قد ساروا الآن جملة اتباعك وأعوانك فامرهم بمكان ينزلوا فيه الآن وأمر بصناديق جهازى وباقي الأحمال أن يحضروا إلى هنا في الحال ومنع كل ذلك فنحن أولاد عم

(قال الراوى) فامر تبع وزيره نهان أن يذهب في جماعة من الأعيان ويعد إلى الامير مرة ابى الجليلة ومن معه من بنى عمه قصرا من القصور وان تنزل بقية الفرسا في اعظم مكان ويقدمون لهم الطعام والشراب وما يلزم من الثياب فأجاب الوزير بالسمع والطاعة وفعل كما أمره . ولما في تلك الساعة وبعد ان اتقن الوزير الامر ووضع الصناديق في داخل القصر التفت الملك تبع إلى مرة وقال له يا عمى ما بقى إلا أنت في مقامى فان غبتى أنا أنت تكون حاكم مكانى ثم أنه قربه اليه وأخذ يترحب به إكراما للجليلة ويقول

يقول التبع أيماني الكبارى	أنا يا قيس زال الهم منى
ألا يا مرجبا يا أمير مرة	أأمنكم وأتمم اليوم منى
ترى لولاب الجليلة لى تعاب	جابت لى الحسب والنسب منى
فما علت اننا يما وقيسا	بنى جدين آخرين يظنى
بقينا أولاد عم يا مسمى	والذى راح راح بلا توائى
فلا تعتب على بقتل أخيك	ما قد سار إلا بالعلم منى

(قال الراوى) فلما فرغ تبع من كلامه والحاضرين يسمعون انظامه أخذوا الكاس والطاس . وقال حلت البركة بكم ففعدت بنو قيس تشرب معه المدام وشرب الملك تبع إلى أن سار وغنت البنات ورقصت قال تبع الجليلة اعلى يا سيدة الملاح وكركب الصباح قد أحربنا المطلوب طبق المرغوب فهل لك غرض آخر حتى نقضى ونفعل ما ترغيبه وتشتهيه وكانت الجليلة تحاول بافكارها لاجل ان تستدعى كليب الى عندها وقد سمعت صوة عند القصر وه ويصرخ ويصبح من جوانبه للقصر لانه كان راكب على فرسه القصب ويده دبوس من الخشب وكان يرقص في البستان وينقله من مكان إلى مكان فقالت نعم أيها السيد الماجد باقى لى غرض واحد وهو أن ندي اسمي قدسمر



الجليلة فت مرة

حسان التبعى الملك اليماني

لا يوجد مثله بين البشر حلو الصفات سريع الحركات يضحك الاحجار بفعاله ويزيل الهموم
بغرائب اعماله قد احضرت في هذه المرة في خدمتي ايميني عند حزني وشديني فان حسن لديك امر
له أن يدخل اليك واهب بين يديك فيزداد مروءتك واثرا حلك وتزول احزالك واثرا حلك
فضحكك من كلامها وأجابها إلى امرها وأمر الخدم بادخاله إلى طرفه فان أعماله وعند وصوله إلى
باب الايوان نظر السطه الذي ذكرها العابد نعمان فامتنع عن الدخول واخذ يتكلم بكلام مجهول
ويقول مادذه الحيلة التي قالوها وأنا خائف شرها وأذاها فقال ادخل ما عليك من بأس فما هي
إلا سلسلة من النحاس نابذ وامتنع وهو يظهر على نفسه الخوف والفزع وما طال المطال التفتت
جليلة إلى تبع في الحديقة لت له بكلام الدلال أعظم أن قشمر من أخوف البشر فان حسن لديك ولم
يصعب عليه فامر الخدام والاحاب برفع السلسلة عن الباب ورفعوها وأتوا بقشمر اليه فلما صار
بين يديه سلم عليه ودعا له بطول البحر ودوام العز والارتقاء واخذ كليب يمزح أمامه ويلعبه
بسيفه الخشب قدامه وهو في تلك الثياب التي ذكرناها والصفة المضحكة التي وصفناها فكان تراه
يخلق عيليه ويرقص الأرض بيده ورجليه وتارة يقول أين الفرسان الفحول وأين أبو عطبوله

وأحيانا يرقص ويضحك بلا سبب وهو راكب على فرس الأنصب ويسوقها بذلك الدبوس الخشب فكان من أعجب العجب فاندesh تبع من أعماله واستغرب من أحواله وأقواله ثم قال للجليلة والله يا كاملة المعاني وشريكة عمرى وزمانى لقد أصبحت منادمة هذا البهلول الذى يدesh بأفعاله العقول فانه من كثرة هزله وخفة عقله جميل الصورة فصيح الخطاب سريع الكلام فى الجواب فقالت صدقت فيما نظقت اننى ما أرى رجلا مثله بين الأنام فى الزلاقة وفصاحة الكلام ومتى بقى عندك عشره أيام يقوم بمنادمتك حق القيام ويدعوك مشروح الخاطر على طول الزمان ثم قال تشر وهو كليب تبع حسان إن كنت تطرب الآن فامر سيدنى الجليلة ان تغنيك بايات من الشعر فان صوتها مليح ولفظها فصيح فقال هل تحسنين الغناء يا سيدة النساء فقالت أى وأبيك فان كنت تريد أن أغنيك وأطربك وأسليك فامر قشمر أن يقفل الباب لئلا يسمعنا أحد من الخدم فاستصوب كلامها الملك تبع أمر قشمر أن يقفل باب المخدع ففعله وعاد بالعجل وبعد أن أيقن بيولوج الأمل أنشدت الجليلة تقول

لقد قالت جليلة بنت مرة	شربنا الخمر ما بين الامارة
شربنا الخمر فى كاسا جوهر	فزال العقل وأصبحنا سكارى
بحضرة تبع الملك المسمى	بحسان إذا ما شن غارة
وقد أمسيت فى قبضة يديه	ومن حبه شغل قلبه بنارة
الا يا حارس البستان صنه	وإن فرط فيه الطير طارة

(قال الراوى) فلما انتهت الجليلة من هذا الشعر والنظام زاد بالتبع الوجد والغرام وسكر من غير مدام وقال مثلك من تكون من النساء فقد زاد سرو رنا فى هذا المساء فلما رآه كليب زاد الطرب أخذ يرقص أمامه ويلعب بالسيف الخشب فقال له تبع عيب عليك بأقشمر أن ترقص بهذا السيف أمام الملك الاكبر فقال اعطنى إذن حسمك وأنا لعب به أمامك فقالت الجليلة تحياق عليك ان تبغىه الارب وتعطيه ما طلب فانك تر منه العجب فامر به أن يدخل قاعة السلاح فيأخذ السيف ويرجع بالعجل فاجاب وامتلأ وكانت الجليلة أرقت اليه أن يسرع فى العمل وعند دخوله إلى ذلك المخدع وجد سلاح الملك فلبس الدرع وتقلد بالسيف ووضع الخوذة على رأسه وخرج بالعجل كأنه قلة من قتل أو قطعة فصاحت من جبل بعد أن فتحت صناديق الاحمال واخرج الفرسان والابطال فقبروا فى ساحة الدار وقاموا له بالانظار وكان فارس الحسام من غمده وهو نهزه فى يده ثم دخل على الملك وقد احمرت عيناه وتذكر اياه فصال وجال ولعب بالسيف كما تلعب الابطال فى ساحة القتال وبعد ذلك تقدم بهجم عليه فعرفه حينئذ الملك تبع وقد انقطع قلبه من الخوف برأيقن بالهلاك والقلعان فقال الله عليك يا سيد الشجعان وفارس الميدان ان تغفوا عني وتسمح عما فرط منى فقال لا بد من قتلك كما قتلت أبى وأكون قد أخذت ثارى وبلغت اربى فقال

تبع لابد من ذلك الشأن أمهلنى ساعة من الزمان حتى أفيدك عن جميع الأمور والأحوال
التي تحدث آخر الأجيال فقد اتضح لى الحال ووقعت فى شرك العقال ثم أنشد وقال

(الملمحة الكبرى التبع حسان * التي أخير بها ما يحصل فى آخر الزمان)

يقول اتبع الملك اليماني	لهيب النار تشعل فى فؤادى
أمير كليب يا فارس ربيعة	وياحى النساء يوم الطرادى
أريد اليوم أن أهلك شيئا	لتعرف جال أخبار العباد
فوسى كان فى الدنيا نبيا	له التوراة أعطت للرشاد
داود النبي قد جاء بعده	يبشر بالزبور أهل الفسادى
وعيسى بن مريم قد جاء أيضا	بانجيل الخلاص لكى ينادى
نبى لم يكن فى الناس مثله	لان الله قد اختاره يفادى
فكم ميت بكلمته أقامه	ومسقوم شفاء من الوسادى
وعندى قد تبين بالملاحم	فانك قاتلى دون العباد
وبعده شاعر قد نزل عليكم	وتفتن بين قيس فى البلاد
وأنت برمح جساس ستطعن	وعبدى يذبحك بين الجباد
وتكتسب فى دمانك على البلاطه	لمن بعدك لتثيت الاعادى
وياقنى الزير أبو ليلى المهل	فيصل الحرب فى كل البلاد
ويقر كل جبار عنيد	يضرى السيف فى يوم الجلال
وتأخذ الجليله لك قرية	وتحظى بالمسرة والمراد
ويظهر لك علام بعد موتك	بسمى الجرر قهار الاعادى
وهو يقتل إلى جساس خاله	وأما الزير نقتله الاعادى
وبعده يظهر المدعو بعتر	يهين الضد فى يوم الطراد
وبعده يظهر الهادى محمد	يقيم الذى ما بين العباد
وأصحابه معه عشرة كوامل	كرام الناس سادات البلاد
أبو بكر وسعد مع سعيد	وطلحة والزبير بن الجياد
وعثمان وعمر مع على	وعامر مع حسين أهل الرشاد
يموت الهاشمى ويصير خلف	على الاحكام بعده بالعباد
أبو بكر يموت بلسع حية	وبعده عمر يقتل بالطراد
ولا يعرف له قبر محقق	بينما أنتشى بين الولاد

على وجه الثرى بين العباد
ويحكما حين بالبوادي
وأولهم معاوية بن هادى
سنين كثيرة بين العبادى
قواطعة الفواحشة والعناد
ويلوا الأرض طرا بالفساد
فيقصد جيشها غرب البلاد
يزيدوا حرب حمير مع أباد
وبعد دياب قهار الاعادى
شديد البأس فى يوم الطراد
ويسبون المدا أهل العناد
بارماح وأسياف حداد
وبدرى الخزعى والاعادى
وتترك جثته فوق الجساد
بسياف دياب قهار الاعادى
ينذوه المنية فى الجسادى
خبيث الاصل من قوم شداد
يقيموا الدين من بعد الفساد
بأرض الشرق يحكم فى العباد
لان جيوشهم مثل الجراد
وتسعة بعدهم دون ازدياد
وجنكز خان من قديم كراد
يشير الحرب فى كل البلاد
له اسمين من ظاهر وباد
ويجرى الدم فى كل البوادي
فمشر سنين يظلم العباد
قتبعه الورى أهل الفساد

ولا يعرف له قبر محقق
وتختلف الصحابة على الحكومة
وبعد بنوا أمية سوف تحكم
ومن بعده بنوا العباس تحكم
وبعدهم الخوارج سوف تظهر
يقموا الشرفى كل الاراضى
وتظهر من بلاد الشرق عصبة
هلال وعامر مع أهل قيس
حسن أميرهم نجر البرايا
وأبو زيد بن عمه ليث أروع
يطوف البلاد فيملكوها
ويمحو العجم من كل طاع
وقبرص والجزائر يملكوها
شبيب التبعى بالشام يقتل
وسركيس بن نازب سوش يقتل
يمروا على الزناتى بأرض تونس
وبعد يظهر الاشطان ظالم
بنوا أيوب يظهر بعد منه
ويظهر بن عثمان المساعد
ملوك الارض تختشى من لقاهم
عداد ملوكهم عشرة وعشرة
ويظهر تمر لك من الاعاجم
ويظهر بعده ملكا قوبا
طويل الجسم ذو همة عليه
يقيم السيف فى الاسلام عمدا
ويظهر فارس يدعى قطيعة
ويظهر بعده الدجال خفا

يطوف الأرض من شرق وغرب
ويظهر ضده المهدي سريعا
فهو عيسى المسمى بابن مريم
وبعده دية تظهر سريعا
ونار من عدن تظهر ونطلع
وبعده الشمس تظهر من مغيب
ويأجرج وماجوج جميعا
فلا نهر الفراط لهم يروى
ويغشى الأرض موتا يا كليبيا
ونيران تعم الأرض وطرا
وبعد يفتلق باب المراحم
فلا يصعد ولا يأتي جواب
وبعده يظهر ريح من جهنم
يموت الخلق منه ليس يبقى
وبعده يطهر الدنيا حقا
فعدى الخبر قد أخبر مؤكدا
وأسمع يا أمير كليب منى
ولا تفرح على حالى وضعنى
واعلم يا أمير أنى عفتك

ويفعل معجزات فى البلاد
ويسطع نوره فى كل وادى
فيقتله ويملك فى العباد
فتفعل معجزات فى البلاد
فتشكوا الناس من هول النكاد
وتزداد الخلائق فى الفساد
تحيط رجالهم كل البلاد
ولا سيحون والدجلة والمسداد
وجوع وقتل فى كل العباد
على أعلى الجبال وكل وادى
وباب الشر يفتح باقتصاد
فذاك الوقت تحترق العباد
وينفخ ريح من أقصى البلاد
سوى الرحمن خلاق العباد
إله العرش ديان العباد
بما أخبرتكم دون ازدياد
حقائق نصتى وافهم مرادى
أجرنى يا ملك واطلق قيادى
مدى عمرى إلى يوم الميعاد

(قال الراوى) فلما فرغ الملك من هذه الملحمة وسمع كليب ما فيها من الاخبار المتأخرة
والمتقدمة تعجب غاية العجب وقال لست أعفوا عن قطع رأسك وإخاد أقباسكم لانك
أفريت وظلمت وتعديت ثم أجابه بهذا القصيد على سبيل التهكم والتهديد

يقول كليب قهار الاعادى
أنا قد صرت هذا اليوم حاكم
أيا تبع الينا جيت عاجل
ولا أبقيت قيمة للأماره
هتكت الارض يا تبع بقتك

كلام أشد من ضرب الهناد
أتانى السعد مع نيل المراد
قتلت أبى وأخربت البلاد
وقد البستم ثوب السواد
وصيرت الانام لك أعادى

جعلت رجالنا تشبه نسانا وزلت الأارة في البلاد
فوالله ثم والله ثم والله إله خالق كل السوادى
فلست براجما عن قطع رأسك ولو ملكتنى كل البوادى

(قال الراوى) فلما فرغ لأمير كليب من كلامه وفهم تبع لحوى قصده ومرامه قال بالله عليك أيها السيد المحترم أن تهفوا عني وتجمعاني من جملة الخدم فقال لا بد من قطع رأسك بامهان ولكن أسالك كيف قتلت أبوغدرا أو بالميدان فقال تبع إذا كان لا بد من ذلك يا فارس فامهلنى ساعة حتى أخبرك عن سبب قتل أبيك وأودع من هذه الدنيا قليلا ثم أنه أبدى حزنا وعويلا وأشار يقول من فؤاد مبتول وعمر السامعين يطول

قال الملك تبع حسان	ظلمنى دهرى دون الناس
يا أبا ربيعة يا مخدوم	أنت مخدول أمير شديد البأس
طويل الباع يوم نزاع	عفيت شجاع تقبل الرأس
تسألنى عن قتل أبيك	فمكل بناية لها أساس
فلما جيت لأرض الشام	أتى لقائى على الناس
أتانى كل أكابر قيس	وكل أمير لدى باس
إلا أبوك فقد خاف	ولم يفعل كباتى الناس
فؤاد الغيظ بوسط القلب	أمرت بشنقه الحراس
وهذا بأمر الله ميلة	فوق جبينه بأعلى الراس
وأنا بقيت بهذا اليوم	وحيد فريد بلا إبناس
أريد العفو عما جئت	بجيات عمك مع جساس
أنى كنت زعيم القوم	وحكى نافذ بين الناس
فلما أتانى وعد الله	بطل العزم وظنى حاس
دهتنى الجالية بالحيلة	وغابت عني كل الناس
فهذا أمر الله محتوم	وأمره نافذ فوق الراس

(قال الراوى) فلما فرع تبع من هذا النظام قال له كليب لا بد من قتلك بحد الحسام حتى ترتاح الناس من شرك وتأم من غدرك ثم ضربه بالسيف على عاتقه خرج يبع من علاقه فوقع على الأرض قتيلاً وفي دمه جد يلا فلما رأى أنه الجلية قد مال زادهم الأفراح فنهضت واعتنقت ابن عمها قبلته وقالت له مثلك تكون الفرسان ياليت الميدان فشكرها كليب وهناها بسلامتها وزادنى إعزازها وكرامتها ثم خرج من ذلك المخدع وأعلم الفرسان بقتل الملك تبع وقال لهم لقد بلغنا المراد فكونوا على حذر واستعداد لا ممتلك البلاد فقالوا من بين يديك ولا نبخل بارواحنا

عليك ثم وضع رأس الملك على السنان وخرج بالابطال والفرسان وطافوا في شوارع البلدة وضربوا من وجوهه بالسيف المهدوم يقولون عن فرد لسان هذا رأس سيدكم حسان فقد أعدمناه وقتلناه وأرحنا الناس من شره وبلاءه فمن بعض أهل كنهان ومن أطاع أبقيناه على قيد الحياة قال الراوى فكانت أكثر أهل الشام نكره اتبع لظله وتتمنى هلاكه وشره فاجتمعت العساكر والاعيان وطلبوا من كليب أنهم يكونوا له من جملة الرعايا فاجابهم كليب إلى ذلك الطلب وأوعدهم بالجبل والخيرات وسمع بخراج عشر سنوات فدعوا له بطول العمر ودوام العز والنصر ثم اجتمعت بنوا مرة وأكابر العشائر وأعيان الشام وقواد العساكر البسوة ناجا مرصعا بالجواهر وأجلسوه على كرسي الملمسكة وجلس بقربه وزير الميمنة وهو وزير تبع حسان ووقف أمامه الحجاب والامراء والنواب فحكم مع ملا الناس بالجلود والكرم ومنصفا المظلوم من ظلم وفي الليلة الثانية اجتمعت سادات لقبيلة وزفوا اليه ابنة عمه الجليلة وقد كنا ذكرنا في أول السيرة عن أوصاف هذه السيدة وما احتوت عليه من حسن وجمال وزال عنها الغم والاكتئاب وباتا في حظ وانشراح إلى وقت الصباح وفي اليوم الثاني وردت اليه المدايح والتهاني واشتهر ذكره في البلدان وهابته ملوك الزمان

(قال الراوى) وكانت الجليلة طلبت من كليب أن يبنى لها قصرا من أجل القصور ويلبش فيه بستانا يحوى جميع أنواع الزهور فاجابها إلى ذلك ووعدا ببناء قصر لا مثيل له في الممالك ثم دجع الوزراء والاعيان وأعلمهم بذلك الشأن فقال له الوزير نهان اعلم يا ملك الزمان انه لا يوجد في هذه الايام من يقدر ان يبنى لك ذلك القصر طبق المرام سوى معمرى المختص بالريان ملك مصر لانه ماهر ببناء القصور الحسان وهو الذى عمل قصر تبع حسان فارسل كليب واستدعاه اليه ولما حضريه يديه قبل الأرض وسلم عليه فقال كليب أريد منك أن تبنى لى قصرا من القصور الحسان لا يوجد مثله فى جميع المدن والبلدان ويكون له جنيته جميلة المنظر تحتوى على جميع الاشجار والخضرة ان اتقنت الصنعة طبق المرغوب نلت المقصود والمطلوب فاجابه معمر بالسمع والطاعة وباشر فى بناء القصر

(قال الراوى) ولما اشتهر قتل تبع فى اليمن واتصل الخبر إلى صنعاء وعدن هاجت الرجال ونشر القيل وكان للملك تبع بن عم من الامراء والمشاهير يقال له عمران القصير وكان شديد البأس قوى المراس فلما بلغته تلك الاخبار صمم غزو بنوا قيس بعسكر جرار فجمع العساكر والجنود وفرق الرايات والبنود وركب فى مائة الف مقاتل وجدى قطع المراحل قاصدا بلاد الشام بكل سرعة فلما بلغ كليب هذه الاخبار استعد للحرب والقتال وخرج للقائه الفرسان والابطال ولما التى الجيشان أمر كليب أن تتقدم الفوارس إلى ساحة الميدان وأخذ يشطهم بكلام على قتال

الانصار فهاجت الشعوب وتبادرت الضرب وطمعان والامير كليب أول المعسكر كان الاسد
الغضنفر وعلى رأسه البيارق والرايات ثم التقت الرجال بالرجال واشتعلت بين الفريقين
فيران الحرب والقتال حتى عظمت تلك الاحوال فللهدر الامير كليب بطل الابطال وما فعل
ذلك اليوم من الفعال فانه هجم هجوم الاسود وانطق على العساكر والجنود بقلب أقوى من
الجلود فبارز فرسان الكفاح وخطف المميج والارواح الده يبذل والرجال تقتل إلى أذولى
النهار وأقبل الليل فامترقت العساكر بعضها البعض راتوا في الارض وعند الصباح رجعوا إلى
الحرب والكفاح فبرز الامير عمران إلى ساحة الميدان فصال وجال وطلب براز الابطال فاراد
كليب أن يبرز إليه فانه حياه وقالوا أيها الملك ان فينا أبطال وفرسانا يستطيعون أن نحاربهم ثم يبرز
إليه فارس من الصناديد يقال له ميمون بن الرشيد فالتقاء الامير عمران بقلب أقوى من الصوان
ولم تكن ساعة من الزمان حتى استظهر عمران وطمعن ميمون بالرمح فوقع قتيل وفي دمه جديل
قالبه حصانه ثم قوم سناؤه وتقدم إلى معركة الحرب وقال أيز فرسان طعن والضرب
تبين الفروسية والشجاعة البنية من القيسية فبرز إليه آخر فاذا به الموت الاحمر وما زالت
تبرز إليه الفرسان وهو يجند لها على بساط الرمال حتى مال سبعة من الابطال وكانوا اكابر السادات
قد اشتبهوا في الحروب والنزات واستمر القتال على هذا الحال تسعة أيام وهم في راز واقترام
وفي اليوم العاشر برز الامير مدة لقتال عمران صار في الميدان تقنطر على ظهر الحصان فدركه انه
هجم وجاء به إلى الخيام فعند ذلك برز إلى عمران الامير جساس وصدمة بقوة قلب وشدة يأس
أنه لم يفلح قتاله وارتجع عنه المساء عن حربه وانزله فوقعت هزيمة الامير عمران في قلوب الفرسان
والشجعان فاستعظم كليب ذلك الامر واشتعل قلبه بلمع الجبر وقال ما يزيد إلا عمرو فاذا كان
الصباح بارزته في معركة الكرماح لانه قد طنى وتجبر وقتل منا كل أسد غضنفر وبات تلك الليلة
وهو في قلق شديد ما عليه من مزيد فاأقبل الصباح حتى ركب كليب وبرز إلى الميدان لقتل الامير
عمران الذي برز ذلك اليوم وهو ينادى ابن الابطال ابن الصناديد لا يبرز إلى كليب المحتال
الذى قتل تبع بالعدو والاجيال نائم كلامه حتى سار الامير كليب أمامه وصدمة صدمة منكورة
أشد من صدمات عنزة فقال له عمران من تكون من الفرسان فقال اعلم أيها التيس اني ملك من
بني قيس فسوف نرى مني ضربا يقدر الحديد ويذمل ابصار الفرسان الصناديد فقال انت مسخرة
للسوان واحقر من كل دليل مهان ولو كنت من الفرسان لما غدرت تبع بالحيلة مع ابنة عمك
الجليلة فقال كليب اما علمت يا فرباران الرجال عند أغراضها نسوان وانى قتلت الملك تبع إلا
تندره وقله حياء وكثرة شره فانه قتل ولدى وكان عوفى ومساعدى وهذا الذى أوجب
ذلك اليوم سالحقك به وأسفيك كاس المهالك فلما سمع عمران من كليب هذا الكلام قد

أشدت بينهم الخصام فكانوا تارة يتقدمان وتارة يتأخران كأنهما أسدان درغامان قانهرت
عن فعالهما الفرسان وأحدثت اليهما الأبصار من ليمين واليسار واستمر على تلك الحال إلى
قرب الزوال حتى تعجب عمران من ثبات كليب أمامه لأنه كان يظن أنه لا يوجد في الدنيا
من يقدر أن يقف قدامه وطعنه بالرمح قاعد إهلاكه وفناه فخلى كليب من الطعنة فراحت
خاوية بعد ما كانت صايبة ثم هجم عليه كليب وقال خذها يا عمران من يد فارس الميدان
وليت الحرب والطعاز وضربه بالسيف فوقع على الأرض قطعتين وبعد ذلك حملت على
بعضها العساكر وتقاتلت بالسيف والجنادر فكثرت القتل والجرح وجرى الدم وزهقت
النفوس والأرواح من ضرب السيوف وطعن الرماح وكان بعد قتل عمران تضرعت
جميع عساكر اليمن الأركان فولو الأدبار واركضوا إلى الحرب والفرار فقتلهم كليب بالعساكر
وقتل منهم أكثر من عشرة آلاف فارس فانفق ذات يوم من الأيام أن مرزبان أخيه
كليب جماعة من بني الأعمام وبعد أن دار بينهما الكلام قال مرة يا ابن أخي لقد كثرت
عليك الرجال والاغنام لسبب كثرة المراسي والازدحام فرادى الآن أن أرحل عنك
بأغنامي ورجالي وبقاى أموالى ولا شك أننا بهذا الرحيل والانتقال نتحسن بنا الأحوال
فقال كليب انفل يا عم ماتحب وانزل فى أى مكان نريد من قريب الديار فإن البلاد بلادنا
ونحن ملوك الاقطار قال الراوى فرحل مرة بقومه ورجاله ونوقه وجماله ونزل فى وادى
كثير النبات وبعد مسافة تسع ساعات وكان مرة قد شاخ وكبر فى العمر فاقام مكانه الامير
جساس على بنى بكر فكان يحسن اليهم ويحكم بالانصاف عليها فشاع ذكره فكانت تقصد
الشعراء والفرسان ولم تكن إلا سنة من الزمان حتى صار يحكم على مائة وعشرين ألف عنان
وكان هذا ما كان من أمر جساس وأما كليب المارس الدعاس فانه كان عند سنوح الفرس
يخرج إلى الصيد والقتل وكان له عدة اخوة كل منهم مشهور بالمروءة والنخوة من جملتهم
المهلل الملقب بالزير وكان جميل الصورة كأنه البدر وهو صاحب هذه السيرة والوقائع
الشهيرة وكان فى تلك الأيام بن عشرة أعوام وكان فى الشجاعه كسبع الغاب لا يخاف
من أحد ولا يهاب فصيح الكلام منعكما عن شرب المدام وسماع أصوات الانعام ينشد
الاشعار البديعة ويأتى بالمعاني النفيسة الرفيعة وكان كليب لحبه اياه لا يعرضه بأمر من
الامرور بل يفااله بالفرح والسرور وكان الزير يتباهى بشجاعته أمام أخيه وأنه لا فى
الفرسان من يضاهيه فقال له كليب فى بعض الأيام أراك يا أخى مشتغلا بالملاهى وشرب المدام
فقلبك خالى من الهموم والاحزان كأنك لا تسأل عن تقلبات الزمان فمن الواجب أن تحسب

حساب العواقب لأن الدهر درلاب مريع الانقلاب إذا أضحك يوماً أبكاك سنة وليس له على أحد جميل ولا حسنة فقال المهلهل مادمت في الوجود أنا في خير لا أحسب حساب للغير ولكن إن جار بك الزمان وأحاطت بك الحساد والخوان فانا أردعك الأثقال وأجندل أمامك الأبطال أنا الأسد الغالب فارس الكتائب والمواكب أنا قهار الأعادي إذا نادى المنادى فتبسم كليب من كلامه وتركه ملشغلاً بشرب مدامه وارتد راجعاً إلى الديوان وقد راق له بعد ذلك بعشرة شهر رتم له القصر المذكور فكان من عجائب الزمان وغرائب الآوان لأنه كان في غاية الانقار ولا سيما البستان فانه كفر دوس الجنان فيه من جميع الاشجار والفواكه والثمار والمياه الغزيرة والزهور الكثيرة حتى فرح كليب منه فانعم على بانيه وفرح بالفراش الفاخر الذي ينهر النواظر ويحير العقول والخواطر

(قال الراوى) وقد اتفق بعد ذلك بايام أن أولاد مرة قد اجتمعوا مع بعضهم في الخيام وضربوا تحتاً من الرمل ليروا ما يحز بهم وما يجرى عليهم ويصيبهم فبان لهم أن الامير جساس لا بد أن يقتل الامير كليب ويظهر الزير ويأخذ ثاره بدون ريب ويقتل منهم كل أمير وجبار بعد وقائع تستحق الاعتبار فاعتراهم القلق والكدر واجمعوا رأيهم على أن يقتلوا الزير قبل أن يكبر جعل الامير سلطان بن مرة ينشدهم ويقول

على ما قال سلطان بن مرة	مبيد الضد في يوم النزال
تبين عندنا جساس يقتل	كليب بن ربيعة ولا يبال
ويأتى الزير بعده يا أماره	يشأت جمعنا بين الجبال
ويمحى ذكرنا من كل أرض	ويفتننا ويسى العيال
هلوا نقتله ونبيله اسمه	ونسلم من تضاريف الليالى
فيلزم أن نروح إلى الجليلة	ونعلمها على ما قد بدالى
فهذه أختنا ليست غريبة	فتسعننا على نيل الامانى
جليلة عارفة في كل فن	وتعرف بالزبارج والرمال
فقوموا كلنا نذهب اليها	ونقضى شغلنا قبل الوبال

فلما انتهى سلطان من الشمر والنظام الامير جساس ومن حضر من أبناء مرة فاستحسنه جميع القوم وركبوا من ذلك اليوم وخرجوا من القبيلة قاصدين أختهم الجليلة وكانوا ثلاثاً وأربعين ولداً ذكر كل منهم أسد غضنفر ولما وصلوا اليها دخلوا وسلبوا عليها ثملتهم بالترحاب وأقاموا عندها ثلاثة أيام ثم قالوا لها عن فرد لسان وقد ظهر لنا في الرمل

بانه سوف يظهر للزير شأن وأى شأن فيقهر الابطال وتها به ملوك الزمان ويعاملنا بالجوور وسوء الادب وتنحط منزلتنا بين ملوك العرب فانقرأينا على أن نقتله قبل أن يكبر وأتينا اليك لنعلبك بالخبر فما هو رأيك في هذا الامر المنكر فقلت فاذا قتلتموه فينكشف الامر وأخذ بثاره منكم فيزداد الشر ومادام الامر كذلك فانا اجمل كليب يلقيه في المهالك ثم أنشدت تقول

مقالات الجيلة بنت مرة	تعلوا اخوانه أصغوا لقولى
تريدوا قتل أبو ليلى المهمل	أخوه كليب خلفه مثل غولى
ومن خلفه غدبر وورقان	سباع الغاب فى اليوم الهول
وست وأبعون بنو أبيه	يجوكم راكبين على الخيول
وتركب خلفهم كل الفوارس	فوارس تغلب مثل الفحول
ولكن سوف أرميه بحيلة	تخير كل أسحاب العقول
ويبقى كليب يقتله بيده	ويجمعه طريحا على السهول

قال الراوى فلما فرغت الجيلة من شعرها شكرها اخواتها على حسن اهتمامها وركبوا زراحا فى حال سيلهم وصبرت الجيلة الى وقت العصر حتى حضر كليب الى القصر وكانت قد شقت ما عليها من اثياب وظهرت الغم والاكتئاب فلما رآها كليب على تلك الحال تغيرت منه الاحوال لانه كان يحبها محبة عظيمة وبودها مودة جسيمة ولا سيما أنها ابنة عمه ومن لحمه ودمه فقال لها علامك يا جيلية ما لى أراك فى هذه الحالة الويلة فبكت من فؤاد المبتول وأجابته بهذه الايات تقول

مقالات الجيلة بنت مرة	كليب أنت قيدوم السرايا
ونحسكم فى القبائل والعشائر	وفى كل المداين والقرايا
وحكمك نافذ فى كل أرض	وتخدمك الملوك مع الرعايا
وانى بنت عمك يا مسمى	ومثلى ليس يوجد فى البرايا
أتانى دير أخاك فى غيابك	يريد فضيحتى بين الصبايا
قبضت عليه من عنقه فولى	راح بسرعة وسط الخلايا
ألا يا أمير قول لى كيف تعمل	فاقتله وأورده المنايا
وان لم تقتله حالا فانى	أروح اليوم من وسط النجايا
تبقى الناس تشتم فى قفانا	وتبلى بالدواهى والرزايا
وهذا الامر لا يصلح لمثلك	كريم الاصل عقار المظايا

فاقتله واخلص من بلاء ولا نخشى آثام ولا خطايا
فقتل الزير أصوب من حياته لانه خائن دون البرايا
فلما سمع كليب منها هذا الشعر والخطاب غاب من الصواب وأرسل أحد الرجال ليأتيه
بأخيه الزير في الحال فذهب الرسول واستدعاه فامتنع عن الحضور لانه كان في الوقت
يشرب الخمر مع جلسائه وهم في فرح وسرور فرجع الرسول على الاثر وحدث الايركليب بذلك
الخبر فزاد كدر على كدر وأرسل الرسول اليه ثانيا فاحضر فعند ذلك سار كليب اليه وقد
عظم الامر لديه فلما دخل عليه نهض الزير فسبه كليب وشتمه وضربه حتى آلمه ثم نزع عنه
ثياب الحرير حتى صار معيرة للكبير والصغير وأرسله مع الرعيان ليرعى النوق والفصلا
ورجع الى الجليلة وأعلمها بما فعل مع أخيه المهمل فلما رأت أنه لم تبلغ الأمل رادت غما وكدرا
وأخذت تدور على هلاكه بحيلة فقالت ذات يوم الى كليب أما تخشى من الهتيك والعيب أما في
رأسك نخوة وفاموس من جهة أخيك المهان المعكوس فقال لها ما معنى هذا الكلام ما هو المراد
بهذا التوبيخ والملام قالت بلغنى من بعض الغلمان الذين يدورون مع الرعيان بأنهم فعلوا به
القبيح وأنت جالس مستريح ليس عندك علم ولا خبر وقد تحدثت فيك جميع البشر ثم
شرحت له واقعة الحال بهذا الشعر والمال

تقول الجليلة	يا محفوظ	أنا في علم	بجال أخوك
وشاع العلم	بكل القوم	غنى الناس مع الصعلوك	
وصار الناس	بقييل وقال	وكل البدو عليك ضحوك	
أنت أمير	كبير القوم	وقيس وحمير قد هابوك	
فكيف يكون	أخيك الزير	وقومه من أجله يحفوك	
كيف يهابك	رأس يقوم	والرعيان لقد عابوك	
فاقتل أخيك	بسيفك	والا قومك قد لاموك	
فكل العالم	فحكى فيه	يقولوا الزير بقى مهتوك	
فهذا الاخ	ومثله الف	بيوم الضيف فها عابوك	
أخاف يقول	كل أهله	ومثله والعالم يشكوك	

فلما فرغت الجليلة من هذا الشعر ووقف كليب على حقيقة الامر التهب فؤاده واضطرب من
شد يد الفيظ والغضب وأخذته الحمية وعصفت في رأسه نخوة الجاهلية وقد صمم النية على أن يقتل
أخاه ويسقيه كأس المنية فقالت الجليلة لا تقتله بيدك يا أمير لأن كلام الناس كثير فالأوفى أرسله
الى وادى العباس وهو مكان منقطع عن الناس كثير الغزوة والاسود قتله هناك وتعود

فترسه الوحوش وتتخلص من كلام العباد فقال هذا هو الصواب والامر الذي لا يعاب
ومن وقته ركب ظهر جواده واعتد بآلة حربته وجلاد، واستدعى الزير اليه فلما مثل بين
يديه قال له مرادى اذهب للصيد والقنص لا زيل ما قلبي من الغصص فسر امامى وامشى
فدامى فامثل امره وسار حتى وصلا إلى الوادى المذكور وهو مكان مهجور ومازالا
سائران حتى صارا في وسط ذلك المكان وإذا بجواد كليب قد شخر ونخر وضرب بحافره
الأرض وتأخر وإذا بسبع من بطن الوادى قد ظهر فبأراه الا ير كليب هجم عليه بالجواد
ورماه بالرمح فاخطاه فنبهه الاسد فانهمز كليب من أمامه خوفا من العطب فلما رأى
الزير أخاه قد هرب تقدم نحو الاسد بقلب أقوى من الحجر وطعنه بخنجر كان معه ففده
قسمين وأخرج قلبه فأكله وصاح على أخيه ارجع لا تخاف فرجع كليب وهو بهتة ساجد من أفعال
الزير فزل عن ظهر الحصان وقبله بين عينيه وصفا له وقال في سره من يكون له أخ مثل هذا
البطل فان عاش هذا الغلام يكون من عجائب الأيام ثم رجع هو وأخيه فلما رأته الجلييلة قالت
لماذا رجعت فاخبرها بواقعة الحال وكيف أنه قتل الاسد وقيل الذي يكون مثله لا يستاهل
القتل بل يجب له الإكرام ثم أشار إليها يقول وعمر السامعين يطول

يقول كليب من صفوة ربيعة	شديد البأس وعزم رجيع
كريم الأصل سلطان متوج	وفى طارق الكرم ماني شجيع
لا يا بنت عمى باجليلة	ألا يا صاحبة الوجه الملبيع
فكر السبع نحو الوزير هاجم	فعاد الزير واقف مستريح
ولما قد دنا منه وقارب	فعار عليه كالسبع الجريح
طعنه الزير بالخنجر ففده	والقاء نلى الغبرا طرح
قلبا شفت هذا الفعل منه	علت بانه فارس رجيع
رجعت اليه من فرحى سريعا	وصحت عليه في قول ملبيع
مهمل يا مهمل يا مهمل	فانت اليوم أولى بالمدبح

(قال الراوى) فلما فرغ كليب من شعره زاد كدرا الجلييلة وقالت لكليب وهى تبكى مادام
الامر كذلك فاني ساذع بهم نار غدا إلى بيت أعلى وأعلمهم بما ظهر من الزير في خفي فهم يقتلوه لأنى
لست لقنه على نفسى إذا بقيت عندك لانه لا بد أن يغدر بي لأن عيونه محمرة على وأنت بعد كل هذا
ليس لك نخوة ولا ناموس فقال لها اذكرى الله يا جلييلة ودعينا من هذا الامر فكيف اسمع
بقتل أخى وهو من لحى ودى ولا سيما أنه شديد البأس ومن أشجع الناس فاذا قتلته أفضحت
بين العرب وتحدثت في الناس لا بد من قتله على غير هذه الطريقة وهو أن تأخذه

إلى بير صندل السباغ وتدليه بجبل على أن ينشل الماء وحينئذ تقع الحبل في البير ويموت
ولا يعلم أحد وأشارت تقول

ما قالت الجلييلة بنت مرة	ودمعى فوق وجناتى غزارة
أخوك الزير ما هو كثير فالح	يلعب مع وليدات الصقارة
أخوك الزير شوفه مثل ضبع	كما المجنون يلعب بالحجارة
قتل الزير أحسن من حياته	ولا تهلك ما بين الأماراة
أقتل هذا رضى لا عاش عمره	دا هفيه فى حسامى خسارة
أنت ابن عمى نور عيني	وشورى لك ما هو تشارة
ما قالت الجلييلة بنت مرة	وفارى علقه من زى شرارة

(قال الراوى) وكان كليب يحب الجلييلة حبة عظيمة وكان لا يتخالفها فى أمر أبدا
ولما ألحت عليه وافتها على ذلك إكراما لحاظها فنهض فى ثانى يوم ركب جواده وأخذ
فى صحبته أخيه الزير ومائة من الفرسان وسار بهم الى بير صندل السباغ وعند وصولهم
قال كليب يا زير سالم خيولنا قد عطشت فرادنا أن ننزل ونسقيها وأنت تنزل إلى البير فتملأ
لناكم دلو فقال حبا وكرامة يا أخى فدلوه فى جبل وأخذ يل الادلية وهم ينشلوه ويسقوها
حتى ملؤا الحوض الذى على باب البير وجاءوا بالخيول ليسقوها فتراحمت على بعضها البعض
وأخذت بالاصهيل والازدحام فعجز كليب وجماعته عن ردها عن بعضها البعض فسمع وهو فى
البير صهيل الخيل وجمعيرها فصرخ الزير بصوت مثل الرعد الفاصب حتى ارتجت منه الوديان
 واضطربت منه الفرسان فجعلت الخيل وتأخرت وأهصأت عن بعضها فلما رأى كليب ما فعله
أخوه سالم تعجب غاية العجب وندم على ما فعل وفى الحال أخرجه من البير وزادت محبته
عنده ورجع به إلى الديار فلما رأى أنه الجلييلة غابت عن الوجود من شدة الغيظ وقالت
لكليب بارك الله فيك أهكذا كانت المفارقة فقال لها والله يا جلييلة من كان هذا الفعل فعله
يحرم قتله ثم حدثها بما جرى وأنشد يقول وعمر السامعين يطول

يقول كليب من شعر قيس	قصيد ما نظمته قط . قائل
جلييلة اسمعى يا بنت عمى	أرى عقلك بهذا اليوم زائل
أقتله ليشنى اليوم قلبك	ومنه قد نظرت أنا فعمايل
سباع الغاب هابت من اقاه	كذلك الخيل صبرنا جنائيل
ثلاث الوف يلاقاهم بصدرة	من الشجعان فرسان القبائل
تقولى أقتله وأرتاح منه	فقولك جهل ما هول عاقل

فاني لا أبيعك بالف مثلك ولو مهما جرى منه فعابيل
أراك تطلي قتلته سريعا فقولاك ليس عنه دلائل
فقولاك يا جليلة قول باطل فحاشي الزير أن يتبع رزايل
فقل من كلامك لا تعيدى أيا بنت الأماجيد الاصيل

فلما فرغ كليب من شعره ونظامه وفهمت الجليلة هوى كلامه اغتاضت في الباطن ولكنها
أظهرت السرور وقالت أنا قصدي أمتحانك لا أرى هل تحبه أو تبغضه لأنه فصيح اللسان ومن
أشد الفرسان وأخذت تمازح كليب بكلام النفاق حتى صفا قلبه وراق ثم أنها صبرت مدة أيام
وبعد ذلك أظهرت على نفسها أنها مريضة فرقدت في الفراش وقالت إن لي حاجة إليك ولا
يقدر عليها سوى أخوك الزير فقال لها وما حاجتك قالت أريد كأسين من حليب السباع
لأنه يقوى الأعصاب وأنا في غاية الضعف والعناء وقد وصفت لي دايتي هذا علاجاً لمرضى
وقالت أن هذا الدواء يأتي لي بولد ذكر

(قال الراوى) وقد صدق كليب وأرسل في الحال يطلب الزير فدخل وسلم عليه وقبل يديه
وقال بقلب جسور أنا عبد مأمور ولا أخالفك بأمر من الأمور فاعله كليب في واقعة الحال
وقال أريد منك يا أخى تأخذ هذا الحق الصغير وتملأه حليب لبوة فقال على الرأس والعين
لكن يا أخى اعطني سيفاً أتسلح به خوفاً من هجوم السباع فقال كليب للجليلة أن تعطيه
السيف فقالت ألا تستحق يا زير أن تطلب سيف وأنت في هذه الشجاعة فحجل وأطرق
رأسه وسار من وقته وساعته وتأكد عنده أنها تريد هلاكه وضرره وما زال يسير حتى
وصل غابه كبيرة وكثيرة الأشجار وليس معه سوى سكين وعصا فبينما هو ينظر من خلف
ومن قدام وإذا بأسد قد ظهر وهو هائل المنظر وعيناه تكدح بالسرور

(قال الراوى) فلما اقترب عليه قبض عليه الزير من ذيله ونشله بقوة ساعده وزنده ولوحه
بيده مثل المقلاع وخبط به الأرض عظامه ثم نزل عليه بالعصا حتى قتله وأراد أن يمز
رأسه وإذا بلبوة أقبلت عليه ومن خلفها سبعة أشبال فلما رأت ذكرها قدمات احمرت عينها
فاراد الزير أن يلاعبها قليلاً وقد علم أنها مفتاة فجعل نفسه خائفاً منها فركض من أمامها فتبعته
وكان قد وصل إلى شجرة كبيرة فطلع إليها وبقيت هي تنظر إليه وهمهم ثم أقبلت أشبالها يرضعون
من ثديها فوجد الزير لها ندى مثل الحق فقال هذا الذى طالبه أخى منى وأراد النزول فقال إن
نزلت تفترسنى من رجلى ثم رمى نفسه من الشجرة فجاء راكباً عليها فتقبض عنقه من رة تهاوألصق
رجليه ببطنها بقوة وعزم شديد حتى لم يعد لها سبيل أن تتحرك من مكانها ثم حسب السكين وهو
يضحك ونحرها كما ينحر الجزار الغنم وملاحق من لبنها وقطع رأسها بعدد بظ أعناق أشبالها
بالحبال وساقهم أمامه كالكلاب فلما أقبل إلى الحى ورأته فرسان العرب اصحاب المنصب

والرتب واستعظمو ذلك الامر واعتراهم العجب وعند وصوله إلى القصر سمعت الجليلة للضجة فطلت رأسها من الشباك فرأت الزير وهو مقبل على تلك الحالة فالتفت قلبها بنار الغضب لأنها كانت تظن أنه يموت أو بهلك ثم دخل الزير إلى الجليلة وكان كليب جالس معها فلم عليهما وأرى الرأس أمامها وقدم الحق لامرأة أخيه وقال لها هل تريدن شيئاً آخر حتى أقضيه فقالت بارك الله فيك يا سبع الرجال فمالك تستحق المدح والثناء وكان كليب لما رأى رؤوس السباع تعجب من قوة قلبه وشدة بأسه وقال له كيف عملت وإلى أين وصات فأشار الزير يقول

يقول الزير قهار المواكب	رمانى الدهر فى كل المصايب
فلا تسمع أخى قول الأعادى	لأن الضد شورة ليس صايب
يشور عليك فى رأى وخيم	يسقوك أخى كاس المماطب
قاهل المقل لا تسمع لأشئ	لأن كلامهم لا شك كاذب
فاعلم يا أخى فيما جرا لى	بهذا اليوم فى وادى الثعالب
وجدت سبع فى وسط الغاب دائر	كأنه جانع للصيد طالب
فلما شافنى حالاً أدنى	وكشر عن سنانه المخالب
فصحت عليه صيحة جاعلته	تقدم يا أخى هاجم وطالب
حززت بمنجى رأسه فاهوى	على وجه النرى بالأرض قالب
أنتنى بده لبوة مغيرة	فلما شفتها وليت هارب
رأيت شباهها سبعة وراها	فداروا لبحق من كل جانب
فلما شفتهم جاؤا لنحوى	طلعت اشجرة ذات انشاغب
فداروا حولها فرميت نفى	فصرت لظهرها بالحار راكب
حززت لرأسها ومليت نفسى	حليبا بعد أن كنت المأرب
ورأس السبع واللوة قطعته	علامة للأغار والأقارب
وسقت ولادها السبع أمانى	فلما صرت فى وسط المضارب
فلاقتنى جميع رجال قوى	وحيتنى الأقارب والأجانب
وهذا ما جرا لى فى نهارى	وما قسيت من هول المصايب

قال الراوى فلما فرغ الزير من شعره ونظامه وأخوه كليب مع الجليلة يسمعون كلامه ففضضت الجليلة من كلام الزير كيف أنه لمع فى شعره عليها فقالت فى سرها لا بد أن أعمل على قتله وبمذهابه قالت لزوجها كليب كيف يعرف انى ساعة فى قتله ولم يكن عارف بما فعله معى فوالله إن الموت ألد عندى من الحياة فلا بد أن أشتق نفسى وأستريح من جور أخيك القبيح ثم صارت تصيح وتبكي فقال كليب اخزى الشيطان ودعينا من هذا الكلام الآن وأخذ يتلطف

أطرها ويقول لها كم مرة من الأمرار أرميناه في الأخطار وهو يرجع سالماً كما سبأنا فما فقالت
لليلة مرادى أن تسمع منى ما أقول لك الآن ولا عدت تسمع منى غير هذه المرة وهو أن تجعل
سك مريضاً وترقد على الفراش فإذا أباك الزير حتى يراك فتقول له أصابك مرض شديد
وصفت لك الأطباء شربة الماء من بين السباع فإذا سمع منك هذا الكلام فتأخذ النخوة
الغيرة ويذهب في الحال لقضاء حاجتك فإذا راح لا يعود يرجع أبداً من كثرة وجود السباع
ذلك المكان والكثرة تغلب الشجاعة فيفسد ترسو في الحال ونكون بلغنا الآمال لأننى كلما تذكرت
يد أن أحقق حالى والغرض عند الحرنالى أنشدت تقول من فؤاد مبتول وعمر السامعين يطول

ألا اسمع لقولى ما أقولك على علم الصحيح أنا أدلك
أخوك هبيل مايسوى السله ولو قلع الجبال والف نله
فارسله غدا لير ضد وان أرسلته لهنالك يقتل
وقلبه مستريح مدى الدهر وتحظى بالمقاصد والسرور

فلما سمعها أجابها الى مرامها وانقطع عن الدبوان ومقابلة الناس وجعل نفسه مريض
أقام بالفراش أيام ولما شاع الخبر وعلم الزير بذلك تشوق خاطره لأنه كان يحبه محبة عظيمة
دخل عليه فرآه راقد فى الفراش وهو بين من قلب حزين فقال له سلامتك يا أخى ثم جلس بقربه
هو يتوجع عليه ويتأسف ويسليه بالكلام فقال له كليب أعلم أن مرضى شديداً وأنا خائف منه
قد وصفت لى الأطباء شربة من ماء بير السباع فإن شربتها شفيت من هذا الداء وليس لى غيرك
أخى من يأتينى فإن كنت تحببى أريد منك الآن يا فارس الفرسان وقهار المدائن ساحة الميدان
ن تذهب الى ذلك المكان وتأتينى بالمطلوب والمقصود من بير الأسود فقال الزير أبشراً أمير
م نزل من عنده وجاء بقربتين فحزمهما على حمار ساقه أمامه وجد فى قطع القفار الى أن وصل
لى بير السباع وكانت السباع فى ذلك الوقت سارحة فى البرية سوى سبع واحد كان راقد على
مافة البير وهو واضع بديه على فهو نايم فقال الزير فى سره هذا نايم وعيب على أن أقتله غداً فركب
فك القرب وربط الحمار من يده ورجليه ونزل البير من الدرج فلا القرب واتفق أنه عند نزوله
ق الحمار فوعى السبع ولما رأى الحمار هجم عليه وضربه بمخلبه فقتله وجعل يأكله فلما خرج الزير
ن البير ووجد السبع قد قتل الحمار وهو يأكله اغتاظ جداً فوضع القرب على الأرض وقعد
ور السبع كالحديد وقال له يا ويلك يا يشوم الناصية كيف تأكل حمارى أما علمت ببطشى
أقتدارى فو حق ذمة العرب لا بد تحمى لك القرب وكان الأسد قد وثب اليه ونمض على رجله
التقاء الزير بالعصا وضربه ضربة شديدة وقمت على رأسه فدوخته فوقع على الأرض طائشاً
جاء الزير بالحبل ولجأه لجأ ما قويا ووضع عليه بردعه الحمار على ظهره ووضع عليه القرب ورفسه
رجله فنهض مثل السكران فقال له الزير يا قليل الأدب الذى يأكل حمار فرسان العرب فهو أوله

أن يحمل القرب وركب على ظهره وساقه مثل السكاب وكان كلما عرج عن الطريق يضربه
بالمصا على رأسه حتى طاعه قهرا ثم سار وجد في قطع القفار حتى اقرب من الديار فعند ذلك



ما جرى له مع أخيه والامس وكيف أنه عاد ظافرا منصورا فجاء الشعر في خاطره فانشد يقول
أنا مهمل فعزى يفاق الحجرا والانس والجن نخشى سطوق حذرا
قالوا أحوك كليب اليوم منطرحا على الفراش ضعيف الجسم والبصرا

فجثته عاجلا حتى أسأله والعقل في حيرة بما عليه جرى
قلت له كيف حالك أنت أخبرني فقال لي يا مهلهل كيف أنت ترى
أريد شربة ماء اطني بها ظمئى من يبر صندل يزول الهم الكدرا
فسرت حالا لذاك البير في عجل قبلت قصدى وعدت اليوم مفتخرا
هذى فعاله وكل الناس ترهبني حتى الأسود وأهل البأس والأمرأ

(قال الراوى) وما زال ينشد الأشعار حتى وصل إلى الديار وهو راكب أسدا غير
مبال بأحد لانه بلغ المقصود وفعل أفعال تعجز الفرسان ولما دخر الحى جفلت الخيل
والجمل والناس لما رأو الأسد على تلك الحال وتصايحت الاولاد والبناات وسمع كليب
والجليلة تلك الضجة فظلا رأسهما من الشباك بهذا البطل ان يقتل فقد جاء بالاسد وعلى
ظهره القرب وهذا أعجب من العجب فاشتغل قلبها حتى كانت تموت ثم نزل كليب اليه
وقبله بين عينيه وقال له الله درك يا فارس الميدان وزينة الأبطال الشجعان وبعد ذلك
أسأله عما جرى وحصل فانشد الزير وقال

يقول الزير أبو ليلى المهلهل ودعى فوق وجناتى سواجم
ذهبت اليوم نحو البير قاصد أجيب الماء يا ابن الأكارم
وجدت السبع قرب البير رافد فقلت يخاطرى إذا السبع نائم
نزلت البير أمير منه ماء وربى بالذى قد قلت عالم
ملأت للفربتان وعدت حالا لارجع للقبيلة والمعالم
وجدت السبع قد أكل البهيمة ضربته بالعصا فعاد نائم
وحملت القرب من فوق ظهره وجثت اليك يا فخر أكارم
أطال الله أيامك وعزك على طول الزمان وأنت دائم

فلما سمع كليب منه هذا المقال أجابه على شعره وقال

يقول كليب اسمع يا مهلهل فمالك من مثل في العالم
سباع التى خافت من قتالك ووات في الفلا منك هزائم
سألت الله أن يحفظك دوما ويحظى بالسرور وبالغنائم
فقم البس ثيابا من الحرير وأفعل ما تريد يا ابن الأكارم
خى ما عاد عندي أعز منك وحق الله خلاق العوالم

فلما فرغ من كلامه أنزل الزير عن ظهر الأسد وضربه بالسيف القاه قتيلا ثم قطع

وأخيه وطرحه أمام أخيه وقال الله أكبر فقد أخذنا بشار الحمار وذهب عند أخيه فقام له على
الافدام وأكرمه غاية الإكرام فقال له كليب ذات يوم اطلب يا أخى مهماتريد فان شئت مدينة
أوهبتك إياها وامرأة جميلة أزوجهك إياها فالى جميعه بين يديك فلا أبخل بشيء عليك
لأنك اليوم مساعدى وزندى وأنت الحاكم من بعدى فقال إني أريد سوى سلامتك
والذى أريده منك أن تأمر لى بصيوان يكون كبير ومفروش بالفرش الفاخرة تنصبه لى
عند بير السباع ويكون عندى جماعة من الخدام يقدمون لى ما أحتاجه من الأكل والخمر
لأنى أقرد عن باقى الناس وأكون وحدى خصوصا من كيد النساء وعندما تشتاق الى
تزورنى فقال كليب ما هذا العمل فوالله ما عادلى صبر على فراقك يا مهمل ولا عدت اسمع فيك
كلام الاغدى اللثام فابقى عندى فى العز والاكرام فقال يا أخى قد صممت النية على الاتحال
قان الانعزال أفضل للرجال الاحرار ولا سيما قد صار لى على السباع ثار على قتل الحمار
ولا بد لى من قتل جميع الأسود أو ان الحمار يرجع ويعود فضحك كليب من كلامه وتعجب
وأمر له بما طلب وقدم له جوادا من أطيب الخيول وجميع ما يحتاج اليه من السلاح والنصول
والماكول والمشروب وأرسل معه عبدان يخدمانه ثم ودعه وسار حتى وصل إلى بير السباع
فنصبوا له الصيوان وأقام فى ذلك المكان وهو يأكل ويشرب السام وكان فى كل يوم يلبس
عدته ويركب جواده ويصيد السباع وكان كلما قتل أسد يقول بالثرات الحمار وما زال على
تلك الحال حتى أفنأهم وبني له قصرا من رؤوسهم فلما طيل عليه الزمان أخذه القلق والضجر
لاقتراده عن البشر وكان بينه وبين همام بن مرة محبة ووداد فزاره الامير همام فى بعض
الأيام ففرح بقدمه عليه وقال أهلا وسهلا يا بن العم وترحب به غاية الترحيب وقال له
لقد ضاقت نفسى من الوحشة والانفراد فوالله ما دمت أديعك تذهب من عندى أبدا وكان
ينشدان الاشعار فى الليل والنهار ومازالوا فى بسط وانسراح وطرب وأفراح وشرب
مدام وسباع أنقام مدة ثلاث أعوام هذا ما كان من حديثهم فى تلك الأيام

(حرب السبوع بين بنى بكر وتغلب)

(قال الراوى) وأعجب ما اتفق وتسطر من الاحاديث التى تروى وتذكر وحديث العجوز
للشاعر أخت الملك تبع حسان الذى قتله كليب كما شرحنا قبل الآن وهى المرأة التى ذكرها تبع
لكليب فى ملحمة بانها سوف تظهر بعده وتلقى الفتنة فى القبائل وبسببها يقتل كليب وتثير
الحرب بين بنى بكر والى يلقى عشائر العرب وكانت هذه العجوز من عجائب الزمن وغرائب

الأوان ذات مكر واحتيال وخداع ساحرة ما كره وكان لها أربعة أسماء سعاد وتاج وبخت وهند
والبسوس وكان التبغ عن ولادتها سماها سعاد لأنها في يوم ولادتها وردت اليه أسواق السبعة
أقاليم وأما سميتها تاج وبخت وهند لأنها كانت تأكل كثيرا من جوز الهند وكانت مع هذه
الأوصاف القبيحة جميلة المنظر فصيحة الكلام شديدة البأس ولما كبرت وانتشت وصارت بنت
عشرين سنة فكانت تسارع الطواشيه وتركب الخليل في الميدان وتبارز الأبطال والفرسان فشاع
صيتها في كل مكان ونوردت اليها الخطاب من جميع المدن والبلدان فكانت تقول اني لا أتزوج
بأنسان الا من يقهرني في الميدان فكانت تقهرهم في القتال وتسلم عليهم في ساحة المجال فاقصرت
عنها الخطاب وتباعدت عنها الطلاب وكان قد سمع بخبرها ملك عظيم اسمه سعد اليمان وكان ملك
السرور وابن عم أخوها تبع وهو بطل أروع وليث صميد وصاحب مدن وبلدان وجيش وفرسان
فهام قلبه في جهاد فركب في جماعة من أبطاله وصار قاصدا ديار ابن عمه تبع ليخطب أخته سعاد فلما
وصل الى تلك البلاد رحب به الملك تبع وأضافه ضيافة عظيمة لأنه ملك وأمره نافذ في قبائل
العربان فلما كان اليوم الثالث قال سعد للتبع اعلم يا بن العم بانى حضرت من بلادى لاخطب أختك
سعاد الدرة المصونة والجوهرة المكنونة فلا تردنى خائبا لأنها بنت عمى ومن لحمى ودمى وأنا
أحق بها من كل أحد فقال تبع بآنى أرغب بذلك الاعلى هذا الشرط فعند ذلك دخل عليها ليخبرها
بقدم الأمير سعد ابن عمها وأنه قد جاء بخطبها ليتزوجها بعد أن يبارزها ويحاربها فاجابته الى
ذلك المرام وفي ثانى الايام اعتدت بآلة الحرب والجلاد وركبت على ظهر الجواد وبرزت الى
الميدان ومحل الضرب والطعان وكان الأمير سعد قد ركب حصانه وبرز الى الميدان والتماها
بقوة قلب وجناؤا أخذوا يتقابلان نحو ساعة من الزمان وكان الأمير سعد صاحب نخوة وحمية
ومن أشد فرسان الجاهلية فحاربها حتى اتعبها ثم اقتاعها من نحو سرجها فاقرت له بالعليه بعد ذلك
تزوجها أمام الحفل ٧ أيام ورجع بها الى بلاده وكانت قد أخذت معها جميع ما تملكه من
متعة أموال وعبيد وغلبان وأقامت مع زوجها في أرغد عيش وهنا مدة عشرين الى أن عمى
وفقد البصر فصارت يحكم مكانه وأطاعتها العرب وعظم أمرها واشتهر ذكرها وما زالت على تلك
الحال وهى في أرغد عيش وأنعم بال الى أن كليب قتل أخوها تبع كما سبق الكلام فلما بلغها هذا
الحرب أخذها القلق والضجر وتنقص عيشها وترمو وقالت لا بد لى من المسير الى تلك الديار وقتل
كليب الغدار فاذا قتلتها انظفت نارى وأكون قد أخذت بثارى فاقامت مكانها وكيلا يحكم بالنيابة
عنها وركبت هى وزوجها وماته وأخذت معها عبدان وما زالت تقطع البرارى والاكمام حتى
صلوت الى بلاد الشام فسألت عن حلة بنى مرة فارشدها اليها فلما صارت هناك قصدت الأمير
جساس دون باقى الناس ودخلت عليه وهو فى الديوان وحوله جماعة من الأمراء والأعيان

فتقدمت اليه وسلمت عليه ودعت وترحمت وبأفصح لسان تكلمت وقالت أدام الله أيامك وورع
على ملوك الأرض قدرك ومقامك وبلغك ربك منك ونصرك على حسادك وأعدائك
فتمعجب جساس من فصاحة مقالها فأثنى عليها وسألها عن حالها فقالت اننى شاعرة أطوف
القبائل والعشائر وأمدح السادات والأكابر وقد سمعت بجمودك وكرمك ولطفك
ومحاسن شيمتك فأنتيت الى دارك حتى أعيش فى جوارك وأكون مشمولة بأنظارك
ثم أنها بعد هذا الثناء والمدح أشارت اليه بهذا الشعر الفصيح

تقول سعاد من قلب مومع	زمان السوء أيقانا زلائل
وبعد علانا صرنا غصاصا	وبعد الكثرة قد صرنا قلائل
وبعد العز قد صرنا أذلا	وبعد السمن قد صرنا هزائل
وذا يبكى وذا يضحك ويلعب	وبعد السمن قد صرنا هزائل
فسبحان الذى قدر علينا	ودا يندب عياله والخلائل
فبعد ان كنت فى خير ونعمة	بفرتنا وتشتيت الشجائل
أدور على المناصب والأماره	دعانا الدهر كالطلاب سائل
سمعت يذكركم يا آل مرة	وانزل فى القرايا والمنازل
أيا جساس يافخر البرايا	يا كهف اليتامى والأراذل
فعدنك لا تخيب فيك ظنى	أيا ابن الأماجد الاصائل
فاجبر خاطرى ربى يهبرك	وبعطيك السعادة الفضائل
فكم أوهبت من مال ونوق	وكم فرقت من خيل أصائل
فانت اليوم بين الناس فردا	ثناء مشاع فى كل القبائل
عديم المثل ما بين الامارا	وفيك تفاخرت عربان أوائل
عساك اليوم تتعم لى بمال	ولا تصفى الى واش وقائل
فارجع بالفتايم والعطايا	وبالخيال المسومة الصوامل

(قال الراوى) فلما فرغت المعجوز من شعرها ونظماها وفهم جساس فحوى كلامها قال
لها مرحبا بك يا معجوز الأرض ارضى والديار ديارى وأنت نزلبنى فى جوارى فكل
تعدى عليك فتنته ولو كان من سلاطين الزمان ثم أشار يترحب بها ويقول

قال جساس بن مرة يا معجوز	مرحبا بك جاورينا بلا بطا
مرحبا بك مرحبا بك مرحبا	عدد ما مشتت الركائب بلا بطا
فى قدومك حلت البركة لنا	فابشرى بالخير مع كثير معطا
اسرحى ثم امرحى فى حيننا	ما أغىظك لو بدا منك خطا

(قال الراوى) فلما فرغ جساس من كلامه دعت له العجوزة بالنهر وقالت فى سرها والله لقد نلت المراد بعون الله وأقامت عنده مدة شهرين وجساس زايد فى إكرامها وكانت قد رأت إنفاق القوم مع بنى مرة رهم فى محبة عظيمة واجتماعات كثيرة فها هو عليها ذلك الأمر فأخذت تلقى الفتنة والفساد بين الأمراء والقواد حتى زدق بينهم الشر والنزاع ولما أشد الأمر اجتمعت أكابر الناس بالأمير جساس وأخذوا يشكون له من بنى ثعلب وعن سوء معاملتهم وأهم يعتدون عليهم فى الارقات بدون سبب وهذا كله من يوم قتل كليب التبع اليماني وامتد ملكه فى أقطار فابتدأ يحجور ويظلم ولا يحسب حساب أحد وهكذا قومه أيضا تفعل كفعله وكان مرادهم بهذا الكلام حتى يحسوا الأمير جساس ويهيجوه على قتل كليب ولكنهم لم يصغ لهم أو لم يطاوعهم على مرامهم وقال لهم إنه من الصواب إن اجتمع أولا مع ابن عمى كليب وأعلمه بتعدياته قومه وحررم علينا فان وجدت كلامه قاسيا يكون هو السبب فى تقويتهم وإن أمر بتأديب المتمردين نكون قد نلنا مرادنا

(قال الراوى) وما زالت الفتنة بين الفريقين تمتد واشتد حتى سمع كليب بأن بنى مرة هم أصل ذلك الخصام أهم كل يوم فى جمعيات فضاق صدره وأرسل جساس بذلك الغير طالبا منه أن يبادر بالحال بقصاص المذنبين وتوقيف الحركة وإخراج تلك العجوز من القبيلة التى كانت سببا لهذه الورطة الويلة فاعتاظ جساس من ذلك وعلم أن أصل ذلك البلاء من كليب فلم يجبه بكلام ولا بخطاب وأخذ جساس من ذلك اليوم يجمع الجوع ويفرق على قومه السلاح ويقويهم آلات الحرب والكفاح وبلغ ذلك الأمير كليب فازداد كدوره واحتار فى أمره وحس بزوال ملكه وكان قد تذكر أخاه الزير فارس التحرير فركب من يومه فى جماعة من الفرسان وقصد ببر السباع فوجده جالسا على السفرة مع ابن عمه همام وهما يتناشدان الأشعار ويتجادلان فهضا على الافدام وجلساه فى أعلى مقام وفرح الزير بقدم أخيه لأنه كان له مدة طويلة غائبا عنه غير أنه علم بأن مجيئه لم يكن بانج إلا عن سبب ضرورى وبعد أن جلس قليلا قال كليب للزير أعلم أخى أن سبب مجيئ اليك أولا لاجل المشاهدة وثانيا حتى أأخذك إلى القبيلة وأقيمك ملسكا مكاني لأنى كبرت ولم يعد لي طاقة ولا سببا قد تغيرت الأحوال ووقع بين الطائفتين النزاع فاشتغل من القلب والبال فقيم الآن معى ياسيد الفرسان فقال الزير والله لقد اشتغل بالى هذا المقال فعند ذلك أنشد كليب وقال

أخى سالم أسمع ما أقول ففكرك دبره والذهن ليا
أراك اليوم فى زمر ولهو ولا تدري بما قد حل فينا

بنو قيس لقد وقموا بخلف وجساس نوى يركب عليا
فقوم وشد عزمك يامهلل لانك أنت جبار عتيا
ولا راحت البلدان منا وصرنا معيرة عند البقية
(قال الراوى) فلما فرغ كليب من شعره ضحك الزير حتى استلقى على ظهره فقال كليب
وما هو ضحكك قال لقلة عقلك قال أنا قليل العقل قال نعم لولم تكن قليل العقل ما كنت تكلمت
بهذا الكلام بعد أن نظرت هذا القصر الذى هو أملك قال وما يكون هذا القصر قال المهملل
هذا قصر قد بنيته من رؤوس السباع الذين قتلهم بشار الحمار ومع كل ذلك أنت ملك عظيم
وصاحب ولايات وأقاليم فكيف أنت تكون خائف وفزعان وأخوك المهملل فارس الفرسان
فكن فى أمان واطمأنان من نوائب الزمان فان كنت بشار الحمار الذى ليس له قدر ولا
مقدار بنيت قصرا من رؤوس السباع ألا أبى رؤوس الأعداء مداين وضياع وحصون
وقلاع فاذهب بالسلام ولا ترتاع ثم أجابه على شعره يقول

يقول الزير أبو ليلى المهملل أنا فى الحرب لى عزيمة قويا
سباع الغاب خافت من قتالى وتخشاني ولم تقدر عليا
فاذهب يا كليب ولا تباع واحكم على القبائل بالسوية
فان جارت بنو بكر وخانت فلا أنرك أخى منهم بقية

فلما سمع كليب شعره وأختار من فعله وندم على محبته ثم كرر عليه السؤال وطلب منه أن
يسير معه خوفا من حدوث أمر من الأمور فقال الزير سر أنت أولا وأما أتبعك فيما بعد فقال كليب
لماذا لا تسير الآن قال لا أخفاك لما حضرت إلى هذا المكان قتلت جميع السباع عدا سبعين أو ثلاثه
فتى قتلهم أدركك فى الحال إلى طلال فعند ذلك ركب جواده وسار وسلم أمره لواحده القهار
إلى أن وصل إلى الديار وهو فى افتكار هذا ما كان من أمر كليب ويرجع الكلام والسياق
إلى حديث الشاعرة الساحرة الماكرة فانها لما أثارت الفتنة بين القوم صار عندها بنى مرة
ذلك القول وجميع كلامها عند جساس مقبول أخذت طاسة من الفضة وملأتها من المسك والزباد
والعطر وخفقت الجميع فى بعضها البعض ثم عادت إلى ناقتها الجربانة أخذت تظلى أجنابها ودهنتها
بذلك الطيب وأمرت بعد العبدان يأخذها للرعى ويمر بها قرب صوان جساس فى الصباح
والمساء وأوصته إذا سأله أحد عنها وعن سبب رايحتها يقول له لا أعلم إنما مولاتى تلم فاخذ
العبد الناقة وممن ذلك المكان تعبت الرائحة الطيب واستنشق جساس الرائحة وكانت ذكية جدا
فتعجب وكان قد نظر إلى تلك العبد وتلك الناقة فامر باحضار العبد وكان يظن بان تلك الرائحة
حائقة منه فلما حضر وإذا ريمته كرهية جدا فسأله عن تلك الرائحة فقال من الناقة فازداد تعجبا

وسأله عن سبب ذلك فقال لست أعلم يا مولاي ومولائي سعاد الشاعرة تعلم ذلك فقال اجلس هذا امر غريب فاستدعى المعجوز اليه فحضرت في الحال تمثلت بين يديه فترحب بها أمرها بالجلوس فجلست ثم سألها عن قضية الناقة فنهدت من فؤاد موهج وقالت الاجابة أطال الله عمرك وابقاك ان هذه من سلالة ناقة صالح وفيها خواص غريبة يا ابن الاجواد بعرها من المسك وعرقها من الرباد فتعجب جساس من ذلك غاية العجب وقال في نفسه تبارك الله رب العالمين فلا بد لي من أخذ هذه الناقة فافتخر بها على جميع الملوك فقال لها هل تبيعيني أياها يا حرة العزب وأنا أعطيك مهرا نظيبين من الفضة والذهب فلما سمعت كلامه بكى ولطمت وجهها وقالت والله هذا الحساب الذي كنت أحسبه فاني ما هجرت بلادى الا لاجل هذه الناقة وكلما نظرها أمير وملك يطلبها مني ومادام الامر كذلك فاني سارحل من عندك ثم بكى من قلب حزين وأنشدت تقول

تقول سعاد من قلب موهج سقاني الدهر كاسات الحمام
ضنى منى الفؤاد وطار نوى عى بعلى وقد زادت سقانى
أنا حرة ولى يد قصيرة ولا لى قيمة بين الانام
وهذه ناقتى قد شتتني عن الاوطان يا ابن الكرام
فكم من سيد جاء يشترها فمالوا بها نيل المرام
وقد جينا اليكم والتجينا وقلنا قد حظينا بالسلام

(قال الراوى) فلما فرغت المعجوز من كلامها أخذ جساس يتعطف بها ويقول لها أن كلامي معك هو على سبيل المزاح فناقتك مباركة عليك وأنت المعززة المكرمة فقال أريد من فضلك واحسانك ان كنت معزوزة عندك ان تجعل ناقتي دون باقي النواق والجمال لانهما قد تربت وأريد مرعى يليق بها فقال لإرسلها إلى المرعى مع نوقى فقالت أنها لا تأكل إلا من الرياحين وزهر البساتين فقال لها ليس لنا كرم ولا بساتين قلت وهذه السكروم التي أراها بجانب القبيلة من هو صاحبها قال هي لابن عمى كليب زوج أختي الجليلة وهما أخى متزوج بأخته ضياع قالت مادام أنكم أهل وأقارب وأنتم ملك نظيره لماذا يكون كليب أعظم منك فقال لها انه من بعد قتله الملك تنع عظم أمره وتملك على البلاد وطاعته العباد فلما سمعت هذا الكلام قالت والله لقد أخطأت وبئس ما فعلت فاني تركت البحر وأنييت إلى الساقية وتعمدت بالذنب وتركته الرأس فاغتاظ جساس وقال مامعنى هذا الكلام يا حرة العرب فانك قد خرجت عن دائرة الصواب وبادبتنا بقلة الأدب هذا جزاء المعروف والاحسان فقالت لا تغضب وماقول هذا الاعلى سبيل المحبة فكيف يكون بن عمك وصهرك زوج اختك ويمالك كل هذه الأراضى العظيمة وأنت لبس لك عنده قدر ولا قيمة اهكذا نكون الأهل وأبناء الاعمام أيها الملك الهام فقال جساس وذمة العرب وشهر رجب فقد تكلمت الصواب وأنا من الآن

وصاعد لم أحسب له أدنى حساب لأنه قد أعتر وتورد ولا عاد بحسب حساب أحد وأنا لا بد أن أطالبه أن يقاسمى على أملاك المملكة والا ألقية في التهلكة فروحى وأطلقى ناقتك ترعى في أحسن البساتين والمراعى فلما سمعت العجوز الكلام فرحت وانشرح خاطرها فقبلت يده وخرجت من عنده وقالت لعبيدها خذوا هذه الناقة واتركوها ترعى في البستان المعروف بحمى كليب وأجعلوها تأكل الأغصان وإذا أعترض لكم أحد فسبوه وأستموه وإذا اقتضى الأمر اقتلوه ولا تخافوا فقلوا سمعنا وطاعة ثم أخذوا الناقة وساروا بها إلى ذلك المكان

(قال الراوى) وكان هذا البستان روضة جنان وكان كليب قد اعتنى بها حتى صار من أعظم منتزهات الدنيا وكان لا يسمح لأحد أن يدخل فيها سوى هو وأولاده فلما أخذت العبيد الناقة دخلوا بها إلى ملك الحمى بعد أن هدموا الحائط وصاروا يقطعون الأشجار وكانت الناقة أكلت أنمار الكروم وكان حارسا يحرسها اسمه ياقوت فلما نظر الحارس تلك الفعال هجم على العبيد بالعصا وقال لهم اخرجوا يا كلاب من البساتين قبل أن يحل بكم الهوان فشتموه ثم صروه قهرب من بين أيديهم وجاء إلى كليب وأعلمه بواقعة الحال فاغتاظ غيظا شديدا وجاء إلى ذلك المكان ومعه أربعة من العبيد فرأى العبيد أحدهما جالس على سريرته الذى كان يجلس فيه وقت الزهده والآخر مع الناقة بين الكروم والزهور وهو يسب الأمير كليب ويشتمه فعند ذلك اركضت غلمان كليب على العبيد ليقتبضوا عليهما فتركا الناقة وهربا فاحضرت الغلمان الناقة أمام كليب فامر بذبحها فذبحوها وطرحوها خارج البستان وكانت العجوز تغرم مايجرى للناقة ولما شاهدها ما كان من أمرها رجعوا على الاعقاب وكيف أن غلمان كليب ذبحوا الناقة بأمر مولاهم وطرحوها خارج الحمى فقالت الآن قد بلغت مرادى وأخذت ثارى من الاعادى ثم أمرت أحد العبيدين يذهب ويسلخ الناقة ويأنيها بجلدها فصار العبد وسلخها وجاء يجدها إليها فقامت من وقتها ووضعت التراب فوق رأسها وشفت ثيابها وبناتها وعبيدها وجواربها وسارت بهم إلى عند الأمير جساس فدخلت عليه وهو فى الديوان مع الاكار والاعيان وصارت تندب وتبكي وألقت الجلد بين يديه فقال علامك أيها العجوز وما الذى أصابك فحدثته بالقصة وقالت له آخر الكلام لو كنت أعلم بان ايس لك عند بن عمك كليب فقد ومقام ما كنت تركت ناقتى ترعى فى حماه حتى يذبحها بل انى اعتمد على كلامك نظر

لعلى برفعة مقامك بين أفوامك حتى جرى ماجرى بسبك ثم أنشدت تقول
 نقول سعاد من قلب مومج أيا جساس فى عابوا نزالك
 أتيتك اليوم مع أهلى وبلى لحيك ياقى نطلب جميلك

نزلنا في جوارك يا معظم وقلنا ليس في الدنيا مثيلك
فرحت طاعتهم وسمعت قولك ذنبها جئت حالا اشتكى لك
فان كنت لكم ذمة وحرمة فانقض يا أمير وشد حيلك
وخذ حق من الباغى كليب قرب العرش مولانا كذيفك
قلنا فرغت العجوز من كلامها استمعظم جساس هذه القضية وعصفت في رأسه نخوة
الجاهلية وقال له جيز اذهبي يا مان فانا أعرف شغلي هذا ذهبت الى خاما وقد استبشر



ببلوغ مرامها ثم التفت الأمير جساس لمن حوله من الامراء وقال انصرفوا ما فعله
ابن عمنا في حقنا وهو صهرنا فقد أهاننا بهذا العمل وأنا لا بد لي أن أقاتله من هذا اليوم
فاما أقتله أو أبلغ الأمل فقالت أكبر العشيرة تمهل يا أمير فانه لو لم يلم يعلم أنها ناقة
ومن الصواب أن ترسل له كتابا على سبيل العتاب وتطلب منه فئمن الناقة وتنتظر
ما يكون جوابه فان أرسل الثمن واعتذر كان خيرا وإن أبي فحيث تفعل ما تريد

فاستصوب جساس هذا الرأي وكتب كتابا إلى كليب يطلب به ذلك الحال ويطلب منه ثمن الناقة وأرسل الكتاب مع عبده أبو يقظان فأخذ أبو يقظان الكتاب في طريقه مر على تلك العجوز وأخبرها بالقصّة فترجبت به ولاطفته بالكلام وقدمت له الطعام ثم أخذت تسقيه المدام حتى سكر وغاب عن الصواب فعند ذلك قدشت في ثيابه حتى عثرت بذلك الكتاب فقرأته فوجدته كتابا بسيطا خاليا من التهديد والوعد والوعيد فزقته وأضافت إليه كلاما مفيظا وهي هذه الآيات

أمير كليب باكليب الأغارب أيا ابن العم لانكتر عليه
فلاذم أدبحك من حدسني وأنت شبيه حرمة أجنبيه

ثم طوت الكتاب ووضعته مكانه وأقامت العبد فنهض وركب جواده حتى وصل إلى ديوان كليب فنزل ودخل عليه فقبل الأرض بين يديه وناوله الكتاب فاخذه وقرأه ولما وقف على معناه اغتاط غيظ شديدا وأراد أن يقتل الغدر ولكنه كان رجلا عاقلا موصوفا بالحلم والحرام فطرق رأسه إلى الأرض وفكر قليلا في سره وقال لعل الأمير جساس كتب هذم الكتاب رهو في حالة السكر غائب عن الصواب فزق الورقة وأمر بضرب العبد فضربه وقال له اذهب يا ابن اللثام إلى مولاك بسلام وإلا سقيتك كأس الحمام فقام وهو على آخر رمق وركب حصانك وسار عند جساس وقال انه يحال ماقرأ كليب كتابك مزقه وأمر بضربي وقد شتمك وسبك وهذا الذي تم وجري (قال الراوى) فلما سمع جساس هذا الكلام صار الضياء في عينه كالظلام فنهض في الحال ودخل إلى خزانة السلاح ولبس آلة الحرب والكفاح وركب ظهر حصانه ودار حول صيوانه وصاح على أبطاله وأخوته وفرسانه فجأوا إليه وداروا حوله فاعلمهم بواقعة الحال وما جرى بينه وبين كليب من النزاع والجدال وقال لهم استعدوا لقتال بنى ثعلب الاندال وأخذ يترنم هذا الشعر والنظام

يقول جساس ونار القلب مشتملة	على الضمائر لها يا قوم لبيب
يا قومنا اسمعوا قولى واصغوا لى	قول صحيح بلا قول ولا نكذيب
كليب خلى أحوالنا عبرة	حكم البلاد مشارق ومغارب
وليس يحسب لنا قدر ومنزلة	الكل عنده غنم وهو بينهم ديب
ناقه نزيل ذب عنها ما أخسى أحد	أجرى إلى دمها شبه الانانيب
أأنت عجوز فألقت جلد ناقتها	بعد ما قد بكت بدمع سكيب
تهتدت ثم قالت يا ولد مرة	ابن عمك كليب عليك يعيب
اهكذا كليب فى نزيلك	مالك قيمة عنده ولا ترجيب
فقلت لها اصبرى يا عجوز على	فأنا لك منه ثمنها أجيب
أرسلت له أبو اليقظان عبدى	بكتاب ما فيه أسى ولا تعيب

شق الكتاب وأرمى العبد بضربه ومن كثرة الضرب ما أظنه يطيب
الذي ما يرضاه سوى كل معيب أرضون المذلة يا أهل قومي

(قال الراوى) فلما فرغ جساس من شعره ونظامه وعرف فحوى قصده ومرامه فما أحد طأوعه على هذا المرام وقالوا له عن فرد لسان هذا بذس الراى وهل يجوز لنا يا أمير لاجل ناقة حقيرة نقاتل ابن عم كليب وترفع في وجه السلاح بعد أن صاننا وحمانا بسيفه وقتل الملك تبع حسان واستولى على الأقاليم والبلدان وحل لنا دكرا عظيما في قبائل العربان على طول الزمان فان كان لك عليه دم أو نار فدونك وإياه فلا تطلب منّا مساعدة ولا نجدة فلما سمع كلامهم تركهم وقصد بيت العجوز لما اجتمع بها قال لها قد جئت لأرضيك بالعطاخوفا من ازدياد الشر ووقع البلايا فأطلى ثمن ناقك فأما أعطيك أياه ولو كان منها كان قالت أريد واحدة من ثلاثة أشياء قال وما هو قالت أريد أن تملا خرجى بالنجوم أو أن تضع جلد الناقة على جثتها فيقوم أو رأس كليب بالدماء يعود فقال لها ما ملو خرجك بالنجوم أو الناقة تعيش وتقوم بهذا لا يقدر عليه إلا الخي القيوم أما رأس كليب فأبشري ثم قوم السنان وأطلق العنان وقصد حتى بنى قيس فقال العجوز لعبدها سعد خذ هذه السكين والمندبل الأبيض واتبع جساس من وراءه فاذا رأته قد قتل كليب فاسرع وأذبحه والطنخ هذا المندبل من دمه فتى فعلت ذلك فأتى أطلقك لوجه الله تعالى فامثل أمره وتبع أثار جساس وأما جساس فلم يزل سائرا حتى وصل قصر كليب وسأل عنه وقالت له أخته الجليلة قد ركب الآن يطمع مهره في وادى الحصا والجندل فقصده حتى التقى به وهو يطبع المهر وكان كليب بدون سلاح ولم يكن معه سوى خيزرانة فقط وكان كليب دائر ظهره إلى جساس لأنه كان من عادته لا يلتفت في أيام الحرب إن أقل من مائة فارس فأراد جساس أن يندب به من قفاه فما طأوعته يده على ذلك مهاة ووقار فلما وصل إليه وسأله عليه فرد عليه السلام فرأه مرسلا بالسلاح فاستعظم كليب الأمر وقال علامك يا بن عمى أراك بالسلاح الكامل قال مرادى الصيد والقنص ولكنى لما القيت بك عرجت بك لا أسألك سؤال واحد أو أعاتبك على ما فعلت قبل كان لك بساتين وكروم ونحن ما لنا شئ وأنت عندنا عجوز شاعرة مع بعلى لها أعمى ورعت ناقتها في بستانك على جاهنا فكيف نقتلها أما لنا عندك قيمة ولا اعتبار بهذا المقدار فضرب كليب كفعا على كف من شدة الأسف قال والله يا بن عمى ما عرفت أنها ناقة بريك ثم ذكر له عن سوء أدب الرعيان وما فعلوا من الضرر في البستان ومع كل ذلك فأتى أعوض عليها وأعطيها أربمائة ناقة وإذا أرادت أكثر فأعطيها ولا يكون سببا للزراع بيننا فأتنا أولاد عم فقال جساس على سبيل الخداع فأتى سارضيها وهو قاصد قتله قال مرادى العرب معك طاقمين الجر يد فقال كليب أنت راكب قير وأنا راكب مهرا جاهل فقال أنا أسوق أمامك والمهر يتبع الفرس فساق الفرس قبعه كليب حتى حكاه في يمينه وضربه بالجريدة فأصابت ظهره فأقبلته

عن طفر الفرس فانحدر الدم من فمه فقال كليب قم يا ابن العم ان كنت لا تريد أن تلعب
غير هذه الجريدة ناضربني بها فينتهي الحال ثم نزل عن المهر ومشى وأما جساس فانه
كان قد تألم بهذا المقدار حتى لم يعد يمكنه القيام وإذا بعبد العجوزة - أقبل اليه وجزبه
فأوثقه وقال والله انك دون أحقر الرجال ثم أعله بئانه وكيف العجوز أرسله خلفه لأجل
تلك القضية فتحمس جساس وملك العبد الركاب فركب ثم تقدم نحو كليب وهز في يده
الرمح وطلعه في صدره خرج بلمع من ظهره فوق كليب على ظهره يختبط بدمه فبكي
ودمعه يسيل عليه فلما رآه جساس على تلك الحالة ندم وتأسف على ما فعل فتقدم اليه وقبله
وضمه الى صدره ووضع رأسه على ركبتيه وقال سلامتك يا ابن عمي فندحت في
الندامة فوالله اني فعلت ذلك بدون عقل فسأخني على هذا الارتكاب فأجابه كليب من
حلاوة الروح وقال هذا حكم الاله المتعال وما كان أملى منك أن تباديني بهذا وتشمت
في الأعداء وتفرق بيني وبين اليتامى والأطفال وما بكائي الا على اليتامى ولكن لهم رب
لا يغفل ولا ينام وأبكي بهضا على غدر لا فانك قتلتني بالعدوان ولست ملتقى الفرسان
ولكن سوف يجازيك العادل الديان سوف ترى ما يحصل بك من الهوان فقم واذهب
الى الخيام وأقرى الأيتام السلام ولكني أستغنى قبل دواحك شربة ماء لأن قلبي قد
احترق من شدة الظمأ ثم أشار بهذه القصيدة يقول

يقول كليب اسمع يا ابن عمي	أيا جساس قد أهرقت دمي
أيا غدار طعنني برمح	ولست بأنت في الميدان خصمي
وشمت الحوasd والأعداى	وبأت اخواني تبكي وأمي
على ناقة اقتل ابن عمي	أبير كريم من لحك ودمك
يوم الضيق كان يزيل همك	وبردى الضد في يوم انزال

فلما فرغ من شعره خاف جساس واصفر لونه وقال والله لا يعرف الانسان ماذا
مقدر عليه ثم أنه رفع رأسه على ركبته وأتى له بماء وأسقاه ثم ركب وتركه وبلتفت
الى وراءه قاعد أهله وأما عبد العجوز فانه بعد ذهاب جساس تقدم ليذبح كليب
حسب ما أمرته العجوز فلما اقترب منه رآه يجود بنفسه وهو على آخر رده ف تأمل فيه
العبد فوجده ذات هيبة ووجه يتلأل بالأنوار فتأخر عنه وخاف منه فنظر اليه كليب
فهاق من حلاوة الروح وقال له أنت عبد من وما هو قصدك ومراك فاعلمني فقال أنا
عبد التبّع فلما قتلتته حضرت أخته سعاد العجوز الساحرة الى هذه البلاد لتأخذ بشارها
وطنئ. لبيب نارها وهي التي ألقت بينك وبين ابن عمك حتى قتلك وأوسلتي

لأذبحك وأخذ لها من دمك فقال كليب لقد صدقت فقد ذكر لي تبع هذا الكلام وهذا
تقدير رب الامام فأريد منك يا عبد الخير قبل أن تذبحني تقبل هذا الجليل وهو أرا
تلقيني بالقرب من هذه البلاطة حتى أكتب وصيتي إلى أخى سالم الزير وأوصيه بأولادى
وبعد ذلك أفعل ما تريد فسحب العبد إلى البلاطة والرح غارس فيه والدم يقطر منه فبكى
كليب ويتأمل على ما أصابه ثم أخذ عودا وغطسه بالدم وأشار يقول



يقول كليب اسمع يا مهمل على ما حل من جساس فى وأسمع ما أقول لك يا مهمل فأول شرط أحوى لاتصال وثانى شرط أحوى لاتصال
مذل الخيل قمار الاسود طعنى طعنة منه يعود وصايا عشر أنهم بالأكيد ولو أعطوك زينات النهود ولو أعطوك مالا مع عقود

ووثاك شرط أخوى لا تصالح	ولو أعتارك فوفا مع تقود
ورابع شرط أخوى لا تصالح	واحفظ لى زماى مع عهدى
وخامس شرط أخوى لا تصالح	فان صالحت لست أخى أكيد
وسادس شرط أخوى لا تصالح	فقد زادت نيران الوقود
وسابع شرط أخوى لا تصالح	وأسفك دمهم فى وسط بيد
وثامن شرط أخوى لا تصالح	وأحصد جمعهم مثل الحصيد
وتاسع شرط أخوى لا تصالح	فانى اليوم فى ألم شديد
وعاشر شرط أخوى لا تصالح	وإلا قد شكوتك للردود

(قال الراوى) فلما انتهى كليب من شعره بكى العبد عاياه ورثى لحاله ثم تنفس كليب وهو مطروح وجعل يقول من حلاوة الروح أين الأحباب أين الأعوان أين جندى ودولتى أين ملكى وصولتى نبأ لحكم مصيره للزوال يتجبرون على الإله المتعال ثم قال -عبد بالله عليك أن تمهل على قليلا حتى أودع من دار الدنيا واكتب لآخى هذه الوصية فقال العبد اكتب يا مولاي رحمك الله ثم أخذ العود وكتب يقول

يقول كليب من سادات ربيعة	قدمى فوق الخسد كالفناء
جرحت أنا على مهرى أمير	فليس يبدى أنا سوى العصاه
فادا ابن مرة جاء خلقى	يريد قتلى وإبليس طغاه
ضربته بعصاى فوق ظهره	تقنطر راح من فوق الوطاه
أتى من خلفه عبد غريب	سريعا أركبه ووقف حداه
يا حاكم طعنة فى سريعا	وراح حساس هارب بالفلاء
هديت إليك هدية يا مهمل	عشر آيات تفهمها الذكاه
أول بيت أقول أستغفر الله	إله العرش لا يعبد سواه
وثانى بيت أقول الملك الله	بسط الأرض ورفع السماء
وثالث بيت توصى باليتامى	واحفظ العهد ولا تنسى وطاه
ورابع بيت أقول الله أكبر	على الغدار لا تنسى أذاه
وخامس بيت حساس غدركى	أنظر الجراح يعطيك الباه
وسادس بيت قلت الزير أخى	شديد البأس قهار العداه
وسابع بيت سالم كان رجلا	لأخذ الثار لا يعطى وياه
وثامن بيت بالك لا تخلى	لأشبح كبير ولا قتله

وتاسع بيت بالك لا تصالح وان صالحت شكوتك لاله
 وعاشري بيت ان خالفت قول أنا وإياك قاضى القضاء
 ولما انتهى كليب من كلامه التفت الى العبد وقال له افعل ما تريد فقال يا أمير والله
 ما تستحق الى كل خير وان يدي لا يبتلوا عن ذبحك فقال اذبحني لاني في ألم شديد وعن
 قريب تأتى اخوتي وباقي الرجال والحريم فعند ذلك أخذ العبد السكين وذبحه من الوريد
 ولوث المنديل بدمه ورجع الى عند سيدته فاعلمها بقتل كليب وأراها دمه فقرحت فرحة
 شديد وصبرت الى الليل ثم حملت وسارت بمن معها من تلك القبيلة سراحت لا يملها أحد
 وقالت لقد أخذت بثأرى وطفيت نارى هذا ما كان منها وأما حساس فانه لما رى كليب
 ولى هارب وسار حتى وصل الى قومه وهو في خوف عظيم مصفر اللون متغير الكون
 فقال له أبوه الامير مرة أين كنت قل في البريه يا بن عم كليب فقتلته وزال همى وغمى
 فلما سمع مرة هذا الخبر تبسدل صار عيشه بالكدر وقبض على حساس من ذراعيه كاد
 أن يخرج روحه من بين جنبيه وقال له يا عديم الزمان واخبت الانام ان تقتل بن عمك لاجل
 ناقة حقيرة وصاحبها سائلة فقيرة فاذا نقول العرب يا غدار اذا سمعت عنك هذه الاخبار
 فقد أجلبت علينا الأذى والضرر وفضحتنا بين البشر وما زال يوبخه بالكلام حتى جاءت
 اخوته فخلصوه من بين يديه وأخذوا يلوموه ويسبوه وبشتموه ماعدا الامير همام فانه
 كان عند الزير وهما يتنادمان ويشربان المدام على بير السباع كما تقدم الكلام عندهم
 سهر هذه الأمور والاحكام ثم التفت الامير مرة الى أولاده وقال لقد حلت بنا المصائب
 من كل جانب فما الذى يخلصنا من الزير ليث الوادى وقهار الأعادى فوالله ليقطع آثاره
 ويسجل دمارنا ثم بعد هذا الكلام أنشد يقول

يقول أمير مرة من قصيد	ان العار لا يحوره صباح
جلبت اليوم يا حساس حربا	علينا في المساء وفي الصباح
وقطعت النار في بكر جميعهم	يعم طيبتها كل النواحي
أيا حساس تقتل بن عمك	كليب البر مكى ليت البطاح
أمير كان ليس له مثيل	شديد البأس في يوم الكفاح
أيا حساس من قتل بن عمه	يبعث الليل يسرر للصباح
وشوف الآن ما يجرى علينا	اذا برز الرشيد المهلهل للكفاح

(قال الراوى) فلما فرغ مرة من هذا النشيد أجاب حساس بهذا القصيد

تاهب ان جلبت عليك حربا فان الأمر زاد عن التلاحى
فكيف عن الغلام فلست أخشى فاني لث حرب في الكفاح
فاني ان جلبت عليك حربا بيوم الحرب من طرق الرماح
تعد ثعلب ظم علينا أعيد الرمح في أنز الجراح
واني حين تشنجر العوالى بلا ذنب يعد ولا صباح
وما لي همة أبدا وقصد سوى قتل العدا يوم الكفاح

فلما فرغ جساس من كلامه قال أبوه سوف ترى ما يحل بنا من الويل من سيف المهمل
ثم صار يبكي ويلطم كفا على كف ثم قال لأولاده أن الرأي عندي أن نكتبه ونرسله
إلى الزير وأخوته ليقبلوه بأمر كليب بهذه الوسيلة نزول الفتنة وتطفي النار ونزول
فان المصيبة عظيمة وعاقبتها ذميمة فقالت أولاد ما هذا الكلام يا أباها فهل بعد كليب
غير جساس يأتى أن يكون ملكا فان كنت تحسب جساس المهمل فما هو الا كالأهبل
وليس له أدب الا أكل الكباب وشرب الشراب فقال مرة العياذ بالله من كيد الشيطان
الرجيم ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ثم قال لأولاده أن أخوكم همام له عند
الزير مدة أيام فحاف أن يعلم الزير بقتل أخيه فيقتله ولا يبقيه

وكان لهما جارية اسمها رباب فاستدعاهما مرة إليه وقال لها اقطعي البقاع وسيري إلى
بئر السباع وأعلى همام سرا بما جرى وقولى له أن يرجع بالعجل خوفا من أن يقتل
فسارت حتى وصلت هناك فوجدت الزير وهمام على سفرة الطعام وهما يأكلان فلما رآها
همام قام إليها وقاله لها مادهاك يالت شرطوبل وحزن وعويل ثم أعلمته سرا واقامة
الحال وطلبت منه المسير إلى الاطلال فلما وقف على حقيقة الأحوال اعتراه الازهال
وغاب عن الصواب وتبدل انشراح الحزن والاكتئاب فلما طال بينهما الحديث خرج
الزير من بئر الاطراب كانه أسد الغاب فوجدهما يتكلمان سرا ويوميان عليه فعظم الأمر
لذيه فسل الحسام وقال ما هو الخبر يا همام فاني أراك في قلق واهتمام وأشار يقول

يقول الزير أبو إيل المهمل أحس النار في قاي هليب
فقلبي مومج والجسم ناهل ولا ألنى جسمى طليب
وشاب الرأس منى والعوارض فاني صرت في حال عجيب
وأمر في الزمان ونوم فعله وهذا الدهر يتقلب قايب
أيا همام الا يا ابن عمى فالك خائف واقف رعيب
فما لي أبصر الحرمه ثقك تناديك وأنت لها تجيب
أراكم نكتموا الأسرار عنى كاني بينكم رجل غريب

أراكم حديث وفي وشاش وبين ذا وذا أمر عجيب
فلا تخلو الأمور من الحوادث يا عمام اعطى نصيب
وإلا أفتحوا لي الباب حتى أروح عسى هذا قلبي يطيب
(قال الرازي) فلما فرغ الزير من شعره أجابه همام يقول

يقال همام اسمع يامهلل فدمعي فوق الحدود سكيب
وباري بالحشا قد أحربنى أحسن لها طي الفؤاد لهيب
أقول وأنت تسمع يامهلل بأبك صاحبي نعم الحبيب
فانحن يا مهلل في وشاش ولا أنت ينننا رجل غريب
أنا وإياك في طرب وهو ولا يحسب حسابات الحبيب
جمالنا يافتي نيب جمالكم جرى دمه على نحره سليب
جعلنا ذاك هو جساس أخى قتل أخاك كليب عن قريب

فلما سمع منه الزير هذا الشعر توقد قلبه بلبيب الجبر وأجابه يقول

يقول الزير يا همام اسمع أنت ابن عمي إلى نسيب
فإلك علم في قتله كليب ولا في هذه القضية لك طليب
قمم لإذهب إلى أهلك يا نسيب بل تطويل من قبل المغيب
فتأني أخواتي ثم يقتلونك ويدعونك على العبرا كتيب
فا أقدر أن أحميك منهم وأنت حب يا أنعم الحبيب
فوالله ثم والله ثم والله ثلاث أقسام بحلفها الخطيب
فلولا حسنا ما عيش أكلنا ولا كاسات شربناها بهطيب
لكننت أمد يدي نحو سيني وأخذ ثأر أخوي عن قريب

فلما فرغ الزير من هذا الشعر قال الهام وأنت من دور بنى مرة صديقي وزوج أختي
وليس عندي علم بهذا الخبر المذكر فلا تخاف ولا تفزع فقال همام لقد جرى القلم الذي مضى
لا يرجع فاما أن تقتلني عوض أخيك أو تأخذ منا ما يرضيك وترفع عنا القتال وتركنه
في الاطلاق فوالله لقد صعب على هذا الامر والتهب قلبي بنار الجبر لما سمعت بهذا الخبر
المهول فلا كان جساس المهان المنلول قال الزير وحق من يعلم النيب وروح أخى
كليب إنى لا أرفع السيف عنكم حتى اشفي غليل منكم ثم أقتلكم وألا شيكم عن بكرة
أيكم وأهلك النساء والبنات وأجعلكم مثلاً في الكائنات ولو لم تكن زوج أختي
ما كنت أعلمتك بما في ضميري بل كنت قتلتك في الحال وأودنتك الشكال فسر الآن
إلى الاطلاع ولا عدت تريني وجهك في الحرب فلما سمع همام ذلك الكلام ركب

ظهر الحصان وارماً إلى أبنة شومان الذي كان معها في ذلك المكان ان يسير معه إلى
الاطوان فامتنع عن المسير وقال أنى سأبقى مع خالى الزير فسار همام وقد عظم عليه
الامر وهو ينفذ عنان الموت عن عقبه حتى وصل إلى زويه واجتمع بأبيه وأخوته
فاخذ يلوم جساس على ما فعله وكيف أنه تجاسر على كليب وقتله واعلم قومه على ما عزم
عليه الزير وخاف منه الكبير والصغير وأيقنوا بالهلاك واستعدوا من يومهم للحرب والكفاح
هذا ما كان من بنى مرة وأما الزير صاحب الشجاعة والقدرة فإنه اشتغلت في قلبه لهيب
النار واعتراه الاصفرار فصار يلاطم وجهه وقد عظم الامر عليه حتى رقصت شمعرات
وأسه ومع ذلك لم تنزل من عينه دمه، لأنه كان من الجبابرة السبعة وكان يقول وحق
وب العباد لا بد أن أقتل بنى بكر الاوغادوا أقتل الشوش والاولاد ولما طال عليه المطال
وهو على هذا الحال قال له شيبان بن همام دع عنك الكلام واشرب المدام فالك عاجز يا خال
عن هذا القتال فن أنت من الأبطال حتى تتكلم بهذا المقال وتتباهى على الأمراء كإبي
همام وعمى جساس وأنشد يقول

أنشد شيبان وقال بيوت	ودمعى من عيني هطال
يا خالى اسمع ما أقولك	وحط قولى وسط البال
خلى الهرج وطى النفس	وانرك عنك قياى وقال
تقول تكيد من بنى مرة	وتقتل الى كل الأبطال
غدا يا خال هم يجيؤ لك	بخيل كثير ونعم رجال
تظهر خيول عليك تجول	ودق طبول كما الزلزال
تروج الأرض بطول وغرض	تروحوا قتلى بضرب صقال
يجى جساس قوى البأس	كذا العباس زكى الحال
ونأتى عمر يحمل ضمير	وصقر ونمر وأبو جفال
بى ملك القوم كان	بيوم الكون كسبح صال
وأخى شيبان بطل مجنون	وأنى همام إن جال ومال
ونأتى الشوش وكل عبوس	يخلو الرؤوس تلال تلال

فلما انتهى شيبان من كلامه أجاب الزير على شعره يقول

ويقول الزير أواه أواه	يا بن أخى عقلى زال
أكيد الشوش بقطع الرؤوس	أنا الجبار أمير محال
وبعد كايب لا بيع الروح	أشلكم بالرح شلال

أنت يا ابن أخى اليوم فطورى عدت بغير محال
وأبوك أغدى سبق فيه وعشى الروع من الابطال
فلما فرغ الزير من أنشاده نهض الغلام ليركب جواده ويلحق بأبيه وأعمامه فضربه
الزير فألقاه على الأرض قتلاً ثم قطع عنقه ووضع فى مخلاته ولها فى قربوس السلك
وتركه فسار الجواد حتى وصل الى القبلة وسار الى بيت مولاه فلما رأت أم الولد جواده
الغلام على تلك الصفة قالت للجربة دونك جواد سيدك فتقدمت وأخذت المخلاء فوجدت
رأس شيبان فاستعظمت ذلك الشأن وأعلنت مولانا بواقعة الحال فطار عقلها لما نظرت
ابنها مقطوع فضجت بالبكاء فاجتمعت النساء من كل مكان وسمع همام الخبر فبكى
واشتكى وقال لزوجته ضباع أنظرت ما فعل أخوك فوالله لم يبق لى غريم سواء
فشقت ثيابها وسارت الى أخيها لمهلل ولامته على ما فعلت وقالت له تقتل ابن
أختك بأر أخيك ثم أشارت تقول

نقول ضباع يا سالم علامك	بجاه الله ما سويت يا بنى
بأر كليب تقتل ابن أختك	وتحرق مهجتي وتزيد حزنى
حزنت على كليب وما جراه	وحزنى فى صميم القلب مبنى
ولكن قد حكم ربى مراده	وربى ما كتبته لى بصينى

فاجابها الزير يقول فى هذه الايات :

يقول الزير من قلب حريق	يقول كليب زاد اليوم حزنى
ألا يا أخت قلى من بكاء	ولا تخشين من أمر يعنى
فو الله ثم والله ثم والله	له العرش قد أدعنى يحبنى
فلا بد لى من حرب الاعادى	واقتل كل جبار طلبنى

فلما فرغ من كلامه قالت مرادك ياسالم لقد زلت لوعتى وخفت عنى الاحزان لما سمعت
شعرك وعرفت ما أنت معول عليه من الحرب والطمان وأخذ بثار وكشف ثم رجعت
الى الديار وهى فى قلق وأمكار هذا ما كان من أمرها ولما اشتهر قتل كليب ووصل الخبر
الى أبياته وعلمت بذلك جميع أهله فزقوا الثياب وأكثروا من البكاء والالتحاب وبكت
الوجوه ووقع فى الحى العويل وكسرت الفرسان والسيوف والرماح وخرجت بنات كليب
وهن منهتكات السطور ناشرات الشعور حافيات الاقدام يقطعن السهول والآكام
وقدامن أختمن البامة وكان ذلك اليوم مثل يوم القيامة ولما وصلن
اليه وجدن الطيور حائمة عليه فوقن على جثته وقبلن يديه وارتمين حواليه ولما فرأوا
ذلك الشعر الذى كتبه على الصخر زادت أحزانهم وأخذن يلطن على وجوههن

ثم أقبلت أخوة كليب الى ذلك المكان وازدحموا الرجال والتسوان والفرسان والسادات والاعيان يرثوه بالاشعار وجرى دمهم كالانهار أما ابنته اليمامة فعلمت أنه لا يوجد من يأخذ بثارها ويطفي لهيب نارها سوى البطل الاوحد السيف المنهد الشجاع الذي ليس له نظير عمو المهمل المنقب بسالم الزير فسارت هي وأختها اليه وقالت والله يا عماء حزنا بما جرى علينا وكان من طوارق الزمان يقتل أخوك كليب ملك العصر ثم وقعت مغشياً عليها في حجره فضعها الى صدره وقد حار في أمره ولما أفافت اشتدت عليها الحشرات فاشتدت هذه الايات

مات أبي ياعم في طعن القنا غدر به جساس ذا السكب المشوم
يا مهمل ضاقت الدنيا على وسقاني البين كاسات السموم
(قال الراوى) فلما فرغت اليمامة من هذا الشعر والنظام زاد على المهمل الآلام فنهض على الاقدام كأنه سبع الاجام وصار النهار في وجهه كالظلام وقال لبنات أخيه سوف نرون ما أقبله وأجربه ثم امتد آلة حربه وجلاؤه ركب جواده وسار مع البنات يقطع الأراعى والفلوات حتى وصل الى ذلك المكان فوجده مملوء بالابطال والفرسان والتسوان يبكون ويلطمون وينوحون ويندبون فلما رأى المهمل قد أقبل فتحواله طريقاً حتى دخل فوجد أخاه وهو مطروح والدماء من جيده يقطر والناس واقفة حواليه قالتى نفسه عليه وهو يبكى من ملو عينه يقول سلامتك يا أبا اليمامة يا صاحب الجاه ثم الكرامة فقد أحرقت نلبى بفقدك فلا كان من يعيش بعدك فلما استند عليه لامرته اليمامة وصية أخيه المكتوبة على الصخر فقرأها وقال وحق الاله المتعال اتى لأصالح الى الابد ما دامت روحى في هذا الجسد ثم بكى متنهد وفاء بهذه القصيدة أمام السادة والعمد وهي من أجود مرانى العمد وأحسن اشعار أهل الفضل والاب

كليب لاخير في الدنيا وما فيها	ان أنت خايتها من يبقى واليها
نعى النعاه كليات فقلت لهم	مات بنا الارض أم مات رواسيا
ليت السماء دلى من تحتها وقعت	وحالت الارض فاندكت أهاليها
النار النون للضيفان يطعمها	والواهب المنية الحراء يرعاها
الحلم والجود كان من طبائعه	ماكل الطلبة يا قوم تحصيا
أصحت منازل بالسلان قد درست	يبكى كليب نهاراً مع إياها
كليب أى فنى زين ومكرمة	تقول خيلاً الى خيل تلاقيها
تكدن أولها فى حين كرتها	وأنت بالكر يوم الكر حاميا

غدرك جسام يا عزيزى وسندى وليت جسام من يحب تواليا
لا أصلح الله منا من يصلحهم حتى يصلح ديب المعز راعيا
تولد البغلا الخضراء خدالجة وأنت تحنى من الغيرا تلبيا
وتحلب الشاة من أسنانها لبن وتسرع النوق لاترعى مراعيها

(قال الراوى) فلما انتهى الزير من هذه المراثاة وسمعتها السادات تعجبوا من فصاحته وما احتوت عليه من الالفاظ الرقيقة والممانى البليغة وقالوا والله لقد أجاد سالم الزير شعره بهذا الكلام الذى هو كالدر النضير ثم اجتمعت الامراء وقالوا للعرب المجتمعين إنه ما عاد ينفع البكاء والانتحاب وأن أكرام الميت دفنه فى التراب ثم أتو بكليبا إلى الديار ودفنوه بكل احترام بنفائس الاشمار وبنو على قبره قبة من أعظم القباب وطلوا حيطانها بالفضة والذهب فكانت من عجيب العجب فى بلاد العرب رزخوها بالنقش الفاخرة وكتبوا عليها أسماء الله الحسنى وقد أتناها فى الكتاب أفادة للطلاب وهى هذه

﴿ أسماء الله الحسنى ﴾

هو الله الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور لغفار القهار الوهاب الرزاق الفتاح العليم القابض الباسط الخافض الرافع الممزمز المذل السميع البصير الحكم العدل اللطيف الخبير الحليم العظيم الغفور الشكور العلى الكبير الحفيظ المهيمن الحسيب الجليل الكريم الرقيب المجيب الواسع الحكيم الودود المجيد الباعث الشهيد الحق الوكيل القوى المتين الوالى الحميد المحصى المبدى المعيد المحيى المميت الحى القيوم الواجد الماجد الواحد الصمد القادر المقدم المؤخر الأول الآخر الظاهر الباطن الوالى المتعال البر التواب المنتقم العفو الرؤف مالك الملك ذو الجلال والاكرام المقسط الجامع الغنى المغنى المانع الضار النافع النور الهادى البديع الباقي الوارث الرشيد الصبور .

بعد أن تلوأ أسماء الله الحسنى وسمعتها اسادات ورؤساءهم ودفنوا كليب كما سبق وذبح الزير على قبره الأغنام وفرق المال على الارامل والايةم ثم جلس فى الديوان وجمع الاكابر والاعيان والابطال والفرسان وإخوته الشجعان وقال لهم اعلوا أيها الامراء أن جاسا قد أهانكم وقتل ابن عمكم فاستعدوا لاخذ الثأر وكشف العار من بني بكر الاشرار فلما سمعوا الكلام أجابوه إلى ذلك المرام وقالوا إننا بين يديك ولا نبخل بأرواحنا عليك لأن الأمير كليب لايتنى ولم تلد مثله النساء ثم أنهم تحالفوا معه وعاهدوه وعلى كرسى المملكة بايعوه وأجلسوه فلما تملك على القبيلة طرد امرأة

هخيه الجليلة فسارت إلى بيت أبيها وكانت حاملة بولد سوف يأتي عنه الخبر واستعد الزير من ذلك اليوم للقتال وحلف بأعظم الاقسام أنه لا يشرب المدام ويتلذذ بطعام حتى يأخذ بثاره بجد الحسام وينتقم من بني بكر أو أنه يموت تحت أرجل الخيل ولا يبالي بالويل ثم أمر الرؤساء والأبطال حتى امتلأت الزواقي والتلال وقد انضمت اليه عدة قبائل وأمدوه بالعساكر حتى صار في أربعائة فارس مقاتل ولما بلغ بني بكر هذا الخبر ضجروا وهاقوا من العراق وحلول النوايب فجمعوا المواكب الكتاب وسار بهم الأمير مرة إلى الذنائب وهو مكان شهر يبعد ثلاثة أيام عن قبيلة الزير وهناك انضمت اليهم بعض قبائل العربان فكانوا نحو ثلاثمائة ألف عنان وأقاموا في المكان ولما سمع الزير برحيل مرة وأولاده إلى تلك الديار قال لا بد أقتني منهم الآثر وأفق الكبار ثم أمر القائد الكبير بسرعة المسير فامثلوا أمره وفعلوا كما ذكر وفي الحال دق طبل الرجوع فارتجت منه السهول والمروج وهو الطبل الذي كان للتيغ حساسا ولم تكن إلا ساعة من الزمان حتى ركبت الأبطال والفرسان وركب المهمل متسربلا بالراح كأنه ليث البطاح وعلى رأسه الريات والبتود ومن حوله القواد والجنود فعندما سارت المواكب قاصده الذنائب ومازاله العسكر تقطع البر إلى أن أشرف على تلك الديار في اليوم الثالث عند نصف النهار ولما اقترب وانكشف للاميان ورآه الأمير مرة ومن معه من الرجال والفرسان قالوا وحق الإله القدير لقد أقل علينا الزير بالجنوع والجاهل والفرسان المشاهير اليوم تباع الأرواح تبع السباح وفي عاجل الحال انتخب الأمير مرة مائة ألف فارس من الأبطال لملاقة الاعتداء في تلك البقعة وكان المقدم عليهم ابنه الأمير جساس وجماعه من عظماء الناس فسار ذلك الجحفل طالبا جيش المهمل ثم فرق مائة ألف أخرى في جانب الصحراء وقدم عاينها ابنه ممام وحشهم على الحرب والصدام وقام هر يباقي العسكر في الجنايب الأيسر حتى إذا انكسرت الفرقتان يحمل بمن معه من الفرسان ولما شاهد المهمل تلك الحال قسم عسكره إلى ثلاث أقسام وتقدم ولما أقربت العساكر من بعضها البعض وانشرت جنوعها في تلك الأرض حلت الطرق على الفرق وهجم الجيش على بعضه وأنطبقوا قصد المهمل فرقة الأمير مرة بـ ١٠٠٠٠ من أهل الشجاعة والقدرة وفي الحال اشتبك القتال وعظمت الأهوال وجرى الدم وسال وارجت الوديان والتلال من الفضال فكان يوما مريعا يشيب منه رأس الغلام قبل الفطام فاكنست قري لإلارؤسا طائرة وماء فائرة وفرسان غائرة فله در المهمل وما فعل في ذلك اليوم من العمل فانه هجم هجوم

الأسود وفرق المواكب والجنود وتكسر الرايات والبنوز وقتل كل جبار وكان كلما دخل فارس يقول كليب ملك العرب ويلقى بنفسه في العطب أملا بالنصر وبلوغ الأرب



وقتل خمسمائة من الأبطال ولما اشتدت الأهوال تأخرت عنه الرجال خوفاً من الهلاك وهو يحول ويدور كالأسود ويقول واكليباه قتل جساس أين عيناك اليوم يراى وتشاهد حربى وطعاني فيا ليتنى كنت فداك ولا كان من بسلاك (قال الراوى) وكانت غيران المعامع والحروب والوقايح مشتبكة في ثلاثة مواضع واستظهرت جيوش المهمل على أعداء ما وبلغت غاية منها وفعلت باقى الفرق فعل سيدها واستمرت القتال على هذا الحال من الظهر إلى غروب الشمس وكان قد قتل من بنى بكر ثلاثين ألف ومن جماعة المهمل نحو خمسة آلاف بطل فعند ذلك دقت الطبول فارتدت عن بعضها البعض ونزلوا الخيام ورجع المهمل وهو غالب كأنه حلة عما سال عليه من أدمية الفرسان فاجتمع السادات والأعيان فى الصيوان فهنوه بالسلامة وقالوا مثلك تكون الشجعان زينة الأكواف وجوهرة هذا الأوان فشكروهم على الكلام وأرعدهم بالخير والانعام ثم أكلوا الطعام وأخذ يتذكرون أمر الحرب وكان للمهمل صديق يركن إليه ويعتمد عليه فى أموره

عليه قوى الجنان فصيح اللسان يقال له امرؤ القيس بن أبان وكان يقاربه بالروسية ويساويه
بالفصاحة والمهنة لعله قاتل معه في ذلك اليوم وقتك في صناديد القوم وكان لا بارق الزير
في القتال يحميه من غدر الرجال فقال له المهملل ما هو رأيك يا ابن أبان في الهجوم على الأعداء
تحت جنح الظلام فانا والله كلما نذكرت بقتل كليب تتوقد بقلبي الزيران وايس لي صبر وسلوان
فقال تمهل يا أمير مهملل فان النهار قد اقترب ولا دلنا من بلوغ الأرب لان القتال في الليل يجلب
علينا الهم والويل فتخاطب الاحزاب لا تعود تعرف الأعداء من الاحباب لان الظلام يحجبنا
عن بعضنا ونشتت في هذه الأرض فاستوصب الزير مقاله وهكذا أشارت فرسانه وأبطاله
(قال الراوى) وبات الجيشان يتحدثان وأوقد النيران كانت بنوبكرو باقى قبائل العرب
باتت في شدة وتعب وأيقن الأمير مرة أنه سيفلب بقهر من سيف الزير الأسد ولما أصبح
الصبح وأضاء بنوره ولاح تبادرت المساكر الى ميدان الحرب واصطفت الفرق ال صفوف
وترتبت المئات والآلاف وتأهب المهملل للحرب والطعن والضرب فركب ظهر الحصان
وتقدم الى معركة الطعان وتبعه امرؤ القيس وأيضا نقواد والأبطال والفرسان بقلب أقوى
من الصوان وكذلك ركب الأمير مرة والفرق وانتقلوا بالسلاح فعند ذلك دقت الطبول
وصهلت الخيول وارتفعت الرايات على روس الأمراء والسادات من جميع الجوانب وهجم
كل فريق على فريق وتقاتلوا بالسيوف والمزلق والتفت الامم بالامم وقام الحرب
يقدم وما مضى ساعة النهار حتى ائتمد لهيب النار وانذل الجيـان وحار وارتفع وعلا
وارتجت أقطار الفلا وابست الأرض من الدما حملا وعظم بينهم البلاء والويل وعاد
يمياض النهار كسواد الليل وقاتل المهملل في ذلك اليوم وما قصر وفعل فعلا وتذكر بانه
اقتحم صوت الأعادى مثل ليت الوادى وحال عن الميامن والمياسر وطعن فيهم طعنا
يذهل النواظر وبحير المقول والبصائر ويقول بثارات كليب مهجة نوادى ومن كان سندی
واعتمادى ولما طال المطال وشفى غليله من الأبطال أنشد وقال

ذهب الصلح أو تردوا كليب أر نبيد الحين بكرا ودهلا
ذهب الصلح أو تردوا كليب أو أبى الرجال قهرا وزلا
ذهب الصلح أو تردوا كليب وتعم السيوف شيبان قتلا

فتعجب الفرسان من شعره ومقاله وانذهلت من قول قتاله وكذلك اندهشت باقى أبطاله
وما زال الحرب والذل يبدل والرجال تقتل الى أن ولى النهار ودخل الليل وأقبل رجوع
المهملل وباقى الجيش والجحفل وجمع أكابر عشيرته وأهله واخوته وأخذوا يتحدثون
قيما يجرى ويكون فاستقر الراى على مرة الجهاد فى الحرب والبراز قبل أن يطول الأمر
وتفوتهم الغلبة والنصر ثم انهم كلوا الطعام وباتوا فى الخيام ولما طلع النهار وشرقت الشمس

بانوار تأهب للحرب فتقلدوا بالسيوف ودقوا الطبول وركبوا الخيول وتقدمت الفرسان
والابطال الى ساحة القتال وكذلك فعل الامير مرة وجساس ويلوذ بهم من عطاء الناس
والتمقت العساكر بالعساكر وتقاتلوا بالسيوف وكان الامير المهمل في اول الجحفل فصاح
والتمق الفرسان بقلب قوى وهو يمدد كالاسد ويضرب فيهم بالسيوف ويقول بالثارات
كنايب ايس الصدأ وزينة الليل وكان كلما قتل فارسا يعيد هذا الكلام فقصدته الابطال
من اليمن والشمال وهو يضرب فيها الضرب الصايب ولا يبالي بالعواقب حتى مزق
للصفوف بحملاته وفرق الالوف يتواتر طعامه وما تنصف النهار حتى قتل مائة بطل كرار
وكان من الابطال والفرسان المذكور وكذلك فعل امرؤ قيس بن أبان وباقي القواد
والشجبان وما زالوا على تلك الحال الى أن ولى النهار بالارتحال ارتدوا عن الحرب
ورجعوا عن المضارب والخيام وكان قد قتل من عند جساس في ذلك النهار عشرون ألف
بطل كرار ومن عرب المهمل نحو ثلاثة آلاف بطل ولما أصبح الصباح استعدت الفرسان
للحرب والكفاح وركبوا الخيول وتقاتلوا بالسيوف وهجم المهمل على الفرسان الفحول
كأنه الغول وهو ينشد ويقول

هلموا اليوم نلقى آل مرة	ولو كانوا ثلاثين ألف كرة
وصيف المهند يقطع في يميني	فلا تخشى الممالك والمضرة
فاحموا بابن عمي اظهرى	فتحظوا باليمين والمصرة
فكل الناس ترهب من قتالي	اذا ماجلت في الميدان كره
فسوف أبسد جساسا وقومه	وأسقيهم بحربي كأس مرة

ثم أنه حمل على الكتائب والمواكب وأظهر العجائب وقتل كل شجاع غالب وما زال
القوم في حرب وقتل وخصام مدة ثلاثة شهور على التمام حتى أفنى الزير من بني بكر
كل سيد خايل وفارس نبيل وكان غدد من قتل منهم في تلك الوقائع نحو مائة ألف مقاتل
بين فرسان ورجال وقل من جماعة المهمل نحو عشرة آلاف بطل فلما رأى جساس ما حل
بقومه من النوائب خاف من العواقب وانهم اذا أثبتوا أمامهم يهلكون هلاك الابد
ولا يبقى منهم أحد فهرب مع باقي طوائف العرب وغنم غنائم كثيرة وأموال غزيرة
ورجع بمن بقي معه من الابطال الى الاطلال في أحسن حال ونزل في قصر أخيه وصار
ملوك العرب تهاديه وكان يقترب الاوقات للحروب والغارات فشكرته اليمة على ما
فعل وقال لا عدمنك أيها البطل فانك أخذت الثار وطفيت لهيب النار ورجعت بالانتصار
نشكركم على هذا الكلام وقال وحق رب الانام لا يشفي فؤادك ولا يطيب لذيق رقادى
حتى أقتل الامير جساس واجعله مثلاً بين الناس هذا الامر سيتم عن قريب باذن الله السميع

الحبيب (قال الراوى) وبينما هو يترقب الاخبار ويقتنى من القوم الآثار اذ دخل عليه العابد النعمان الذى تقدم ذكره قبل الآن وكان من أصحاب الزير وأصدقائه المشاهير فسلم عليه وتمثل بين يديه فنهض له قائم على الاقدام وأكرمه غاية الاكرام وبعد أن جلس قال للزير اعلم يا أمير قد آتيت الآن من بعد ما كان أولا لاهنيك الانتصار وأعرب على فقد ذلك الاسد الكرار وكان ثانيا لاعليك أنه ظهر لى فى المنام من مدة عشرة أيام رؤيا عجيبية تشير الى أحوال غريبة وهو أنه قادم عليك سبعة سنين منجوسة وأيامها عليك معكوسة فإياك من هذا النهار أن تحارب أحدمع ملوك الاقدار بل تجنب وقوح الفتن وتبقى مرتاحا فى الوطن فتى تمت هذه الايام والليالى واقفك السعد والاقبال باذن الاله المتعال فان حاربت انتصرت فشكره المهلهل على ذلك الاهتمام وغمره بجزيل الانعام ومن ذلك اليوم أخذ لنفسه الحذر وتجنب مخالطه البشر وكان يصرف أيامه بشرب المدام وأكل الطعام وأشاع فى القبائل بأن الزير أوقف الحرب سبع سنين كوامل (قال الراوى) وكانت بنومرة هجت فى الاقطار خوفا من الهلاك والدمار وندم جساس غاية الندم بقتل كليب الاسد الغشمشم وما زال قومه فى خوف وحذر من عواقب الامور الى أن بلغهم خبر توقيف القتال فزال عن قلوبهم الهموم والالوجاع ورجعوا الى الاوطان هذا ما كان من بنى مرة وجساس وأما المهلهل الفارس المهاب فانه استمر على تلك الحال وهو فى أرغد عيش وأنعم بال الى أن كانت نهاية السنة السادسة فركب الى الصيد والقنص فى جماعة من فرسانه وابتعد عن الديار نحو ثلاثة أيام ومن الاتفاق الغريب أن الامير جساس رأى حلما بعض الليالى وأنه وجد بقرب صوانه حوض من الماء فبينما كان قومه تشرب واذا بذئب كاسر قد جاء الى ذلك الحوض وهو بصفة جل كبير وله ثمانية أنياب فشرّب من الحوض ثم ضرب الحوض بنبابه فأنشق من جانبه وتهور ذلك الماء حتى كادت قومه أن تهلك من شدة العطش والظما ثم رأى النساء والاولاد شباب السواد والدم جارى مثل المجارى والجمال تهش بعضهم البعض ودمها يسيل على الارض فاستيقظ جساس خائفا من هول ذلك المنام فاستدعى اخوته وبنى الاعمام وفص عليهم ما رأى وأبصر فاستعظموا ذلك الامروة لولاى يوجد من بقدر على تفسيره سوى المنجمين فالاحسن عندك أرسل واستدعى عمار الرياحى فانه يفسره لك على يقين فأرسل اليه وحضر وقص عليه ذلك الخبر فغضب الرمل ورس قبانت الاحوال ثم التفت الى جساس ومن حضر هناك من الناس وقال لهذا المنام عن عجائب الايام وهو يدل على شر عظيم وخطب جسيم سوف يحل عليكم من سالم بوقت قصير وقد ظهر لى أيضا بان عدية أخو المهلهل عندهم مرادهم اسمه عندى قوى الصعب والخييل عديم المثال فى الخيول فسعد الزير مقرون بهذا الحصان وبه يقتصر فى الحرب والطعان فاذا ملكتم هذا الجواد نلتم المراد وأسرتموه فى القتل فلما سمع جساس هذا الكلام استبشر ببلوغ المراد وقال لهم بلغنا بان الزير غائب عن القبيلة وما فى الحى غير النساء

والحصان موجود في الديار وهذه أوقات انفرصة وإزالة الغصّة ثم أرسل رجلا ليكشف الخبر فسار ثم رجع وأخبره بصحة الكلام فعند ذلك ركب جساس في ثلاثة آلاف هلال وطرق ديار المهمل على عجل وأحاط بساحة الدار من اليمين واليسار فاستعظمت بنات كليب ذلك الأمر ولم يعلمن السبب فطلت النمامه رأسها من الشباك وقالت له وهو راكب على الفرس ما هو الداعي يا خالي بقدمك إلى الخي وهو خالي من الرجال فقال لها جئنا نطلب المهر الأدهم المدعو عندهم فقالت له أهلا وسهلا وبما طلبت فلا نمسك عنك غير نه لا يخفك باز المهر خاصة عني غدية فلا يمكننا أن نسمح فيه وأشارت تقول

لقد قالت نمامة في بيوت ألا يا مرحبا فيكم خوالي
ألا يا مرحبا فيكم جميعا عداد القطر مع عدد الرمال
بكم قد حلت البركة علينا وزال الشر عنا والنكالي
فهما طلبوا تشرنوا خيولا مع بغال مع جمال
ولكن مهر عني غير ممكن أسله فان المهر غالي

(قال الراوي) فلما سمع جساس شعرها أجابها يقول على كلامها
تعالوا اسمعوا قول النمامة تقول المهر لا أعطيه غالي
فاني قاصد أخذه سريعا ولا أخشى العداة ولا أبالي

(قال الراوي) فلما فرغ من شعره نزل عن ظهر الفرس ودخل إلى الاضطبل وأخذ ذلك المهر ووضع عليه العدة وركبه وقال للنمامة لقد أخذت الحصان وغدا أطاردكم على ظهره ثم سار وهو فرحان حتى وصل إلى الأوطان فقال لإخوته أتيت بالحصان وسراي أجربه في الميدان فاتتخروا الآن ثلاثين رأس من جياد الخيل فاركوهم واكنوا في عشرة مكان من وأنا أمر عليكم أسرع من الريح أنبعوني في البر الفسيح فان سبق هذا الجواد بلغنا المراد في الحرب والطراد فأجابوه إلى ما أراد وركبوا الخيل الجياد ركب جساس أخو كليب القميرة ووقف في آخر كمين وركب جساس ذلك الحصان وأطلق له العنان فسار به في تلك القفار أسرع من الطير إذا طار ولما اقترب من الخيل فسبقهم جميعا ماعدا القميرة ففرح جساس ثم نزل عن ظهره وأمر العبد أن يربطوه بقرب صوانه ووكل به مائة عبد وقال أقبل علينا السعد وسوف تقتل هذا الوعد هذا ما كان من أمر جساس وأما الزير فانه عند رجوعه من الصيد استنفذ ذلك الحصان فوجد مع الخيل فصعد إلى القصر وسأل النمامة عنه وأشار يقول

يقول الزير أو ليلى المهمل بدمع قد جرى منه بداد
نمامه رحمت أنا الصيد قاصد وقوى واخوتي ثم الجناد

شدنا الطير ووحوش كثيرة وردنا رجعتا للبلاد
طالبت المهر أخى فما لقيته شرد عقلى وعنى راح عاد
فأين المهر قواطر يا يمامة عدم صبرى وقارنى رشادى
أما المهرام أحد أخده من الاوباش والاس الاعادى

فلما سمعت اليمامة شعر عمها أجاته تقول

تقول يمامة ألا يا عم اسمع ألا يا عم جاءنا الاعادى
أنى جساس أخذه غصب عنى أنا حرمة ومالى من جلاذ
فقلت تأخذه ياخال تندم يحيكم غدا على خيل جياذ
فقال غدا ألاقىكم بعزى على شهره وأورىكم طرادى
له يا عم ثلاث أيام غائب وقد زادت غموى بازدياد
فقم يا عم شد الخيل واركب بعسكر كانه ردف الجراد
اضرب فى بنى مرة يسيفك وأحصد جمعهم مثل الحصاد
يا عم عديبه اليوم يومك يا عزى وفخرى واعتمادى
هاتوا رأس جساس سريعا ونجبر خاطرى واشنى فؤادى

(قال الراوى) فلما فرغت من شعرها فأجابها الزير يقول

يقول الزير قهار الاعادى أنا السبع الجسور بكل وادى
غدا لا بد أجد فى لقام واحد جمعهم يوم الجلاذ
وأخذ ثأرنا من آل بكر واطفى النار من الفؤاد
وأخذ مهرنا المدعو بعندم ويظهر ذكرنا بين العباد
فنى يذهب بخير آل مرة أناكم اليرم دباح الاعادى
أناكم مهلل مع آل ثعلب أسود الحرب فى يوم الطراد
ألا يا آل مرة سوف أشنى بقتل جميع ساداتكم فؤادى
ولا يخافكم يا آل مرة بقتل كليب صرتم لى أعادى

فلما انتهى جلس فى الديوان وجمع اخوته والامراء وأخبرهم بواقعة الحال وقال
لهم ما هو رأيكم فى استجلاب الحصان فقالوا الراى رأىك فى الصباح تركبوا فى ثلاثة
آلاف فارس وتكنوا فى وادى هجين وأناكم فى وادى الملا وكان هذا المكان يبعد
عن بنى مرة مسافة ميل ثم قال لأخيه غدية وأنت قم الآن وغير ذلك حتى لا تعود
أعرف واذهب الى بنى مرة بصفة سايس واحتال على جلب الحصان والحقا الى ذلك
المكان فانهم اذا لحقونا الى هنا أيدهم أجمعين بعون رب العباد وأخذ ثأرنا من جساس

اللعين فاستصوب الجميع رآيه ثم أوعد به قام من ساعته ولبس ثياباً بمنزلة وتعم بعمامة والتحفه بحزام عتيق وغيره وتسكر وسار يقطع البر الاقفر الى أن دخل حتى بنى مرة فتصد جساس عند الظلام فركض بين أطناب الخيام ولما كان الصباح جلس الامير جساس واجتمعك أكابر الناس ثم وضعوا موائد الطعام وأخذوا يتذاكرون بالسلام فيبينوا كذلك حانت من جساس التفاته فرأى عدياً وهو على تلك الصفات فشفق عليه وأمر بعض غلبانه يطعم ذلك الفقير ويسأله عن حاجته ومن أى بلاد فاخذ له الغلام صحن الطعام وسأله عن بلاده فقال من الصعيد وصنعنى سايس خيول أماجد فتد جارع الزمان فانيت من الاوطان أقاصد أهل الاحسان الى أن وصلت الى هذا المكان فطيب الغلام خاطره واعلم مولاه بحال جساس اذا كان من الصعيد فهو على سياسته الخيول من العبيد فدعوه يسوس لنا عديم المهر الجديد وأنا أعطيه كلما يريد وان وجدته من الماهرين سلته جميع خيلي وجعلته رئيس اصطلي قلنا بلغنا الغلام ذلك الكلام دعا له جساس بطول العمر ثم تقدم الى المهر فكك قيوده وقبله بين عينيه وقال يومك أيها الجواد فقد بلغت المراد وكان المهر لما رأى صاحبه مال اليه وقبله فتهجب جساس وابق الناس لأن الجواد كان يألف أحد من العبيد الموكلين عليه وكل من قاربه ضربه بيده ورجليه فقال جساس وحق رب الانام هذا السابيس يستحق الاكرام يا عدياً فانه لما تمكن من المهر وركب ظهره ثم لكره برجليه فسار به كهوب الرياح وجد في قطع البطاح كطير بلا جناح فرأى جساس الحال تغيرت منه الاحوال وعلم أنها حيلة تمت عليه فلطم خديه وصاح على الابطال والفرسان وقال دونكم هذا الشيطان فقد احتال علينا بالمقال وخدعنا بالمسكر والاحتيال حتى بلغ منا الارب فعند ذلك ركب الفرسان ظهور الخيل واستقبلوا بالسيوف والنصول واتبعوه في تلك السهول وهم يصيحوا الى أن وصلوا ذلك الوادى الغدير فوجد أخاه سالم الزبر وهو مع جماعة من الابطال المغاوير فاعلمه بواقعة الحال وقال له خذ حذرك الآن فقد أتمك الفرسان من كل جانب ومكان فتبسم المهمل وقال سوف ترى ماذا أفعل ثم نزل عن ظهر حصانه وأعطاه لأخيه وأخذ المهر الادهم ووضع عليه عدة الحرب ثم ركب عليه وتعلموا اذا بالفرسان قد أحاطته من كل مكان فصاح عليهم وحمل بقلب أقوى من الجبل ومال عليهم بالحسام كأنه ليث الاجم فطير الرؤوس عن الاجسام وقتك فيهم قتلك الذئب بالاغنام وفي أقل من ساعة أدركته باقى الجماعة الذين كانوا كامنين في وادى الهجين كالشوامين من الشمال واليمين والخبر قد وصل الى جساس فاخذ القلق والوسواس فركب في باقى الابطال ومن يعتمد عليهم من الرجال وقصد ذلك المكان وقا تل قتال الشجعان والرجال بالرجال وتزلزلت الارض من هول القتال وكانت وقعة عظيمة هزم فيها جساس أقبح هزيمة وغم المهمل غنمة جسيمة ثم رجع الى الديار بالعز والانتصار فالتقته النساء بالذفوف.

حوالماهر والدخوف الى القصر منشرح الصدر فشكرته بنات أخيه على ما فعل فقد أخذت
النار وطفيت من القلوب لبيب النار فانه يحفظك لنا ويبيحك وينصرك على أعاديك
فشكرهن على ذلك الكلام ثم جلس للطعام وشرب المدام ثم دخلت عليه أمه فقبلته بين
عينيه وهنأت بذلك الانتصار وطلبت منه أن يرفع عن بني مرة السيف فاستقبلها بالوقار
والاعتبار وقال لها والله اني لأصالحهم يا أماء حتى يعود أخى الى قيد الحياة ثم تذكر
تلك الواقعة وما جرى له في ذلك اليوم فأنشد يقول

يقول الزير أبو ليل المهمل	وقلب الزير قاسى ما يلينا
وان لان الحدبد ما لان قلى	وقلى من حديد القاسينا
تريدى يا أيمه أن أصلح	وما تدري بما فعلوه فينا
فسبع سنين قد مرت على	بيت الليل مغموما حزينا
أبيت الليل أفمى فى كليب	أقول لعله يأتى الينسا
كان كليب فى رؤوس العلا	تقشاه ذئاب جائعينا
أنتنى بنانه تبكى وتنمى	تقول اليوم صرنا حابرنا
لقد غابت عيون أخيك عنا	وخلانا يتامى قاصرنا
وأنت اليوم يا عمى مكانه	وليس لنا غيرك معينا
سلكت السيف فى وجه البسامة	وقلت لها أمام الحاضرنا
فقولى يا يامه ما تقول	أنا عمك حماة الخائفنا
مثل السبع أسطوا على الاعادى	أقبلهم شمالا مع يميننا
خدوسى يا يمامة فوق رأسى	على شاشا اذا كنا نسينا
فان دارت رجالنا رحام	طحناهم وكنا الطاحنينا
أقاتلهم على ظهر المشهر	أبو حجلان مطلق اليمينا
فشدى يا يمامة المهر شدى	وأكسى ظهره السرج المتينا
وماهى حربى رطلين وازود	وحطياها على عود ستيينا
ونادوا اخوتى ياأنا سريعا	القي جيش بكر أجمعينا
فنادتهم أنوا كاسود غاب	وقالوا لقد أتينا ياأخينا

فلما فرغ من شعره شكروه الجميع على ما قاله وباتوا تلك الليلة فى بسط واقتراح
حوى الصباح أمر الزير قومه بالاستعداد للحرب والطراد فركب حصانه وتبعته الفرسان

وفصدوا بنى مرة بقلوب قوية وهمم عليه فالتقام الجساس مع اخوته وأشتبك بينهم القتال بأسوأ حال وكان الزير يفعل فيهم كلنجسنيق واستمروا على ذلك الحالة ستين حتى فقد من بنى مرة في هذا الحرب الأخير نحو اثني عشر الف أمير عدا السادات والمساكر وكان الزير يأمر قومه بقطع الرؤوس ووضعها في المخازن أقسم بالله أنه سيملى البيوت من جماجمهم وباقى الاماكن فلما طال الحال واشتد على بنى بكر الاهوال اجتمعت أكار الناس مع جساس وأخذوا يتفاوضون كيف يتخلصون لأن الزير كان لا يقبل منهم فندى وجمع وسائطهم فقل سلطان لأخيه جساس أعلم يا أخى أن الزير كل صباح يمر على قبر أخيه كليب فيحييه ويقول له لقد قتلت في نارك كذا من الفرسان فهل اكتفيت أم لا فلا يجيبه أحد فالرأى أن تضعوا رجلا داخل القبة بحيث لا يراه أحد فاذا مر الزير على القبر وسأل أخاه ذلك السؤال يجيبه الرجل بسيف خفيف لقد اكتفيت يا أخى فاغمد سيفك من هذا اليوم عن قتال النوم وإيالك وأذية البشر فإن ذلك مما يجلب الضرر فاذا سمع هذا المقال فرمما ينطلى عليه الحال فيكف عن الحرب وتسترج من الفيل والقال فاستصوب جساس وبقى الاعيان رأى سلطان وكان فى النبيلة رجل فقير الحال عديم الأشغال فاستدعاه جساس اليه وقص ذلك الكلام عليه وقال إذا بلغنا الارب جبتنا إلى هذا الطلب أعطيك ما تريد من القود والعبيد فقال الأجرة مليحة لكن الطريق خرة فبيحة فأخذ جساس يحمسه بالكلام ويشجمه بهذا الشعر والظلم

على ما قال جساس بن مرة	ألا يا فارغ الأشغال اسمع
فلى عندك أنا حاجة صغيرة	فتفضها سريعا ثم ترجع
فان الزير أفنانا جميعا	وفرقت جمعنا فى كل موضع
ولا يقبل رجاء ولا عطايا	وعن أفعاله ما كان يرجع
بنار كليب صبرنا شرايد	وأعد فى الوعى كل ليث أروع
يمر بقربه فى كل صحبح	ويزعق صوت للأكباد بصدع
يقول له نعمت أخى صباحا	أيكفى ما قتلت أريد أرجع
فاذهب واخترى فى القبر حالا	إذا صاح المهمل أنت تسمع
لماذا سألك أحارب أم أصالح	أجبه أنت يا محفوظ أرجع
رضيت أنا منهم تلك تارى	وأنت بقتلهم لا عدت تطمع
عساء يظن أنك أنت أخوه	وعن قتالنا يرحل ويرجع

فلما فرغ جساس من هذا الكلام قال له عديم الاشغال على معين والرأس ولما أمسى المساء حفروا سردابا أوصلوه الى القبر وأدخلوا ذلك الرجل فيه ولما كان الصباح ركب الزير الحصان وتبعته الفرسان ومر على قبر أخيه حسب عادته ونادى بصوت عالى نعمت صباحا يا أخى كليب فقد قتلت فى نارك أمس خمسة آلاف نفس أيكفى ماقتلت منهم أم أرجع فافنيهم عن بكرة أبيهم فأجابه من القبر صوت خفيف وأنت نعمت صباحا يا أخى الحنون ياساقى الضد كاس المذون كفى الحرب فقد اكتفيت وشفيت وإن قاتلتهم بعد اليوم تكون قد تعديت وبتيت لتريدنى ضررا وغما وكدرا فإن نفسى قد بلغت مداها ونالت مشتهاها - فكثر الله خيرائك وزاد فى الدنيا مسراتك

(قال الراوى) فلما سمع الزير هذا الكلام زالت أفراحه زاد انشراحه وقال سببحان الله الرحمن الرحيم محي العظام وهى رميم أنت يا أخى بخير ونحن بعدك نقاسى الضنك ثم نزل عن الحصان ودخل القبر وهو فرحان وقال اذا كنت بخيرا أبا اليمامة فما هى السكينة بعد العز فقم الى عند بنائك فاهن فى حزن وكدر ثم جده من لحيته وأخرجه من السرداب وقال له أصدفتنى الخطاب من أنت ومن تكون قبل أن تشرب كاس المتون فأعلمه الخير وأوقفه وسل السيف ليقتله وقد أعاقه فمله فصاح أنا فى جيرة كليب أخيك فلا كان من يعاديك فقد غرتى جهلى لقلة عقلى حتى جرى ما جرى فلما سمع الزير كلامه أبدى ابتسامة فصفع عنه وأعطاه جوادا وف دينار من الذهب فدعا له بطول العمر وخرج من القبر وهو يقول والله أن الأمير كليب يحمى اليوم الخائف من مماته كما كان يحميه فى حياته ثم وقد الزير الى القبيلة وهو يتعجب من تلك الخيلة وفى الغد ركب فى فرقة من الابطال وقصد بنو مرة واشتبك بينهم القتال ومازالوا فى حرب وصدام مدة عشرة أيام فكسرت بنو مرة أشد انكسار وقتل الزير مقتلة عظيمة المقدار وكان يأتى برؤوس جماعة فيضعها على قبر كليب مقدار ساعة ثم يدفنها تحت الثرى وكان كلما أقبل من الحرب عند المساء تلقى اليمامة مع باقى اخوتها فتقول له ياسيد الناس هل أنيت برأس جساس حتى تخلع السودا ويطلب الفؤاد فيقول لها كونى براحة فسوف تنالين الأرب

هذا ما كان المهمل وأما جساس فلما ضاقت به الحيل اجتمع مع أهله وعشيرته وعقدوا أئمنهم ديورا فاستقر رأيهم على أن يذهبوا الى بلاد الحبش والسودان ويلتجؤا بالملك الربيعى عن

أخت تبع حسان فركب جساس في ثانی الايام مع أخويه وأكابر مملكته وعشيرته وأخذ معه أخته الجليلة لتشفع فيهم عند غريم الملك وبقي أخوه جاريش في الحى وكان الأمير يحب الزير من أيام صباه فبعد رحيلهم حضر جاريش عنده وأخبره بما جرى وكان مسير أخوته الى ملك الحبش والسودان فاعطاه الزير الامان وقال له انى ماعدت أحاربكم من الآن حتى تحضر اخوتك الى الاوطان وتوقف الزير من ذلك اليوم عن محاربة القوم وصار يصرف أوقاته بالصيد والقنص هذا ما كان من المهمل وأما ما كان من جساس فانه قد قطع القفار حتى وصل الى بلاد الحبشة وتلك الديار ودخل على الملك الرعيني وقد أعلمه بحالهم المحاضرة وطلب النجدة والمساعدة على حرب الزير وذكر له أيضا بان كليب قتل خاله تبع حسان وبقتله قام أخوه الزير يطلب الثار حتى كاد يفنيهم فلما سمع الرعيني هذا الكلام قال فقد بلغت اليوم منكم المرام فلا بد من زبحكم بحد الحسام لأنكم من أهل لثام قتلتم خالى وأنتم الآن تستجبرون بي ثم أمر بالقبض عليهم وكانت الجليلة واقفة في باب الصيوان لابسة أفخر ملبوس كأنها العروس فلما رأت ما جرى على قومها خافت من العواقب فسقت المواكب وتمثلت أمام الرعيني فقبلت أياديه ودعت له بطول العمر فلما رآها من فرط جمالها ووقع في شرك هواها فقال لها من تسكونين يا مہجة الموائد فقالت أنا أخت القوم الذين قبضت عليهم بدون ذنب وأشارت تقول

مقالات الجليلة بنت مرة	أيا بو فهد اصحى دير بالك
وانظر ياسياج البيض فينا	وانظر للذين وقفوا قبالك
أنا أتيك ياملك البوادي	أيا من بالملأ شاعن فعالك
ملوك الارض كنا يامسمى	فانت نظيرنا نحن مثلك
فا قد جرى كله مقدر	أيا فخر الورى من قتل خالك
قتل خالك كليب في جسامه	وقام أخى الذى واقف قبالك
قتل لكليب عن خالك بسيفه	كرامة خاطرك واصغى لبالك
ظهر لكليب أخ اسمه مهمل	حرمنا النوم زاد الله مالك
قتل منا أماجيد كهيمة	أتينا واقعين على ديبالك
فهذا اليوم يومك يامسمى	فدق الطبل واركب برجمالك
وسر معنا الى الزير المهمل	فاقتله ودوسه فى نعالك
وأحكم سائر العربان واملك	على أموالهم تبقى حلالك

ولا تشتق العدايا أمير فينا أتينا لك وصرنا من عيالك
وأنت صمدع شهيم كريم جميع الخلق تفزع من خيالك
فلما فرغت الجليلة من نظامها وفهم الملك خوى قصدها ومرامها نارت في رأسه الحمية
وقال لها لقد فهمت كلامك يا صبية ثم أشار يقول وعمر السامعين يطول

قال الرعيني أبو فهد قال ألا يا جليلة إسمي المقال
وأتم أفهموا قولي يا ملوك أولاد مرة ترون الهم زال
أنتوا تلتجوا في الجميع وقعتم على وقع العيال
من جور الزير يا أهل السكرم دهاكم ضناكم وماكم يحال
فوا حياة رأى ورحمة أبي وخالق الأرض ورأسى الجبال
لأركب عليهم بكل الفحول وأجرد عساكر شبيه الرمال
وأقتل عداكم بحمد السيوف وأدع أنا الزير بأسوأ حال
جليلة طيبي أنت وأبشرى أنا فدا أخوك بحمد النضال
أيا أخى غطاس انهض الآن وأجمع الفوارس والأبطال
ونادى الجيش بأن يركبوا ويتقلدوا السيوف الصقال
ودقوا الببول وشدوا الخيول ومشوا الفحول شبيه العدال
قدعنا نسير يزيل السعير عن بني مرة هذا النكال

فلما فرغ الرعيني من كلامه بهض أخيه غطاس والوزير وجمعوا الأبطال من عسكر
السودان وندى المنادى أن السفر يكون بعد ٣ أيام ولما تجهزت العساكر كان عددهم ستمائة
الف بطل ففرح جساس ومن معه من الناس لما رأوا السهول قد امتلأت بالخيول وفي
اليوم الثالث دنت الطبول وسارت العساكر كالبحور وفي أوائلهم الملك الرعيني وأكابر
دولته وجساس وباقي عشيرته وما زالوا يقطعون البراري والآكام حتى وصلوا إلى
بلاد الشام فأرسل جساس يعلم قومه بقدم هذا العسكر وأن لهم الأطعمة والزرع فلما
سمعوا الخبر فرحوا فرحا عظيما وهياؤا لهم جميع ما يحتاجونه من الطعام والمداين وخرجت
الرجال والنساء للقاءهم فلما وصلوا إلى الديار نزلوا في المضارب والخيام وقد تباشر قوم
جساس بالظفر وبلوغ الأمل .

كل ذلك يجري والوزير ليس عنده علم بشيء من هذا الأمر بل كان مواظبا على الشرب
فبينما هو كذلك إذا دخل عليه أخوه عندي وقال له أنت جالس في صفاك ولا تدري الذي

حكاه وأشار يقول :

لقد قال الفقى المدعو عدايا	ودمع العين فوق الخد ساجم
أراك اليوم فى زهو وهو	قلبه يا أخى إن كنت نائم
فقم أنظر إلى ماسوى يجرى	من الأعداء يا ابن الأكارم
أتونا قوم مرة بالرعىنى	ملك جبار بالاحكام ظالم
فقد ذهبوا اليه يا مهمل	فجاء بست كرات عوالم
بهم من كل قوم ليك أروع	وهو من بينهم كالصقر حليم
تبدى الزير حالا ثم قله	تخاف من العدو وأخوك سالم
أنا وحدى الأفيهم بعزى	أنا الدهاس فى يوم العظام
ولى سوف أفتك بالرعىنى	وأقطع رأسه والله عالم

(قال الراوى) فلما فرغ الزير من نظائمه تعجب قومه من هذا المقال وشكروه على تلك الأفعال وأخذوا يستعدون للحرب والقتال وأما الزير فانه صبر إلى الليل فغير زيه وتكره حتى لم يعرفه أحد من البشر وجعل نفسه من شعراء العرب الذين يقصدون الامراء وأرباب الرتب طمعا فى الفضة والذهب ثم ركب الحصان وتقلد بالحسام من تحت الشياب وأخذ معه بعض الغلمان وصار إلى قبيلة بنى مره ولم يعلم به انسان ولما اقترب من الحى نزل عن ظهر الجواد وسلكه للانلام وقصد المضارب والخيام حتى وصل إلى صيوان الرغبي فراه جالس وحده فدخل وتمثل بين يديه فلما رآه الرغبي بذلك المنظر خاف فسأله عن مهنته فقال انى شاعر اقصد الامراء فامدحهم وأنال منهم الانعام وقد سمعت أن ضيف بنى مره فأتيت من مدينه البصرة قاصد إلى أن تشرفت بطلعتك وتمثلت أمام حضرتك

(قال الراوى) فامر الملك الخازندار يعطيه مائة ألف دينار فعند ذلك حل الزير سيفه الابتر وضرب الرعىنى على عاتقه خرج يلعب من علائقه قال عليه الطواشيء والخدم وبعد ذلك على الخيام كسبع الإجام قتل الرجال ومدد الأبطال فرقع فى السودان الضجيج والعويل والنواح فخرجت الفرسان من المضارب وركبوا ظهور النجائب فتقلدوا بالسيوف وهجموا على بنى مره ولم يعلموا بسبب ذلك الويل وشدة الظلام غير أنهم ظنوا أن بنو مره قد خدعهم حتى أتوا معهم إلى بلادهم وقتلوا ملكهم وغدروهم فلما رأى جساس ماجل بقومه من السودان استعظم هذا الشأن فركب جواده وتبعته أجواده واضطر أن يدافع عن نفسه ويحلمى عن أبناء جنسه فقاتل تلك الليلة حتى استقبل وفعلت رجائه مثل ما فغل

وكانت ليلة مهولة وحادثه غير مأمولة كثير فيها القتل والجراح إلى وقت الصباح وكان المهمل لما لمخ الأمل بذلك العمل أرسل عبده في الحال يطلب الأبطال لحضروا عند طلوع النهار وأحاطوا بالأعدى يمينا ويسار وأحكوا فيهم ضرب السيف واستمر بين القوم الحرب والصدام مدة ثلاثة أيام حتى أبلاهم الزير بالويل والدمار وقتل منهم كل فارس كرا

وكان من جملة المقتولين الأمير غطاس قائد جيش السودان فلما رأت ماحل لها من الهوان ولت الأدبار وكذلك انهزم جساس ومن معه ورجع الزير مع قومه المتملبين فائمين ظفرين فدخل القصر بالعز والنصر وصحبته كبار القواد الذين عليهم الاعتماد وهم يشنون على المهمل ويقولون بسيفك فلما المراد وقهرنا الأعدى والحساد فلا زالت أيامك في سعور وعدوك مكودثم أنهم أكلوا الطعام وشربوا رباتوا تلك الليلة في سرور وأفراح على ذلك الانتصار وأما جساس فانه بات في قلق ووسواس وندم على ما فعل ولا سيما لما بلغته الاخبار بأن ذلك الانكسار وكان يحياه المهمل الاسد الكرار فزاد همه وعظم حزنه وغمه فكاتب قبائل العرب يطلب منها المساعدة على قتال بني تملب فانضمت اليه عدة قبائل برسم المساعدة وصاروا جميعهم يدا واحدة وكذلك انضم مع الزير جملة قبائل مشاهير حتى لم يبق قبيلة من بلاد العرب الا وانضمت مع بني بكر وتعلب

(قال الراوى) ومن غريب الاتفاق ان الأمير مهمل خرج ذات يوم في عشرة آلاف بطل ومعه الأمير كشياف وكان من اشراف بني تعلب وفرسانها ليحس اخبار بني بكر فر بقبيلة من قبائل العرب يقال لها بنو تميم وهم فرع من تعلب وكانت هذه القبيلة ذات خيرات كثيرة فاجتمع مهمل بفرسانها وسيدها الأمير عمر وقال لهم أركبوا معنينا بنو تميم لقتال بنو بكر فابوا وقالوا عن فرد لسان إنا لانحارب من لا يحاربنا من العربان فقال مهمل أكل من في شملكم الحرب لحد الان فقالوا لا يا فارس الميدان فقال وحق الإله الخالق ما كنت أظن إلا أنها شملت كل من في المغارب والمشارق وما دام الامر كذلك يا وجوه العرب تنحوا عن منازلكم خوفا من حلول العطب واقصدوا غير هذه الديار لان مرادنا الهجوم عليهم تحت ستور الاعتكار نان حاربناهم لا تأمنوا على أنفسكم من شرهم واذام لانكم فرع من قبيلة بني تعلب فينتقموا منكم لهذا السبب فقالوا ما علينا من بأس فانهم يحاربون من يتفرض لهم من الناس فاغناظ المهمل من هذا الكلام وتركهم وسار على الاثر بمن معه من العسكر وجد في قطع البر الاقفر فالتقى بقوم من بني بكر فكسبهم تحت الظلام وأبلاه بالذل والويل فسلم أمراهم وقتل رجالهم وأخذ رؤس ساداتهم العظام ورجع في الظلام وطرح الرؤوس بين خيام القوم المنعزلين من بني تميم المذكورين

وكانوا راقدين ثم تركهم وارتحل وسار على عجل فلما استيقظت بنو تميم من المنام ورأت
 الرؤوس بين الخيام أيقنوا أنها مكيدة من المهمل وعلبوا أن لا بد أن العدو يتهمهم
 بفلك فنهضوا وارتحلوا من اطلالهم بمواشيهم وأموالهم وانضموا الى قبيلة بني تغلب
 ولما عظم الأمر على جساس وضائق منه الا نماس قصد العابد نعمان الذي تقدم ذكره فوقع
 عليه وطلب منه أن يسير بالاجل الى المهمل ويطلب منه كيف الحرب والطعان مدة من الزمان
 لاجل أخذ الراحة من هول تلك الحرب التي أهلكت الرجال ورملت النساء ويتمت الاطفال
 فرق لحاله وسار الى المهمل في تلك الساعة وطلب منه أن يكف القتال ولو رهة قصيرة ومدة
 يسير لراحة القبيلتين فاجابه الى ذلك المرام لانه كان يحبه دون باقي الانام وأمر بتوقيف
 الحرب في ذلك اليوم واشتغل المهمل في تلك الايام بالملاهي وشرب المدام وكان جساس
 يتربص على المهمل الفرص ليقتله ويزيل ما بقلبه من الغصص فبلغه في بعض الايام بأن
 الزير طريق الفراس في الخيام من كثرة شرب المدام وأن اخوته خرجوا للصيد
 ورجوعهم يكون بعد ثلاثة أيام فيجمع اخوته اليه وأعلمهم بذلك الخبر فانفق رأيهم أنه بعد
 غروب الشمس يركب أخوه سلطان في جماعة من الفوارس ويكبس الزير على حين غفلة ولما
 كان الليل ركب السلطان في ثلاثة آلاف فارس وقدحى المهمل ولما صار هناك هجم عليه وهو
 واعد في الخيمة سكران فاحاطت به الفرسان وقبضوا عليه وأوثقوه كئنا ثم نزلوا عليه
 بالسيوف الى أن تخنوه الجراح وأتلفوه حتى صار عبدة لمن اعتبر وكان دمه يسيل كالمنطر
 فزادت أفراحهم وزالت أتراحهم ثم وضعوه في جلد جاموس وأخذوه الى عند أخته ضباع
 وقالوا لها قد أتيناك بقانز ولدك فخذيه وأشفي منه غليل كيدك فيه لانا قد ارتحننا من أذاه
 فما هان عليها ذلك الأمر ولكنها أظهرت لهم السرور والفرح وقالت أن جزاء هذا الغدار
 الحرق بالنار ثم تركوها وساروا وأما هي فقد احتارت في أمرها وزادت حزنها لاهوان
 كان قتل ولدها فقد شيد للقبيلة ذكر الايبور مدى الدهر فبينما هي في بحر الافكار واذا
 قد فاق من غشوته وصحى من سكرته وقال على آخر رمق سبحان الحي الدائم ثم صاح
 يطلب عبده وهو يظن أنه في ذلك المكان فقالت له أخته ضباع لقد انتقموا منك أعداك
 فأصحى فقد ذقت الموت والهلاك فلما رأى ذاته وهو على نلك الحال أنشد وقال

يقول الزير أبو ليلى المهمل	ونار الحزن	توقد في حشاه
فكان كليب ملك البرايا	أتى جساس	غدره بالفلاء
جلست مكانه	أخذ لثاره	وكنت أنعيه صباح مع مساء

فقال الشيخ كف الحرب عاجل فلا تنقل سيف ولا تنه
جلست بخيمي والدان جلبي وعندى العبد ما عنده سواء
وقوى كلهم للصيد راحوا فعرفوا القوه مع باقى العدا
أنوا بى والمقدار كان كائن وحلبى كل مما أن تراه
أنوا بى لعندك يا أخت حتى تنالى الثأر يا غاية مناه
كلينى يا ضاع أرافليني أنا أخوك إذا احتيت القاء
فانتى تشبهى اللبوات حقا وانى مشبه سبع الفلاء
فالقينى بصندوق مزفت وأرمينى ببحر فى مياه
أيا أخنى أصنى أنت ناصلك ربيعة أينا ما فيه عباه

فلما فرغ الزير من كلامه غاب عن الوجود وكانت ضباع لما سمعت كلام أخيها صار
الضى ظلاما فى عينها ثم جاءت بصندوق كبير فوضعت فيه سالم الزير وقلته وطلته بالزفت
وكان عندها عبدان فأمرتهما أن يحملتا الصندوق ويلقياه فى البحر فحملتا وسارتا
معهما تحت جناح الظلام إلى أن وصلتا به إلى البحر فطراحا فيه ثم رجعت ضباع وهى
تبكى على أخيها وتقول ياليتنى كنت فذاك فقد أحرقت قلبى بقرارك يا جمل المحامل
فخر الأبطال ثم أنشدت ترثيه بهذه الأبيات

تقول ضباع من قاب حزين أيا عبنى فزيدى فى بكاه
كوانى البين فى أول زمانى رمانى الدهر فى أعظم بلاها
أيا عبنى فزيدى فى بكاك على محزونة فقدت أحاما
لقد كنا ملوكا للبرايا ومن أعلى ملوك الأرض جاها
كليب هو الذى جساس قتله طعنه ضربة برحه فى قفاها
ترك دمه على الأرض فابر بحربة مسممة بالدم سقاها
وقام الزيركى يأخذ بشاره فقاتل آل مرة ثم هفاها
لقد قتله سلطانا بغدر اتناشر الف حماله قاه
وقال خذوه إلى أخته الحزينة لاخذ نأر ولدها من أخاها
فحطيته بصندوق مقفل ومن بنى مرة ما يعلم حداها
وقلت له روح يا جمل المحامل أيا عامود بيتى قد أيجناها
وقلت له افرح يا جمل المحامل أيا مشعال بيتى قد طفاها
وقلت مشة يا فخر قومك أيا حطاط للجائع عشاها

وقد أخذه الموج عاجل وموج البحر يلطم في مداها
 فقلت له روح ياسبع الغاب بيوم الحروب ما تعطى قفاها
 وهذا صار في عصر الجليلة إله العرش يعدمها صباحا
 قسر يا ريج وأخير لليامة اتصبح ثم تمسى في بكائها
 ثم رجعت إلى الحى وصبرت حتى رجعت أخوتها وبني عمها من الصيد فأعلمتهم بتلك
 القضية وما حل بالزير وقالت والله أنكم بعد أخوكم المهلهل تتعبون مع جساس فتأسفوا
 جميعهم عليه وبكوا من فؤاد موجد وضباع كتبت ما فعلت بأخيها وأشاعت الخبر
 لأنها حرقة بالنار وأخذت منه بالثار ولما شاع الخبر وانتشر بين الناس فرحت بنى مره
 وجساس وأما أخوه الزير فانهم شقوا ثيابهم من فرط أحراهم وأخذوا يمددون ويندبوه
 بالاشعة ويذكرون ماله من محاسن الآثار وكان أكثرهما حزنا أخوه فأشار وقال :

أيا ويلي فدمع العين هلا على الخدين من دمي صباحه
 وعلى فقد الفتى المدعو المهلهل نور العين تدري ما أصابه
 غدونا كلنا للصيد عنه وهو جالس كأنه سبع غابة
 وعند رجوعنا لم نلتقه فأحرق وسط مهجتنا غابة
 فن يوم كليب أخيه ولى فلا يسرح ويلقى صحابه
 وما فارق حمله طول عمره ولا تعرف له مدة غيابه
 مهلهل راح من أولاد مرة وسهم البين زد لنا غرابه
 وبعده كيف عاد يصير فينا لأن جساس ماتحمل عذابه
 نرى بعده سيسحقنا جميعا يشتتنا ولا يخشى عتابه
 ألا يا إخوتي ماذا نسوى وأين نروح من هذه العصابة
 تعالى أخى أبا زراعين قل فقلبي والحشا يا أمير دابة
 أيا طراق يا ناصر تعالوا أيا عزوز يامية شبابه
 ويا جنبل وباقي الأمانة تعالوا وامموا مني الخطاه
 تقول الزير ولى وراح منا قتيلا واندفن تحت الترابه
 ونحسب أننا لسنا نراه فن هذه النهار إلى الغيابه
 وأعدنا بنى هلال ومرة يظلوا عارنا نفدى خرابه
 فكيف الرأى يا أهل المروءة فاقم حزنا و القرابه نحن

نقص يا قوم الزير منا واحد أنحسب مات وإلا إيش صابه
ونحن أخوته خمسون بمده نبید الحصم في يوم الحربه
وأتم مثلنا يا قوم وأرحل ولا فيكم ردى بالناس عابه
فاذا رأى ردوا إلى جوابي عسى منكم بطل أسمع جوابه
فلما فرغ عدى من هذا الشعر والنظام بكى الحاضرون ثم أنهم ساروا إلى منازلهم
وأخفوا أحزانهم في قلوبهم هذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من بنى مره فاهم لما
بلغهم أن ضباع أحرقت أخاها في النار فرحوا واستبشروا وكان جساس قد مضى إلى
الصيد والقنص ذلك النهار ولم يعلم بما تجدد من الأخبار فلما رجع إلى الديار رأى النساء
والبنات يتناشدان الأشعار والحنى في حفظ وأفراح فسأل عن السبب وقد أخذه العجب
فأعلمه أخوه سلطان بما جرى وكان وأنشد يقول وعمر السامعين يطول

قال سلطان بن مرة في بيوت يا أخى جساس اسمع لى وطيب
زال عنا الشر يا فخر المسلا وحل لنا الخير عن قريب
يا أخى في عينك أجريت بدع في مهمل ابن عمك ها المعيب
كلهم للصيد راحو يا أمير والعرب كل بعيد مع قريب
والمهمل ناصب الخيمة بعيد في وسط بستان يخصه يا حبيب
وحده يسكر بليله والنهار رحت أنا اليه من بعد المغيب
في ثلاثة آلاف فارس غانمين كل فارس مثل سبع ومثل ديب
وهجمت عليه حالا بالهجل ووقعنا عليه بضرب عجيب
ضربته حتى انقطع منه النفس وانطرح بلا مسعف لاجيب
ثم أخذه إلى أخته ضباع لتأخذ تار ولدها الجيب
أشعلت نارا لتحرقه بها والفته على جرة نار التهب
هذا الذى أجريت يدك يا أمير يا حماة البيض في يوم النكيب

(قال الراوى) فلما انتهى سلطان من كلامه وشكره جساس على اهتمامه وقال بارك الله فيك
فان فعلك سيبيق مدى الايام ثم ساروا إلى الحى ولما وصلوا إلى الصيوان جلس جساس في
الديوان وحوله الفرسان ثم أمر بدق الطبول ونفخ الزمور وعمل وليمة عظيمة ورقصت النساء
والبنات ودارت بينهم الافراح والمسرات وكان عندهم ذلك النهار من أعظم الاعياد (قال
الراوى) وكان بلغ بنو قيس حقيقة الخبر وأن المهمل مات وأن دفنوا بالموت الاحمر فزادت

بليتهم وعظمت مصيبتهم فمنهم من ارتحلوا من الديار وقصدوا السهول وتشتوا في البراري
والقفار ومنهم من قصدوا الأمير جساس وطلبوا منه الأمان دون باقي الناس فاعطاهم
الأمان ولم يبق عند أخوه الزير سوى شزيمة يسيرة فقصدهم جساس بالابطال ودار
هم من اليمين والشمال فسلموا أمرهم اليه وقد نهب أهوالهم وساق جمالهم ثم شرط عليهم
أن لا يوقدا نار في النها ولا في الليل ولا يركبو ظهور الخيل بل يترصوا مكانهم في الخيام
قاجا بوه الى ذلك خوفا من الاندثار بعد هذا رجع الديار بالفرح والاستبشار وصار في
مقام عظيم وحكم لسبعة أقاليم وأما أخوه الملعل فانهم رحلوا بعد ذلك من اطلالهم ونزلوا
في واد الشعاب وهم في بكا وأتعب وصبر وعلى حكم رب الارباب هذا ماجرى لهؤلاء
من العبر وأما الزير الاسد الفسور فانه لما القته أخوته في البحر كما سبق فنفذته الامواج
الى أن سائته المقادير الى مدينة بيروت وكان اسمها الخيرية وملكها يدعى حكوم بن عذار
كان من أجل الملوك قدرا واتفق بالامر المقدر أن ثمانية من الصيادين بنينا يصطادون
السمك نظروا الى ذلك الصندوق تتلاطم به الامواج فقال أحدهم أرفيقه انظر يا صموئيل
قال هذا صندوق قد سافه الينا اله اسرائيل ثم أنهم قصدوه في الحال وسحبوه الى الشاطئ
بالخبال بعد تعب ما عليه من مزيد فقال رئيس الشختور ليلقى الاعوان تعالى قسمه علينا
قبل أن نفتحها فإخذ كل واحد حقه على قدر ما يستحقه فاجابه بعض الرجال ما هو مرادك
بهذا فقال أن لي النصف ولكم النصف لأنى صاحب الشختور فقال وحق حمار
المميز ما نال منه شيء ثم وقع بينهم الخصام وتشتاموا بالكلام فضرب أحدهم الرئيس
يسكين فقتله طمعا بالمال حتى قتل منهم عدة رجال ولم يسلم سوى رجل واحد واتفق
الامر المقدر أن حكوم كان قد خرج في تلك الساعة مع أكابر دولته للصيد والمنص
قصادف مروره من ذلك المكان فوجد الصندوق وذلك الرجل والفتلى مطروحة على
الأرض فوقف وسأل الصياد عن السبب فاعلم بما حصل فامر بحمله الى السرايا وأرشد
واجما مع باقي حميته فامر بفتحها ففتحوه وإذا رجل طويل القامة عريض الهامة واسع
المنكبين كبير القدمين مسخن بالجراح من ضرب السيوف والرماح فقال لخواشيته
ماذا وجدتم فيه قالوا يا ملك الزمار فيه انسان كانه من عفاريت سليمان له عيون كهيون السباع
فلما نظرة الملك اعتراه الخوف وقال لاتباعه كم له من الزمن في هذا الصندوق وكان عند
الملك حكوم طبيب اسمه شمعون فتقدم الى الزير وجس زلعومه وعروق الروح فوجد

يحتاج في أعضائه فقال للملك أن الرجل حي فقال هل تقدر تشفيه وأنا أعطيك العطاء قال نعم يا مولاي ثم نهض على الاقدام وقال بسم الله العلي العظيم ثم أخذ اسفنجه وبلها بالماء والجار ومسح الجروح ووضع الرام على القروح ثم جاء بعسل النحل وسقاه في برهة قصيرة تحركت أعضائه وفتح عيناه فتأمل في ذلك المحفل فرأى جماعة من الرجال صفر الوجوه طوال فاعتراه الاندهال وشكر الاله فقال له حكوم من أنت ومن تكون وما هو اسمك فقال اسمي موحد وأنا عبد الاله العظيم رب موسى وإبراهيم فقال ما هي قصتك وسبب وضعك في هذا الصندوق فقال كنا أربعة سياس عند أحد الملوك وكنت أنا المقدم عليهم فحبسوني وضربوني ذات يوم بقصد يقتلونني فغبت عن الوجود من ألم الضرب ولم أرى نفسي الا في هذا المكان فقال الملك للحكيم خذه عندك وداوية ومتى شله أحضرة عندي فامتثل الحكيم أمر الملك وعالجه مدة حتى ختمت جراحه وتحسنت أحوالي فأتى به الى عند الملك ولما دخل عليه وتمثل بين يديه فقال له كيف أنت يا موحد فقال فأننى بحسب أنظارك الشريفة قد شفيت وحصلت على العافية فله در هذا الحكيم لانه يستحق الانعام والاكرام فهما أنعمت عليه سأعطيك اياه فتبسم الملك من هذا الكلام وأنعم على الحكيم ثم التفت الى المهمل وقال اعلني بحالك وكيفة أحوالك وأشار الملك يقول

قال أبو ستر حكوم البلاد	يا موحد استمع مني المقال
هات أحكى لى على ما صار بك	ما عملت وما نقلت من الفعال
حتى طعنت يا موحد الرماح	جرحوك كثير بسيوف صقال
يا موحد أنت اليوم رجل ملبح	قوم فارس خيل ما أنت هزال
قولى على زى الجروح كيف صار	ماسيهم قول ياسبع الرجال
ثم اعلني على قد ما أقول	يا زكى الاصل من عم وخال
فى بلادك أن أتوك الغانمين	يضيرون الشور لك معهم مقال
بعد هذا قل لنا عن صنعتك	التي تأكل بها خبزك حلال

(قال الراوى) ولما فرغ حكوم من مقاله قال له الزبر أعلم أيها الملك الجليل ان سألت عن حسي ووظيفة أبي فانه كان من ملوك العرب غدر به الزمان حتى صار يسوم من الخيل وأنا تبعت صنعته وهذه وظيفة وأشار يقول وعمر السامعين يطول

قالوا أبو ليلى المهمل فى قصد ياملك حكوم يا حلو الخصال
فى بلادى سألت عن الجلوس مجلسى فى الوسط فى أعلى الجبال

هوان سالت الشور كل الشور لي
 هوان وقع الحرب وضرب سيوف
 وان آتني ضيف يا عز الضيوف
 والفتى المعروف منجد يا أمير
 ان كنت تسأل يا ملك عن صنعتي
 أما أبي ذو قدر عظيم
 وبعد العز صار سايس الخيول
 وأنا قد صرت سايس بعده
 والجروح هي من عص الجواد
 قت من كدرى ضربته في حشاه
 لاجل ذاك المهر سورها الفعال
 وارتميت بالذل مع كثر الخيال
 ما أحد يقدر يخالف لي مقال
 فالعذارى هلك فوق الجبال
 وأشيع الضيف من لحم الجبال
 ابن وائل ذاك يا أمير خالي
 صنعتي حاصود بروس الرجال
 مال فيه الدهر يا حكوم مال
 بالكرامة بعده عزه والذلال
 سائسا للخيول ما مثلي مثال
 قد ضربني برجله أربع فعال
 راحت السكين تلمب للفرال
 وارتميت بالذل مع كثر الخيال

فلما سمع حكوم كلامه غضب عليه وقال أنت كذاب لأمك أخبرتني قبل الآن أن
 حفاك ضروك واليوم تقول الحصان ضربني وتسكذب على وتحتقرني فلو كنت من الناس
 لا كرم ثم تقتله فشمب به أكابر دولته ووضعوه في الحبس وبقي سنة كاملة وكان يسطو
 على المحاييس ويأكل طعامهم فمضت المحاييس وشكوه إلى الملك فأمر باحضارة ولما تمثل
 أمامه قال له هل أنت ماهر في سياسة الخيل قال نعم فقال لا تباعه سلوه خيلنا فان وجدنا
 لله معرفة في سياسة الخيل أكرمناه فسلوه الاصطبل فكان يسوس الخيل أحسن سياسة
 واستقام على ذلك مدة من الزمن وكان كثيرا ما ينفرد بنفسه ويتذكر نفسه وما فيه من
 من الالهة والاسرو يقول يا ليت شعري وما جرى عليهم من بعد وهكذا كان الزير
 الذي قهر الابطال فبعد أن كان صاحب العز والجاه وقع في أسربنو اسرائيل فكان الموت
 أهون عليه من هذا القبيل ولكنه سلم أمره إلى الله وتأمل منه الخلاص وكان قد انتخب
 له فرسان أطايب الخيل وكانت طويّة العنق قصيرة الرأس أجود من القميرة فرس جسام
 واعتنى بتربيتها حتى حالت فأخذها شاطئ البحر وربطها هناك فخرج عليها من البحر
 حصان وشب عليها فراحت حامل وبعد عام ولدت له مهر فسماه الآخرج اخروج إليه
 من البحر ثم عاد ذلك في العام الثاني فولدت له ميرا آخر كأنه الايجر حصان عتق فسماه
 أبو حجلالي واعتنى بهما دون باقي الخيل واستمر على تلك الحالة مدة أربع سنين وهو
 يطلب الفرج والمعونة من رب العالمين

واتفق في تلك الايام أن برجيس الصليبي أحد ملوك الروم خرج مع أخيه في مائتي ألف عثان من بلاد كسرون أو تلك الحدود لمحاربة حكوم ملك اليهود وقد دلت الاخبار وعلاء الأعصار بان مدينة حكوم كانت نفس مدينه بيروت وكانت مزخرقة فلما اقترب اليها برجيس بالعساكر النصرانية نصب خيامه بالاشراقية وكتب كتابا الى حكوم يقول فيه من الملك برجيس بن الملك ميخائيل الى حكوم ملك اسرائيل أما بعد خالفت الشروط ولم ترسل لنا الخروج المربوط وقد مضى خمسة أعوام وأنت تحاور بالكلام فافتضى أن نقصدك بفرسان كأنها من مرده الجان فان قدمت لنا الخروج المطلوب من عشر مالك توقفنا عن قتالك والا وحق من أوجد الانسان والمسيح الذي ولد بلا دنس خربنا ديارك وقلعنا آثارك وجعلنا الولايات لليهودية تابعة للانفاليم المسيحية فاسرع في رد الجواب قبل حلول العذاب ثم أنه ختم الكلام بهذا الشعر والنظام

على ما قال	برجيس الصليبي	كريم الوالدين	أيا وجد
شديد البأس	ما بين البرايا	على السادات	دوما مستجدا
أذل القول	في سبني ورحي	أقد الشوس	والهامات قدا
أيا قصد	الحكوم اليهود	فاعله	بما قد استجدا
وأخبره	بفرسانى وجيشى	وما عولت	أن أفننه جدا
بهم من كل	قرم ليث أروع	يصد الخيل	في الميدان صدا
بديد المال	ارساله سريما	وان لم يمثّل	أمرى فبردا
وعشر الخيل	مع العذارى	بنات قد زهوا	وجها وقتا

ثم أن الملك برجيس أرسل الكتاب مع أحد قواده وأمره أن يسير لعند حكومه فيعطيه الكتاب ويأتيه بالجواب فامثل الفائد أمر مولاه وجد في قطع الفلاة إلى أن دخل البلد وقصد حكوم دون كل أحد فتمثل بين يديه وأعطاه الكتاب وانتظر الجواب وكان عند حكوم جماعة أخيار اليهود فلما قرأ الكتاب أحمرت عينيه وصاح على الرسول بصوت مثل الغول وهكذا يكتب لى برجيس فلول العار لقطعت رأسك وأجدت أنفاسك فاذهب وقل لمولاك يستعد للقتال فاني لأهاب ولا أحسب حسابه فخرج الرسول من بين يديه وهو ينفذ غبار الموت عن عينيه ثم صاح حكوم على أخيه صهيون ووزيره وقال لهما استعدا للقتال وفرقا السلاح على الابطال فقد أنتنا العساكر النصرانية عسكروا في الاشراقية فأجابه إلى ما أمر وأمر بتجهيز العساكر وفرق عليه السلاح

ولما بلغ برجيس كلام حكمون صار كالمجنون وعول ثانی الايام على الحرب والصدام
وعند الصباح استعد حكمون للقتال فخرج من البلد بالعساكر والعدد ومن حوله الكهنة
والاحبار وهم يتلون التوراة وكان الملك برجيس قد ركب في ذلك النهار وتقدم طالبا
الاسوار لما التقى العسكران وتقابل الجمعان في ساحة الميدان هجمت العساكر النصرانية
على الابطال الاسرائيلية وتضاربوا بالسيوف الشرفية فاستظهر عسكر الملك برجيس على
عساكر حكمون حتى أذاقوه كاسات المنون وهو يتلف ويتأسف على ما حل بعسكره في
ذلك النهار ودخل البلد مع الجيش وأغلق الابواب وقصد قصره وهو خارج عن دائرة
الصواب ونزل برجيس خارج المدينة وكان قد امتلك في ذلك النهار ثلاث قلاع حصينة
وكان المهمل قد سمع صياح الغوم فسأل عن الخبر فأعلموه بواقعة الحل فاشتافت نفسه
للقتال وأخذ قضيبه بيده وصعد إلى السور ليشاهد تلك الامور وكان ذلك المكان وبقر
حكمون فظهر الغوم وهم يتقاتلون فكان كلما شاهد النصارى غلبوا يقول ليهود تقدموا
وكان يهدر كالرعد القاصف وهو راكب على الخيطة كما يركب الحصان ويضربه برجليه
ويصيح على الفرسان واستمر على تلك الحال إلى أن أرجع حكمون للبلد وهو في غم
ونكد وكان لحكمون بنت كالقمر المنير اسمها أستير فنظرت من الشباك أفعال الزير
فأخذها العجب وعند رجوع أبيها سألته عن حاله وما جرى في قتاله فأعلمها بواقعة الحل
واتصار برجيس عليه في القتال فعند ذلك شرحت أستير لابيها ما رأت في ذلك اليوم
من أعمال الزير وقالت إذا كانت أعماله صحيحة فانه يكسر هذا المسكر ويذيقه الموت
والاحمر ثم أنشدت تقول

نظرت اليوم بعيني العجايب
فعال قد تعيد الرأس شايب
وقد هجمت العساكر تحارب
وراح السيف يعمل بالمناكب
غرائب قد فعلها مع عجائب
إلى أن قد جرى دمه سكايب
فرج الارض والكنايب
وإن ولت عداك يقول طائب
قتل روحه وهو للخيطة راكب
من الاول إلى وقت المعارب

تقول أستير أسمع لي كلامي
نظرت اليوم من هذا الموجد
فلما دقت الطبل النصارى
والتفت العساكر بالعساكر
فقد أبهرت أحوال المواجد
ويزعق ثم يلكز في كعابه
ويهدر مثل ليت أرعى
إذا ولت رجالك قال باطل
ينغني الناس واحد بعد واحد
فهذا ما نظرتة اليوم حقاً

فلا أدري عقل صيدع ولا أدري أهو مجنون غائب
فلما فرغت أستير من كلامها تمجيب أبوها وأراد أن يستدعيه فقالت له أن يركبه
أخوك نهار غد لقتال العدا وأنت تنق في القصر فلهه يفعل مثل أمس قد شاهدنا أحواله
فاستصوب أبوها كلامها وبات تلك الليلة ضجرا وفي الصباح أمر أخاه أن يخرج لقتال
النصارى فامتلأ وركب في عسكر اليهود فالتفت النصارى مثل الأسود واشتد بينهم
القتال سمع الزير صباح الأبطال فالتفت قلبه بنار الاشتغال فصعد إلى السور وهو حزين
وفعل كما فعل بالأمس كثيرا ما يقول بالثرات كليب من جساس المخذول وهو ينحى القوم
ويقول اليوم ولا كل يوم وكان حكمون ينظر إليهم مع ابنته فتعجب من أفعاله ومن
صورته وأمرها أن تناديه ليمتلأ أمامه فناداته فالتفت إليها وقد اندهل من حسننها
فقالت له أبى يدعوك أن تحضر فنزل عن السور وصعد إلى القصر ودخل على الملك وقبل
الأرض بين يديه فقال حكمون إن كنت قادر على ما تقول فانزل وقاتل في هذا فان لنا
جميل وإن كسرت الأعداء بلغت الآمال وأغنيتك بالمال وأطلقتك من الأسر والاعتقال
فأجابه الزير يقول :

يقول الزير أبو ليلى المهلهل	ملك حكمون أبشر في مكانك
أبو أستير بشر بالفضيلة	صفا عيشك وقد ولى نكادك
أتبني بدرع مع سيف صقيل	ومهر أصيل من أحسن جياذك
فأبرز للنصارى وأنت تنظر	واقتل كل من يبغى عنادك
وأنت بقصرك المعمور تنظر	ولا تنزل ولا تركب جوادك
فإن لم أطرد الأعداء وحدي	حرام على أن أكل لزدك

ولما انتهى أمر الملك أن يطوه جواد من أطايب الخيل ودرعا وسيفا فأتوا إليه
بجواد قتال هذا لا يحماني ثم اتكى عليه فسكر أضلاعه فأتوه بأجير فاتبه ومارال على
تلك الحال حتى قتل منهم فتعجب الملك من قوته ثم أتوا بعده حرب ففعل كذلك إلى أن
أتوه بعده الملك حكمون فلبسها وكانت من أحسن العدد واعتقل بالسيف المهند وركب
حصانه الأخرج الذى ينتظر منه الفرج وأخذ في يمينه الرمح والتفت إلى حكمون وقال له
اليوم تنظر أفعالي ثم لكن الحصار وقوم السنان وانطلق إلى ساحة القتال وكانت
النصارى قد كسرت اليهود وقتكت بهم فتك الأسود عندها تقدر إلى آخر الملك حكمون
وقال شدوا عزمكم وقاتلوا خصمكم ثم غاض المجال وطلب الميسرة في الحال وقاتل

الابطال فددها على الرمال فلما رأت النصارى هذه الاعمال اعترافا الانذهال ومجسوة عليه هجوم اليمين بالشمال فابلهم بالذل والويل وكان كلما كثرت عليه العساكر يتذكر أخوه كليب فيهمج هجوم السباع الكواسر فعتدها تأخرت عنه هجوم الابطال وكان الملك برجيس من الفرسان المعدودة فلما بلغه ذلك هجم بالعساكر والأجناد ولما اقرب من تلك الناحية وقعت عينه على أخيه الملك حكيم فتقدم اليه وضربه بالسيف فوقع على الارض قتيلاً عند ذلك ضجت طوائف اليهود لما رأوا أميرهم مقتول هجموا عليه فالتفاهم برجيس بقلب لايهاب الموت وقتل منهم مقتلة عظيمة وكان المهلهل يقاتل من بعيد الفرسان فلما رأى طوائف اليهود متأخرة بعد أن كانت متقدمة وعلم بقتل صهيون أخذته الحمية وقصد الملك برجيس إلى ذلك المكان وفي الطريق التقى بأخيه سمعان وهو ينحى الفرسان فهجم عليه وضربه بالسيف على عاتقه أطعمه يلبع من علائقه ولما شاهدت النصارى أفعال الزير حملوا عليه من كل مكان وحمل أيضا الملك برجيس ولما رأت اليهود أعماله للمهلهل أيقنت بلوغ الأمل فارتدت بعد الانهزام كما كانت حتى استقبلت ولم يزلوا على تلك الحالة إلى أن ولى النهار فافترقوا عن بعضهم البعض (قال الراوى) وكان الملك برجيس قد صعب عليه قتل أخيه وندم على مجيئه إلى تلك الاوطان ولما أصبح الصباح ركبت العساكر وانقسمت إلى ميان ومياسر فكان الزير كالاسد الكاسر واستمروا حتى قتال عشرة أيام وكان الزير قد قتل فتكا عظيما وقتل من النصارى عددا جسيما فلما رأى الملك برجيس ذلك خاف من الممالك لأنه كان من الملوك الكبار فجمع أكابر دولته وعقد مهم ديوانا فاستقر رأيهم على المصالحة وتوقيف الحرب وأن يرحلوا بأمان ثم أن الملك برجيس أرسل إلى حكيم بمضى وزرائه المعتبرين ليعلمه بذلك ويأنيه بالجواب فسار الوزير عند الملك حكيم واعلمه بوافقة الحال ففرح مع باقي الامة العبرانية لانهم كانوا يخافون سطوة ملوك النصرانية فأجابوه إلى المطلوب وحمد الله الذى أقامه من غوائل الحروب وهكذا تم الاتفاق والصلح والوفاق ورجع برجيس من تلك الافاق بمن معه من الرفاق بعد أن رتب على الملك حكيم مالا معلوما يدفعه كل سنة إلى خزينة المملكة (قال الراوى) وعظم الزير عند حكيم وقال له أنت اليوم عندى كالولد وأعز من الروح فى الجسد فلولاك كنا فى حال تعس واستولى علينا الملك برجيس وكانت الاميرة أستير قد شاهدت أفعال الزير فأتت عليه ومال قلبها اليه ثم قالت لاعدنا أيها النحرير فانك تستحق الاكرام والانعام وكان الملك قد مال اليه كل الميل فقدمه على جميع أبطاله (م ٦ - الزير سالم الكبير)

ودقع منزلة على الكبير والصغير ولقبه بالامير وأنعم عليه بالنياشين من الماس ليمتاز كبار الناس وأكرمه وأجلسه معه على سفرة الطعام ولما انتهوا من الاكل وشرب المدام قال له الملك تمنى على أيها الامير فهما طلبت أعطيتك إياه ثم أنشد يقول وعمر السامعين يطول

يقول حكوم في أبيات رتبها
لله يوم به قد جئت زائرا
الله سائق لنا حتى هزمت لنا
والمهر الاخراج الذي

فاجابه الزير على كلامه يقول

ليت لي عمرك يزيد
ما أريد منكم سوى
والمهر الاخراج الذي
أيتها الملك الشهيد
للسيف والدرع الجديد
قاتلت فيه يا فريد

ثم الزير بعد هذا الكلام اعلم حكوم بنفسه وطلب منه تجهيز سفينة وأرسله بها إلى مدينة حيفا ومن هناك تسير وحدة مرج بن عامر محل إقامته حيث اشتاقت نفسه إلى أهله وعشيرته فلما سمع حكوم بواقعة حاله وأنه وهو المهمل زاد مقامه عنده وقال له هذه بلادى أملك أموالى بين يديك فاقم عندنا طول عمرك فافنا لالسى جميلك ومعروفك قال الزير لا بدلى من الذهاب لاننى لخذلان ما أخذت بتارى ولا طفيت من الاعادى لهيب نارى لذلك أهداه المهر الذى وأعطاه طالبه والسيف والرمح وعدة الحرب وجز له مركبا أحسن مراكب وأصدر أوامره إلى القبطان بمداراته وامتنال أوامره وأنه بعد أن يصل به إلى حيفا يرجع معه ثم سار الملك إلى المراكب مع أكابر الدولة وقال له الله يبلغك الامال فلا تقطع عنا الاخبار فشكره المهمل ودعا له بطول العمر ثم وجع حكوم إلى المدينة وسافر المركب بالمهمل وفى اليوم الرابع أشرفت السفينة على ميناء حيفا فالتقت مرماها ونزل المهمل إلى البسلد وأبقى الحصان فى المركب وأمر القبطان بالاحتفاظ عايه لوقت الطلب وهناك تسربل بالسلاح تحت الثياب وقصد دياره فالتقى بطراف بن ناصر حافى عريان وكان من الاكابر فناداه فاقبل اليه وسلم عايه ثم عرفه بنفسه وأخبره بما جرى له من الاول إلى الآخر فقال أهلا وسهلا بقدمك علينا فوالله قد كنا قطعنا الامل من سلامتك فالحمد لله فقم بنا إلى بيتنا حتى تنتظر أهلك لازم دائما فى السؤال عنك فقال الزير أنا لا أذهب معك حتى أصل إلا حى بنى مرة وأنظر باقى قرمنى الذين التجأوا إلى

بالأمير سالم قاصد الصيد مع جماعته ولما اقترب من المهمل حتى قبله لحياء بالسلام وجعله يتأمن به ويقول والله من يوم غاب حامينا فقد ذهب عزنا ثم دمعت عبوه فقال الزير كيف تبكيه وأنت منتهجى إلى أعدائه فعندما عرفه لم تنتقه المهمل وقال له أبقوا على ما كنتم عليه وعند ما تسمعون صرير السيف فى إعتناق بنى مرة حينئذ تفعلون ما يحببه عليكم فساروا وهم مسرورين حتى يعلوا بعضهم بعضا وأما الزير فانه سار مع أطراف وهما يتفكران حتى دخلا إلى حى جساس عند المساء فوجد الحى الجساس فرمى فصار معه وهو فرحان حتى وصلا إلى أحياء بنى مرة فالتقيا فى طبول وأمور تدل على مسرات. وأفراح فقال المهمل ما عساه يكون هذا ولما اقترب من صيوان جساس وجده يمتلئ من الناس وجساس جالس فى الصدور وحوله الاكابر والاعيان والمولدات تدق وبعد قليل حضرت العبيد بسفرة الطعام فقام وجلس إلى المائدة وتقدمت بعده الامراء وجعلت تتبادر الفرسان وتزاحم على بعضها فعند ذلك تقدم الزير من جملة الناس بقرب جساس وأخذ يتناول من كل الاطعمة فلما رآه جساس أنكر أمره واستعظم كبر مجيئه وهو يأكل كالجمال فقال له جساس أرى لى يا شيخ فقال له ديمآ أدعوك ولست بناسيك فازداد جساس خوفا ورارتجت أعضائه ولما قام عن العشا أمر باحضار الرمل وضربة فى الجمال وظهر له انعكاس واحمر لونه وعليه أوقات منحوسة وسيظهر رجل نقى الخد عن قريب يذيقه الاهوال وقد تأكد عنده بأز ذلك الرجل نفس الزير حيث لا يوجد له عدو غيره فالنهب فواده وضاح من ملو رأسه ياستار فجاءت إخوته اليه وقالوا ما أصابك يا أمير فأنشد يقول

يقول جساس بن مرة فى بيوت	اسمعوا يا اخواتى أهل الوفا
ضاق صدرى وامتلأ قلبي هموم	والقلب والنغم ضارب فى الحشا
جيت تحت الرمل جررتة سريع	حتى أرى ما هو هذا البلا
رأيت الجود له فى بيت ضد	والجماعة شكلهم واقع حدا
ما عاد لى عقل لهذا الرمل فقط	جرت فتنه اليوم يا أولى النها
لو يصح القول قلت الزير جا	ها هو جالس بين الامرا

ولما انتهى جساس من شعره ونظامه وفهم الزير لحوى الطوية وضع يديه على قبضة سيفه حتى إذا قال جساس اقبضوا عليه يفتك به ويعدمه الحياة ومن كثرة ما جرى على جساس من النقم

والوسواس ترك من كان عنده من الناس ودخل على الحريم فلما رآه الزير على تلك الحالة ل لا بد من قتله فان لم يكن اليوم يكون غدا ثم طلع من الصيوان مع طراف وسار قاصدين الاوطان حتى وصلا الى وادى الشعاب ودخلا الى الخيمة التي فيها بنات كليب فسمعت اليمامة ابنة كليب صوته فقالت من أنت وما هو اسمك فلما سمع صوتها عرفها فتقدم فوجدها مع شقيقها وعليها ثياب الحداد فقطع قلبه وهطلت عيناه بالدموع وقال لهم أنقبوا الضيف ابناات الاما جد قالت مرحبا فانما كما أول من ضافت ولمكن قد جاور علينا الزمان فاذلنا بعد العز والجاه وصرنا في حالة يرثى لها فانصدعنا الوليدة وهو المكان الذي تدق فيه الطبول فتحصل على بلوغ الامول فقال بالله عليك أحكى لي واسعة حالكم فقد جرحت قلبي بهذا الكلا فقالت اليمامة لقد ذكرنا بمصابنا وما جرى ثم أشارت تقول

قالت اليمامة ونار القلب مشتعلة	في باطنى والحشا زادت الهابات
كنا بخير وكان السعد يخدمنا	ونصرف الوقت فى أهنى المسرات
قد كان والدنا ذوجا وسلطة	يدعى كليب له عز وسطوات
جاءا خالنا قتله غدرا	أسقامه من غدرات البين كاسات
وفرسانا التجروا ياضيقنا عنده	خوفا من القتل أيضا والمذلات
وكان لنا عم فارس مثلك بطل	غلاب خيل العدا فى يوم غارات
فقد وهذه ثمان سنين له غائب	لأن لم يأتنا بشارات

ولما فرغت اليمامة من شعرها ونظامها جلس الزير هو وطراف وأجلساها بجانبها ثم أنه عرفها هي وبقى شقايقها بنفسه وأنه هو عمها الزير وقد نجاة وأرجعه سالما حتى ينتقم من أعدائه فلما سمعت أنه هو عمها صاحت بصوت من ملو رأسها هذا فى الحلم أم فى اليقظة ثم وقعت عليه هي وبقى شقايقها يقبلونه فان لله الحمد الذى أرانا وجهك بخير فوالله لقد زالت أتراحنا وتجددت أفراحنا وسمع ابو شروان عند الزير هذا الخبر فدخل وسلم ووقع على قدميه لاهم كانوا يظنون أنه قد مات فكانت عندهم تلك الليلة من أعظم الليالى وبعد ذلك جلسوا يتحدثون فقالت اليمامة أعلمنا يا عمساء بقصتك وما جرى لك حتى سفرك فقص عليهم الخبر وما سمع وأبصر وختم كلامه بهذه القصيدة

يقول الزير سالم أبو ليلي الماهل	عيونى دمعها جارى بكاهما
بكى دما على ماصار فينا	ليالى السعد ما عدنا نراهما
عندها فارس الهيجا كليب	عقيب الحرب إن دارت رحاها

دعني آل مرة جنح ليل	لتقتلني وتشني مادهاها
فكنت بنحيتي ملقي طريحا	ثلاث آلاف فارس ردتني فناها
وجابوني لعند ضياع اخي	وألقوني طريحا في حداها
وقالوا يا ضياع خذي أخوك	أخذنا روحه قيمي عزاه
فألفتنى بصندوق مزفت	وأرمتني بوسط البحر ماها
وسأقتني مياه البحر حالا	إلى بلد اليهود على رماها
وجابوني لحكمين اليهودي	أجل ملوك الأرض جاها
فداواني وعالجني سريعا	فرت كرتي بما دهاها
بقيت أنا ثمان سنين غائب	وزال الشر عني مع عناها
أنيت لكم أشاهدكم وأشني	برؤية وجهكم نفسي مناها
سألت الله أن يحفظكم جميعا	على ما طالت الدنيا مداها

وكانت تلك الليلة عند بنات كليب من أعظم الليالي حضر فيها جميع اصحاب الزير
وهنوه بالسلامة فقال لهم الاوفى أن تكتبوا أمرى حينما أنجهز لقتال الأعادي واحضر
جوادى وأعلمهم بخبر الحصان وأنه في المركب عند القبطان ليكون شاهد أهله وأقاربه
ولما انتصف الليل ودعهم وصار قاصد شاطئ البحر هذا ما كان منه وأما مرة أبو جساس
قد ذهب إلى البحر يتجسس الأخبار ويرجع آخر النهار فاتفق أن عبيدين من عبيده قد
ظفروا المركب عند قدومه إلى الميناء فأعلماه به فركب قارباً وقصد المركب عند وصوله
إليه وجد ذلك الجواد فاندش من رؤياه فسأل القبطان عنه فقال له القبطان هذا جواد
الزير وقد حضر معنا من بروت وسار من نحو يومين ازيارة أهله ولم يكن القبطان يعلم
ما هو جارى بين القوم من العداوة فلما سمع مرة بخبر المهلهل وأنه عاد سالماً تعجب ولكنه
كتم الخبر وقال للقبطان أنبئني الحصان فقال كيف نبئعه وهو مودع على سبيل الامانة
فقال لا بد من ذلك فاما أن تمبض ثمنه خمسة آلاف دينار أو آخذه منك بالقوة لأن
ابني جساس ملك هذه الديار وما زال يخوفه بالكلام إلى أن أمثل وأجاب خوفاً من
أن يأخذه بالقوة فقبض القبطان الدرام وسار مرة بالحصان إلى ابنه جساس وهو
كاسب غنم وأعلمه بواقعة الحال وقدم المهلهل إلى الاطلاع ففرح جساس بالجواد
وكان أجود خيول الاعراب ولكنه خاف الفوائل وعلم أنه لا بد من تجديد الحروب بين
القبائل فاجتمع باهله وأعلمهم بالخبر هذا ما كان من جساس وأما الزير فانه

عند وصوله إلى البحر سار إلى المركب فلم يجد الجواد فسأل عنه القبطان فأخبروه بما جرى وكان فلما سمع منهم هذا الكلام أراد أن يضرب عنقه بمجد الحسام ولكنه توقف عن أذاه إكراما لخاطر مولاه ثم أمر بالرجوع إلى عند الملك حكوم ليقص عليه الخبر ويطلب منه الجواد الآخر فامتثل القبطان أمره وأقلع عن تلك الساعة حتى وصل إلى بيروت فنزل الزير بالقرب وسار به إلى عند الملك ولما دخل الزير إلى السرايه وراه الملك حكوم فرح به الفرح الشديد وقال أهلا وسهلا بالضيف العزيز وترحب به غاية الترحيب وجلسه بجانبه وقام بواجبه وأشار يقول وعمر السامعين يطول

قال حكوم اليهودي في بيروت	تشرح الخاطر وترضى السامعين
نورت الدنيا علينا يا همام	يا مرع الخيل اذا طلع الكمين
قصت أهلك ثم جيت لعدنا	أنت فخر الاناس الماجدين
يا مهمل أنت عز المحصنات	هل شفت أهلك يا مهمل سالمين
ان كان يلزم نجدة أحكى لنا	حتى أدير بالجيش كله أجمعين
طيب قلبك يا مهمل لا تخاف	ثم اطلب يا ضيا عيني اليمين

فشكره الزير وأثنى عليه وأخبره بما جرى من فقد الجواد وأن سبب حضوره الان لأجل سؤال خاطره الشريف وثانيا ليطلب منه المهر الآخر ويختم كلامه بهذه الابيات

قد أتيت اليوم في قلب حزين	على فقد مهري الاخرج الثمين
فان شئت أعطاني أخاه	يا منجز الجار وغر العالمين
لا أريد مال ولا كثرة نوال	غير أبو جحلان مطلق اليمين
يا ملك حكوم أنا مالي كثير	كل مال البر في يدي خزين

فلما سمع هذا الكلام تبسم وقال مهما طلبت منا لانزع عليك وجميع أموالنا بين يديك فواته أننا لاننسى جميلك على طول الزمان وأز أبو جحلان بعد رواحك من عندنا أظهر الوحشة حتى لم يقدر عليه أحد من السياس وطلب منه أن يبقى عندهم عدة أيام ليستريح فاعتذر وقال لا بد من رجوعي اليوم فاعطاه حكوم الجواد وأخذه إلى المركب قاصدا حيفا وعند وصولهم نزل بالجواد إلى المدينة قاصدا القبيلة فاتفق مرور رجل من قبيلة جساس فابصر الزير وعرفه وسار إلى جساس وأخبره بقدمه وقال انني خائف عليكم من سطوته لانني شاهدته في هذا النهار وهو مثل هذا الاسد الكرار ثم أشار يقول يقول الشيخ يا أولاد مرة تعالوا واسمعوا لي يا فوارس

أيا جساس ياهمام اسمع أيا ملكا ويا أهل المجالس
لقد كنت بقرب البحر سائر رأيت ظهر على اليوم فارس
على أدم أقب الضلع قارج وفوقه درع من بولاد لابس
وفى كتفه قنا اسمر مكعب بطل صنديد يوم الروع عابس
فهذا فارس اليبدا مهلهل مربع الخبل للابطال داعس
(قال الراوى) ولما فرغ الشيخ من شعره ونظامه أجابه سلطان بنى مرة يقول
يقول سلطان بن مرة كلام الشيخ صادق يانوارس
فان كان أبو إيلي غذارى يخلى دمننا مثل البواضس
ويصبي من قبائلنا غذارى ويترك أرضنا فقرا دوارس
ولا يقبل رجاء ولا عطايا ويطحنا على الغبراء واكس

(قال الراوى) فلما انتهى السلطان من كلامه وقع الخوف بقلوب القوم وأخذوا يستعدوا
للقتال من ذلك اليوم هذا ما كان منهم وأما الزير فانه جد فى المسير حتى وصل إلى دياره
والتقى بأنصاره فلما رأوه فرحوا به وأقبلت اليه اليمامة مع شقيقتهما وكذلك أخوه الزير
وكل من فى الحى من النساء والرجال فرقموا عليه وقبلوا يديه وانتشرت الاخبار بقدمه
الى الديار فى ذلك النهار بين الكبار والصغار حتى ملأت الاقطار فاقبلت اليه الابطال
والفرسان وتواردت اليه السادات والاعيان فسلموا عليه وتمثلوا بن يديه وهنوه بالسلامة
فشكروهم وأننى عليهم وترحب بهم وذبج لهم الذبايح وأولم الواثم ووعدهم المكاسب والغنائم
وبعد أن أكلوا الطعام وشربوا المدام أنشد عندى أخو الزير يقول

يقول عندى آيات نصيحة أنا الزير والمولى عطانا
وكنا قبل ما يأتى إلينا بحال الذل فى قبر حزاننا
وجساس الردى عايب علينا نريد هلاك تغلب مع أذاننا
فامرنا أن نبقى جميعا على طوبى الليالى مع نساننا
ولا نركب خيولا صافئات ولا ننقل سيوفنا فى حماننا
إلينا جيت يا جل المحامل ويا كهف العذارة والامانا
أيا سالم فانهض شد عزمك واركب ظهر مطلق العناننا
ونركب ثم تحمل فرد حمله على أولاد مرة فى لقاننا
ونترك ديارهم بورا وفرا ونقتلهم ونأخذنا وأخاننا

(قال الراوى) فلما انتهى عدى من كلامه تقدمت اليمامة نحو عمها وشكرت الله على سلامته وأشدت تقول

تقول اليمامة من أبيات حسان	الها بقدم عمى قالنا
وأقبل السعد ياعمى وجا	في قدومك ياسياج عيالنا
حلت الركة علينا ياهمام	في قدومك نورت ديارنا
قبل ماأتى بقتينا في عذاب	مع بنى مره جميع رجالنا
وانت جيت اليوم ياسبع الفلا	قوم شد العز وانظر حالنا
لا تبقى منهم نفاخ نار	ولو أنهم باسوا جميع ديارنا

(قال الراوى) فلما فرغت اليمامة من كلامها ضمها الزير إلى صدره والتفت على من حوله وأشار يقول

يقول الزير أبو إيلي المهليل	ألا يابنات أن السعد جاكم
وأقبل سعدكم والشر ولى	وراح الشر عنكم لأعداكم
فقروا وابشروا منى وطيبوا	إله العرش قد زول عنكم
ثمان سنين وسط البحر غائب	وبالى عنكم مما دعاكم
وفرج خالتي همى وغمى	وخلصنى وجيت إلى حماكم
وجيت أتيت زال الشر عنكم	ونلت يابنات بشار أباكم
غدا جساس أقتله بسيفى	وأخذ يابنات بشار أباكم
وأتم يادريهان ثم عدى	وباقى إخوتى تسلم لحاكم
فأتوا بالصواقر وأركبوا	وهبوا جمعكم ومن معاكم
ودقوا طبلكم يا آل قيس	وقيموا النار فى سائر حماكم
وخبوتى بعيد عن المنازل	غدا جساس يبرز لالقامكم
فلاقوه على الخيل الضوامر	وأنى سوف أهجم من وراكم

(قال الراوى) ولما فرغ الزير من كلامه طابت قلوبهم زالت عنهم الأفراح أيقنوا بالنصر والنجاح وما زالوا بنى قيس يجتمعون إلى الزير يتواردون حتى صار فى جمع غفير فاستعدوا للقتال والحرب والنزال فأطعموا الجياع وكسوا العرايا وأشعلوا النيران ورجع الحى إلى مثل عادته الأولى هذا ما كان من الزير وقومه وأما مرة فلما بلغهم الخبر أن بنى قيس اتهموا بعد التفريق والشتات من جميع الجهات وهم فى أفراح ومسررات

اجتمعوا بجساس وقصوا عليه ذلك الخبر وقالوا له لو لم يكن الزير قد ظهر لما كانت بنى قيس
اجتمعت على بعضها في هذه الأيام وخالفت أوامرك ومراسيلك فقال لهم كفوا عن هذا
المقام ولا يخطر لكم الزير ببال فاستعدوا للحرب والقتال ولا بدلنا بالنجاح وبلوغ الأرب
وركب جساس الجواد الذي أخذه من المركب وسار بذلك الجمع الغفير ولما اتروا من
حى بنى قيس وسمعت قوم الزير صوت طبولهم وصهيل خيولهم وهاجوا وماجوا وأمرهم
الزير أن يتأهبوا للقتال ويلاقوهم إلى ساحة المجال فتبادروا في الحال وتقدمت الأبطال
وركب الزير على مهره أبو حجلان وسبقهم إلى الميدان وكمن في بعض الرواذا والتلال في جماعة
من الرجال ولما اقترب جساس من رجال بنى قيس وقال لهم خالفت أوامرى وغرمت الطمع
فسوف ترون ما يحل بكم من الهوان بساحة الميدان ثم هجم بالرجال والأبطال وأحاط بهم
من اليمين والشمال فانتفوه بقلوب كالجبال راشت بينهم الكرب وعظمت المصائب ما بين
مغلوب وغالب فلما رأى المهلهل تلك الأمور لكن الجواد وتقدم إلى ساحة الميدان فشقق
الصفوف ومزق بحملته المراكب وهو يهدير فيهم ويصبح من قلب جريح أبشروا يا بنى مكر
بالذل والويل فقد أناكم المهلهل فارس الخيل فسوف ترون يا أندال ما يحكم بكم من الويل
على ما عملتموني به من سوء الفعل وقد أقسمت رب الأنام أنى لا أترك منكم شيخ ولا غلام
ثم مال وجال وضرب فيهم بالسييف النضال وتبعته الرجال من اليمين والشمال فلما سمع
جساس صوت المهلهل انقطع ظهره من الخوف والوجل ولكنه ثبت في حومة الميدان خوفا
من الهلاك والقلمان وأحذى نحي الفرسان عن القتال والثبات والصبر على لقاء الأعداء قبل
المات فتثبتوا ثبات الجبابرة وقاتلوا قتال الأسود الكاسرة ولكنهم لم يقدروا أن
أن يثبتوا أكثر من ربع النهار حتى أنصبت عليهم النكبات وبلبو بيلايا لا تطلق من سيف
المهلهل فولوا الأدبار وركنوا إلى الهزيمة والفرار بعد أن قتل منهم عشرة آلاف فارس
وتبعهم جساس وهو في قلق ووسواس وغنمت بنى قيس منهم غنائم عظيمة ومكاسب
جسيمة ورجعت إلى الديار بالعز والانتصار والبطش والاقتدار وفي مقدمهم الأمير
مهلهل الجبابرة وهو مثل شقيقه الأرجوان مما سال عليه من أدميه الفرسان ولما وصل إلى
المضارب بقواد الكتائب والمواكب لاقته بنات أخيه وجماعة من أقاربه وزويه وشكروه
على تلك الفعالة وقالوا مثلك تكون الأبطال ثم أنه جلس في الخيام وجلست حوله السادات
والعظام فتحدثوا في الكلام وشكروا رب الأنام على بلوغ القصد والمرام وبعد أن
أكلوا الطعام وشربوا المدام التفتت بعد القواد إلى المهلهل فارس الطراد وقال له يا
عليك أن تنشدنا شيئا من أشعارك لأن قلوبنا مشتاقة إلى الوقوف على أخبارك

وما جرى لك في أسفارك فعند ذلك أئشد يقول وعمر السامعين يطول

يقول الزير أبو ليلي المهلهل	فكل مقدر لا بد ياقه
نزلت باخوتي وأبناء عمي	بجنح الليل لا يدروا صفاتي
فقالوا ضيفنا شرطوا علينا	فلا توقد النار في الفلاة
ولا تفزع ولو فزعوا علينا	ولا نركب خيولا صافنات
تكلفت اليمامة مع حمامة	وقالوا عمنا هيات ياتي
فقلت لها أنا لبيك جيتك	أنا مروى السباع الكاسرات
جيت لعهدها في قلب جامد	وجدت عيونها مقترحات
فقلت لها يا يمامة ليس تبكي	جرحت بالبكا قلبي فاني
فهمك يا يمامة ليس مثلي	إذا ثارت حروب في الفلاة
أنا همي كراديس الفوارس	إذا ما وهجت نار العداء
وجيت أنا على جساس راح	هرب مني وقالوا أتوا العداء
وقال الزير معانا يا بلانا	طالب ثاره المرفعات
فقولوا لابن مرة أين بعدى	أناه الزير ذباح العداء

(قال الراوى) فلما فرغ الزير من كلامه شكروه الحاضرين وعند ذلك تقدم سلام

المهيا اليه وقبله بين عينيه وأشار يقول

على ما قال سلام المهيا	مهلهل جيت هذا اليوم يومك
وزال العنا والتوفيق أقبل	وأضحى الفطر يزهاو بقدمك
ولما جيت يازين الفوارس	أزلت همومنا زالت همومك
فقم اركب عليهم يا مهلهل	نهار وليل ما أحد يلومك
وخذ بالثار من جساس حالا	وافرج غمنا وأجل غمومك

فلما فرغ سلام من شعره طاعت قلوب الجميع وعادوا على ما كانوا عليه من الفرج والمسرّة
وأما بنو مرة فأنهم ابتلوا بالذل والويل من حرب الزير ولما أصبح الصباح بنوره قد لاح
وكب المهلهل في مائة ألف بطل وطلب حرب القوم فالتقاء الامير جساس وكان معه مائة الف
مقاتل بين فارس ورجل فانتصب بين الفريقين القتال وعظمت بينهم الاحوال وقاتل المهلهل
حتى استمات فنكر الابطال الفحول على ظهور الخيول وقتل جماعة من السادات الاعاظم
للذين اشتروا بالفضل وشاع ذكرهم في الآفاق فمنهم الامير شهب المسكني بعقاب وغيره

من السادات واستمر القتال على تلك الحال طول ذلك النهار فانكسرت بنو مرة أشد
انكسار ورجع المهلهل بالعز والانتصار وفي صباح اليوم الثاني ركب بفرسان الكفاح
فألقاه جساس بالرجال وتقاتلوا أشد قتال ولما تقابلت الصفوف وتبادرت المئات برز
شاليس أخو جساس بين الصفوف ولعب برمح وطلب المهلهل فانطبق عليه كان قطعة من جبل
أوقلة من القلل فتطاحنا بالرماح وتضاربا بالصفاح وثبت شاليس أمامه ثبات الابطال
لانه كان من الرجال المشهورة واستمر الاثنان ساعة من الزمان وهما في ضراب وطعان
وكان الامير شاليس قد ختم على نفسه أمام الابطال أن يهلك في ذلك النهار أو يظفر بخصمه
ويعيش في عز وإقبال ثم صاح على المهلهل وطعنه بالرمح قاصدا قبض روحه فالتقاها
الزير بالدرقة مراحث خائبة بعد أن كانت صائبة ثم تقدم اليه وهجم وضربه بالسيف على
عاتقه طلع يامع من علاقته فوقع قتيلا وفي دمه جديلا ثم هجم على الرايات وطعن في
الفرسان والسادات فقتل الرجال الابطال في ساحة المجال وفك الاسود الكاسرة وفعل
أفعالا نعجز عنها الجبابرة وفعلت جميع أبطاله مثل أفعاله وقاتلوا القتال المنكر وأذاقوا
الاعداء الموت الاحمر فلما رأى جساس ما حل بقومه من العذاب اشتغل قلبه النهابا وزاد
إلى كتابا على إكتاب أخيه ليث الغاب لانه كان يحبه بحبة عظيمة يبكى وانتحب وولى يطلب
الحرب وتبعته رجاله وفرسانه ورجع الزير بباقي الفرسان المنازل والاطوان وهو مثل
شقيقه الارجوان فالتفته اليماة بالاعتزاز والكرامة ثم نزل في الخيام مع السادات فأكلوا
وشربوا المدام وكان كل يوم يركب حسب عادته لحرب القوم حتى بلغ منهم المنى وأبلاهم
الذل والعنا فله طال على بنى مرة المطال جمع جساس الرجال ومن يعتمد عليهم من
الابطال وقال لهم ما قولكم في هذا الامر العسير لقد حل بنا التدمير وهلك كل سيد وأمير
وان طال القتال لم يبق أحد من الرجال فقال سلطان الرأي عندي أن تأخذ أختنا الجليلة
وبعض نساء القبيلة وتذهب اليه وتقع عليه وتطلب منه كف الاذى والضرر وتعطيه
حية وتقيمه ملكا على الشام وتدفع له الجزية في كل عام قال جساس ومن يذهب اليه قال أفت
تقتبسم جساس وقال هل أن أحدا يرى الموت أمام عينية فيزحف اليه فقال سلطان أبا ذاهب
اليه لان بيني وبينه مودة قديمة ثم نهض وتأهب للمسير وأخذ امرأة أخيه الجليلة وبعض
نساء القبيلة وقصد الزير حتى وصل اليه وسلم عليه وقال بالله أصفح عنا فقد أهلك
رجالنا ولم يبق أحد منا فقد أتيت الآن مع الجليلة امرأة أخيك وأكاب نساء القبيلة

حتى تقع عليك وتطلب العفو من جنابك ونبلذك الأرب من الفضة والذهب ونقيمك
ملكاً على هذه الديار وتكون طوعاً لك مدى الأعصار لأنك سقينا للصقيل وورعنا
للطويل ثم أنشد هذه الأبيات بحضور الأمراء والسادات

قال سلطان مرة في بيوت	يا مهمل استمع في القصيد
ليت عمرك يا مهمل ألف عام	يا حمة البيض في اليوم الشدبد
فأعف عنا ياسياج المحصنات	ليت عمرك في كل يوم في مزيد
نحن منك وأنت منا يا همام	كلنا أولاد عمك يا رشيد
فأعف عنا ثم دعنا في حماك	تحت ظلك عيشنا بقي رشيد

فلما انتهى من شعره ونظامه أجابه المهمل بهذا القصيد

أفقههم يا ابن عمي ما أريد	واستمع فحوى كلامي والقصيد
ليس لي من ذنب في هذا الأور	وأنا في حقكم لست عنيد
غضب عني ياسياج المحصنات	ليت عمرك يا ولد عمي يزيد
كل دا جأوى عليكم يا رجال	من يمامة بنت أختك بالأكيد
اليمامة كل يوم تقول	خد بشاري أيها البطل العنيد
فإن عفيت أنا عنكم أعفي	كل قولي صادق والله شهيد
وإن أبت لست أخاف قولها	إني عن أمرها لست أحييد

(قال الراوى) فلما انتهى الزير من كلامه قال السلطان ومن حضر معه من أقوامه أفي
لأكف الحرب والقتال ولا أدفع عنكم السيوف الصقال إلى يوم للقيامة أو أن تمنعني
اليمامة فاذهب وخطبها كما خاطبتني به أمام السادات فمساها أن تجيب طلبك يا سلطان
فبعد ذلك قصد سلطان وقبات الجليلة بناتها وقال لمن أما كني يا بنات الأكارم فقد
هلكت الفرسان والابطال وسامت أحوالنا وصرنا عبرة لمن اعتبر فأجابتها اليمامة إنا
لا نصالح حتى لا يبقى منا أحد يقدر أن يكافح وأن كان عمي عجز عن قتالكم فأنا أنوب
عهم والتقي أبطالكم ثم ختمت الكلام بهذا الشعر والنظام

قالت يمامة من قول صادق	يا جملة اقصرى عنا عناكم
أنت وأخوالى وكل عشائري	لا يزيد والفظكم ولد لالفاكم
قتلتم الماجد كليبا والدي	غدرأ وما له ذنب معاكم

جساس طعنه من قفاه بحربة ودعاه على الغيرا غفير حدام
وأما وأخوتي بقينا بذلة نمى ونصح لنا نسي بلادكم
إنا لانصالح حتى يقوم والدى وزرا راكب يريد لقاسم

قلبا فرغت اليمامة من شعرها ونظامها وفهمت الجليلة فحوى كلامها رجعت هي وأختها
مع باقى النساء إلى الحى بدون أدنى انفاة وأخبروا جساس واقعة الحال وما سمعوه
من المقال فاعتراه الخوف وأيقن بالهلاك والوبال فقال له أخوه سلطان وكان ذا مكر
عظيم أتى سأملك الزير أيها الأمير وأقوده إليك عند الصباح كالبعير فقال ماذا عولت
أن تفعل وما هو العمل قال أتى أفصد الميدان فى جماعة من الأعوان وأحفر هناك ثلاث
حفافير ونطعيم بالقش حتى يحتفوا عن عيون العساكر فإذا كان الصباح والتقى الجفل
بالجفل فتبرز أنت إلى المهمل ومكون عارف بهم فتقوده بهم بهذه الوسيلة تم الحيلة
فيستقط فى هذا الشرك فهلكه ونخلص من شره ودهاه فاستصوب جساس هذا رأى
وخرج فى ذلك الليل مع أخيه سلطان فى جماعة من الأعوان حتى وصلوا إلى ذلك المكان
لحفروا ثلاث حفافير عميقة وخطوها بالقش ووضعوا عليها التراب حتى تختفى عن العيون
ثم رجعوا إلى مساكنهم وهم مسرورين وبانوا تلك الليلة على مقالى النار ينتظروا طلوع
النهار هذا ما كان من أمر هؤلاء وأما الزير فانه ركب عند الصباح بفرسان الكفاح وقصد
الميدان وهو بقلب أقوى من الصوان فالتقاء جساس بالعساكر ثم انفرد نحو ذلك الحفافير
وأخذ يلعب الجواد أما العساكر والقواد فرآه بعض الفرسان وهو يحول فى ذلك المكان
على ظهر الجواد فأعلم المهمل بذلك الشأن وقال أن خصمك ظاهر للعيان فى تلك الناحية
من الميدان فلما رآه المهمل قصده على عجل ليقتله ويبلغ الأمل فلما اقرب منه بعد جساس
عنه فتبعه على الأثر فسقط فى إحدى الحفر فارتد عليه جساس وانطبقت عليه الناس
بقصد أن يطعنوه ويهلكوه ويعدموه فله در الحصان أبو حجلان فانه كان من عجائب
الزمان أخف من الغزلان وأسبق من البرق عند اللعان فانه عند وقوعه ضرب بحافره
الأرض حتى صار بين الفرسان فرجعت الخيل عنه مدبرة فاستعظم ذلك الامر المنكر
ورأى جساس ينخى الأبطال فتقدم نحوه ليشفى غليله فانفق وقوعه بالحفر الثانية فوثب
به الجواد واتصب أسرع من النمر إذا وثب حتى صار على الأرض فالتفت عليه العساكر
فزاد بالزير الكدر وقصد الأمير جساس دون باقى الناس ليقتله ويعدمه فكسب به الجواد
فى الحفرة الثالثة وكانت عليه أقبح حادثه وكان قد تعب الجواد وضعف واحمل عصبه حتى
لم يعد يمكنه أن يفعل كما فعل قبلا وكذلك المهمل انههد حيله وطاش واعتراه الخوف

والارتعاش وأيقن بالهلاك وآيس على نفسه من الحياة وقد وقع في بلية عظيمة وداهية
جسيمة فلما أيقن جساس الامل ونجاح العمل صاح من شدة الطرب على رجاله يا ويلكم
أدركوه وأطعنوه لانه إذا تخلص هذه المرة من الحفرة لا تتأملوا بنجاح أو نصرة فلما سمعت
الرجال منه المقال قصدوا ذلك المكان يمينا وشمالا وكان القتال في هذه المرة بجانب تلك
الحفرة وقد اشتدت الاهوال وتكدست جثث القتلى على الارض مثل التلال من ضرب
السيوف وطعن الدغال هجم جساس أمام الناس وقال للفرسان أدركوني في هذا النهار
وأسمعوني بالتراب والاحجار وأردموا هذه الحفرة في سرعة الحال وأما أرد عنكم
هجمات فتقدموا بالعجل وبادروا باجراء هذا العمل غير أنهم لم يباغوا المطلوب لانه أخوه
الزير وباقي الفرسان وهجموا عليهم من اليمين والشمال وضربوا فيهم بالسيف البتار فابلوهم
بالذل والدمار وكان الامير مرة بالقرب من الحفرة فرآه عدى أخو الزير وقال أهلا بالعم
وقبض عليه والقاء في الحفرة وقال خذ عمك يامهمل وعند وصوله ضربه بالسيف فقتله
وبعد قتال عظيم أخرجوا الزير من تلك الحفرة بالقوة وعند ذلك انشرح من في ثعلب
القلوب وزالت عنهم الكروب وأيقنوا بالنجاح وقصدوا الحرب والتقوا الاعداء
بالاسنة ومال الزير على القوم ونادى اليوم ولا كل يوم وفي الحال اصطلت نيران الحرب
والتمال وقامت الحرب على قدم وساق وخمدت من القوم الاحداق فعل ذلك اليوم فعلا
لاتطاق وما زالوا في أشد قتال إلى قرب الزوال وعند ذلك دقت طبول الانفصال فرجعت
بنو مرة بالويل والحسرة والمهمل بالنجاح والنصرة ثم نزل عن ظهر جواده وخلع آلة
حربه وجلاده والاعيان والامراء وأكل من زاده ولما جلس في الصوان نادى على عبده
أبي شهوان باحضار المدام إلى الديوان فأحضره بالعجل فتناول منه المهمل ومن حضر
في ذلك المحفل وعند ذلك تذكر الزير ما جرى له في ذلك اليوم المهول فأندب يقول

يقول الزير أبو ليسلى المهمل	فدمع العين هطال عمانا
قد قتلوا أخى أولاد عمى	وقالوا ما وراء الا جبانا
ولا يدرون بأسى والقتارى	قطعتهم لو لم أخشى الزمان
أنتنا فى كليب أولاد مرة	أتونا واقفين على نسانا
وقالوا كف عنا يامهمل	لقد حكمت سيفك فى أذانا
فأطلب ماتريد اليوم معنا	واتركنا لقد صرنا حزانا

قلقت لهم فرحوا للبيامة	رضاها اليوم أحسن من رضاها
قتلنا في كليب ألوف قوم	فما فيهم ردى ولا جباناً
قتلنا من بني مرة أماردة	ملايسها ثياب الطيلسانا
فرحوا الكل قد وقعوا عليها	وقالوا عمك أرسلنا عمانا
فقلت اذهبوا يا آل مرة	فهذا القول ضحك في الحاننا
فأنا لانصالح في كليب	إلا أن نراه على الحصاننا
وقد حفروا لقلعائى حوافر	وغطوها وقالوا قد كفافا
فركبوا خيولهم وأنزل حدانا	وقالوا قد أتاننا قد أمانا
وقف جساس ما بين الحفراير	هجمت عليه أطعنه السنايا
فولى هارباً من هول حربى	ومرة قد قتلناه عيانا
رجعنا بالغنائيم والسبايا	وقد نلنا المقاعد من عدانا
فكرنى يا بيامة فى انشراح	وحظ دائم طول الزمان
وكل صميدع جساس بسيفى	فسوف أيبس جساس بسيفى

فلما فرغ الزير من شعره ونظامه شكره جميع أقوامه ولما أصبح الصباح رجعوا إلى ما كانوا عليه من الحرب ولما طال انفقوا على توقيف الحرب وأخذوا مدة شهرين فاتفق بعض الامام كان الزير خارج الخيام ومعه جماعة من الخدام وإذا برجل يقود مهر آدم كامل الصفات فقال لقائده ما هو أصل هذا الحصان فقال ياحلو الشبائل أنه من الخيل الاسائل أنيت به من أبعد الحلى هدية للأمير مهمل فقال لقد نلت مرادك الآن فأنا هو المهمل الذى أنت قاصده ثم أخذ منه الجواد وأمر له بألف دينار فدعا له بطول البقاء وسار من يومه إلى قومه فاغتنى الزير بالجواد وفضله على جميع الخيول واتفق فى ذلك النهار أنه التقى برجل اختيار وهو راكب على دابة سوداء مثل الظلام ورائها كرا بن سبعة أيام وهو يبرطع فلما رآه عجب به وقال يا شيخ أتبيع هذا الكر قال نعم قال بكم قال ليس على الكريم شرط فأعطاه مائة دينار وأخذه منه وسلمه للسائبس فرباه مدة أربع سنوات ثم دخل الزير ذات يوم إلى الاصطبل فنزل الكر وهو متفانى فأمر السائبس بإخراجه وأن يضع عليه عدة ولجام فأخرجه وأسرجه ولجج فركبه الزير وسأله فرجع إلى الورا. فرده النمين وراح شياً لا واجتهد أن يمشيه باطلا ففضب ولكره برجله فى الركاب فتضايق المدوم من فعالة

وحضره بنعماله ضربة عظيمة من شدة الوجع كأنها المدافع فغضب الوزير وتآلم وحضره
فقتله ودخل إلى صيوانه واجتمع بقومه وقال لقد جربت دق الاصل وأكرمته فضع
جميل معه ثم أنه ركب ذلك الحصان الذي اشتراه فوجده من عجائب الزمان فزاد انشراحه
به وأمر السائس أن يسومه ويدار به وأنشد يقول

يقول الوزير أبو ليلى المهمل	بيوت الشعر مانعلى بمسالى
أيا غادى رصيت الخيل تركب	تسالى واستمع منى مقسالى
جميع الخيل للحمرأ خوادم	شبه الست تخدمها الموالى
وأما الشقران ماروا فصدق	بنات الراح تسبق فى المحال
وأما الخضر مركوب الامارا	فتركبها الملوك وكل والى
وأما الدم زبدوم عليقا	وخيو لهم لدهمات الليالى

(قال الراوى) فلما فرغ من كلامه شكره قومه على حسن اهتمامه ثم استعد الفريقين للقتال
وجرت بينهم عدة وقائع انتصر فيها المهمل وكسب أموالا كثيرة وقتل أمراء مشهورين
حتى ضعفت بنو بكر وذات وبعد كسره قلت وأضحكت وبسما فى حالة الذل وإدابغار
علا وتار قاصد تلك الديار فشخصت اليه الابصار وبعد ساعة تمزق الفبار وبان من تحته
الف فارس وكلهم بالحديد غواطر وفى أوائهم فارس كأنه قلة من القلل أو قطعة فصلت
من ذيل جبل وعلى رأسه البياق والرايات فلما رآه جساس زال ما به من الكدور وأيقن
بالفرح بعد الشقا ولما اقرب للعيان ونأملتة الفرسان إذا هو أسد الاجام الامير شيون
ابن الامير همام وكان المذكور قد خرج فى جماعة من فرسان الصدام للفرز على بلاد
الروم وذلك من عهد وقرع الزبر فى البحر كما سبق الكلام فلما عرفوه وتحققوه خرجوا
اليه واستقبلوه وفرحوا بقدومه إلى الديار وكان ذلك اليوم عندهم من أعظم الاعياد
فذبحوا الذبائح وأطعموا الغادى والرائح وكان أفرح الخلق أهوه همام وأمه حبساع لم
يمكن لها غيره بعد الذى قتله الوزير على بير السباع فلما نزل فى صيوانه بأبطاله وفرسانه خلع
عدته وغير بدلتة وقامت الافراح والمسرات وأولم جساس وليمة عظيمة لها قدر وقيمة دعا
اليها جميع الاكابر وأمراء القبائل والعشائر وكان شيون قد وجد الامراء والاعيان فى
غوم وأحزان عن ذلك الشأن فقال له جساس لا تسأل يا أخى عما أصابنا ودهانا من خالك
الوزير المهاب لانه لا يكتفى بقتل أخيك شيان حتى جعلنا مثلا بين العربان على طول الزمان
فانه فى رجالنا وأهلنا أبطالنا وقد أحرمتنا هجوم الليل هدمنا القوى والخيل كل هذا ولا يقبل
للأمال ولا فدية وها قد أعلمناك وأوقصاك على باطن الطوية فلما سمع شيون هذا الكلام

صار الضياء في عينيه ظلام وقد احمرت عيناه وشتم خاله ووعدهم بالمساعدة وأن يكونوا
يدا واحدة في القتال ثم نظم هذه القصيدة وأرسلها لخاله على سبيل الملام والتوبيخ :

قال شييون بن همام الأمير	حامي الزينات قهار العدا
مرعب الفرسان في يوم اللقا	ساقيا أعداء كاس الردى
ضرب سبى يقطع الصخر المتين	ثم يقده للصخور الجلدا
كل من يبغى قبالي يرتدى	ويرتمى فوق الصعيد عددا
لم يبق لى مفارق بالمجال	حين يلقونى يولوا شردا
وأنت يا غالى مهلهل يا همام	شد عزمك للقتال إلى غدا
لا تقل يا خالى ما أعلتني	يا قليل العقل لا تتمردا
ابرز الى فى الصباح ولا فنى	ثم ابشر يا مهلهل بالردى

(قال الراوى) فلما فرغ شييون عن شعره ومقاله ختم الكتاب وأرسله الى خاله مع
أحد رجاله فلما فتحه الزبر وقرأه وعرف ما حواه احمرت من الغيظ عيناه وقد شفق عليه
وتأفف وصفق كفى على كفى وقال أنه معذور فى هذه الأمور لأنه جاهل مغرور
خيقتنى أن ينتصح قبل أن يقتل ويفتنح فأجابه على أبيانه يقول :

قال أبو ليلى المهلهل أننى	مفرح الكربات فى يوم الزحام
يا فنى شييون يا ابن أختى ضياع	تهدنى فى كتابك يا غلام
ثم تطلبنى إلى سوق المجال	وأنت قصير عن ضرب الحسام
أنت يا شييون لا أسخى عليك	يا حمادة البيض فى ضرب الحسام
احتفى من أن تجهل يا أمير	فالجهل يسقيك كاسات الخمام
اطرد الشيطان ابليس اللعين	واتصح من قول خالك يا همام
لا تخالفنى واسمع ما أقول	يقتلك جهلك وما تبلغ مرام
رد عما أنت فيه لا تزيد	ان كنت تبغى حربى والصدام
شد عزمك غدا تلاقى سوى	من طلوع الفجر الى وقت الظلام

(قال الراوى) فلما انتهى من نظامه أرسل الكتاب إلى ابن أخته شييون فلما فتحه
وعرف مضمونه مزقه ولم يكثربه وعند الصباح أمر بدق طبل الحرب وركب شييون وجساس
وفعل الزير الفارس والتقوا باطالهم وتشدد فى قتالهم فبرز شييون الى ساحة الميدان
وتبعته الأبطال والتقى بفرسان تغلب وفعل بهم العجب فام من فارس الا أعطيه وعن

(م ٧ — الزير سالم الكبير)

جواده أقبه ثم صاح وطلب براز خاله وكان الزير لما شاهد الفعّال حمل عليه وقد احمرت عينيه وقال اذهب يا وجه العرب قبل أن يحل بك العطب فقال أين اذهب يا خلى وانت غاية أمانى فوالله لاقتلك فى هذا اليوم وأطاف أخبارك من بين القوم لا لك طغيت فاعتاظ الزير من هذا الكلام والنهيد والتقا بقلب شديد وجرى بينهما فى القتال ما يشيب رؤس الاطفال ولما طال الامر قال الزير أمام الفرسان ارجع يا ابن اختى بأمان قبل أن يحل بك الهوان وتلحق أخاك شيان فاذهب إلى أهلك وارسل لى أبطال قومك أو عمك فلم يجبه شبون بكلام بل هجم عليه وكان الزير كلما حكم عليه الضرب فى الحرب يمتنع من أذاه شفة عليه وإكراماً لخاطر والديه وما زال يطاوله وينصحه بالرجوع عما هو فيه إلى أن أقبل الظلام فعند ذلك توقف القتال ورجعت الابطال عن ساحة المجل ثم انقروا فى اليوم الثانى وكان أول من برز إلى الميدان الامير شبون فصاح وحمل وطلب براز المهلهل ونصحه فلم ينتصح بل تقدم وهجم عليه وأشار يقول متهدداً إياه أمام الفرسان الفحول

قال شبون بن همام الامير	فارس/الفرسان فى يوم النكير
استمع ما بقالك مخلص منى ولا	لا بد من قتلك أبا وغداً حقير
ما بقالك مخلص منى ولا	من حسامى اليوم لو أنك تطير
ثم أخذ ثار أعماى الجميع	ك من بطل صنديد صبرته عفير
ليست لك قلب على أختك يحن	وأولاد عمك ذاقوا منك النكير
كم قتلت منهم خلق كثير	كم يتمت منهم طفلاً صغير
سوف تنظر كيف حربى يا أمير	فى لقا الابطال ما لى من نظير
خبرونى حين حضورى أنه	يا قليل العقل تركب للحير
ما يفتنى الحمار إلا الحمار	ما أنا مثلك ولا عقلى صغير
هات لى سيفك ورمحك والشهاب	هات أبو حجلان كالمطار بطير
حتى أقتلك من حسامى والقنا	وتطلب الجيرة ومثلى من يجير
إن كنت لا تنصح هذا حربنا	ويكون النصر من رب القدير

فلما سمع الزير كلامه اشتد به الغضب وأجاب يقول

قال أبو لى المهلهل ثم قال	أنت يا شبون ما عاد لك مجير
هرجت يا شبون قواك كثير	الجحش لا يحمل كم يحمل بعير
لو سقيت الجحش من سكر وسم	ولو خلطت الصنوبر بالشعير

لا عاش أصله ما ينفع معه الجليل - أكيد هو مجنون من يقتنى الحبر
وأنت يا شيبون لو لم تكن حمار - ما زجعت اليوم إلى حربى تغير
فانى عفوت عنك مبارحة - من أجل أمك وأبوك نعم النصير
وأنت تعلم أننى سبع الرجال - قتلت منكم اثنى عشر ألف أمير
هذا من غير التوابع والغريب - تاه فيهم العدد ناس كثير
كم نصيحة أنصحك لا تلصع - جاهل سوف تقع فى وسط بير
لم يبق لى ذنب إن أتاك منى ضرب - يهدى الابدان ما عاد لك مجير
دونك الميدان يا شيبون قم - شد عزمك لا يكن باعك قصير

(قال الراوى) لم يلتفت شيبون بل حمل عليه حملة أسد الغاب وأخذ معه فى الكر
فالتقاء مهازل بالعجل واشتد بينهما القتال وعظمت الاهوال حتى تعبت من تحمها الخيل
وارتمى منهما العزم ومان بمضهما كل الميـل وكان الزير يطاوله ويجاوله واستمررا
يقتانلان ثلاث ساعات حتى تعبت من قتالهما الفرسان وشخصت اليهما عيون الشجعان
وكان شيبون يود ان يقتل خاله ويمدحه الحياة ويفتخر بقتله على الأبطال إلى أن استغنى
الفرصة فز الرمح وطمعته بين ثديه فغلى منها الملهل فراحت خائبة بعد ما كانت صائبة
وزاد الزير المضرب وتوقد قلبه والنهب وصمم أن يسقيه كاس المطب فجذب سيف
حكمون وقال اليوم أريك يا مجنون كيف الضرب يكون لاني نصحتك فلم تقبل فأنته
الخسران ثم تقدم وهجم عليه وضربه على رأسه شقه إلى تسكة لباسه فوق قتيلا فلما
رآه المهازل وهو قنيل يتململ ندم على ما فعل فتحسر وهطلت دموعه وعندما قتل
الامير شيبون احمرت من بنى مرة العيون وأيقنوا بالهلاك ولكنهم أخفوا الكد
وأظهروا الصبر والجلد وقاتلوا قتال الاسود وطلبوا الرايات والبنود فالتقاهم الزير
بالعساكر وضرب فهم بالسيوف وأحاط بهم إحاطة السوار بالمعصم وقتل منهم مقتلة
عظيمة وأصاب غنائم جسيمة فلما رأى جساس ضعف حاله وموت رجاله ولى يطلب
الهرب خوفاً من المطب وتبعته فرسان العرب وقد بصروا العجب من قتال بنى تغلب
يرجع منهم الزير وهو حزينا على فقد ابن أخته الامير شيبون فزل فى صيوانه مع
الامراء والاعيان ولم يكن له دأب إلا البكاء والاتحاب ولما زاد به الحزن وضاقته
منه النفس أنشد هذه الايات

الزير أنشد شعراً من ضمائره - العز بالسيف ليس العز بالمال
شيبون أرسل نهار الحرب يطلبنى - يريد حربى وقتلى دون أبطالى

فصحته عن قتالي لم يطاوعني	بارزته فشوى للأرض بالحال
المال يبنى بيوتا لأعمالها	والفقر يهدم بيوتا سقفها عال
دع التقادير تجري في أعنتها	ولا تبسين إلا خالي البال
ما بين لحظة عين أنت راقبها	يغير الله من حال إلى حال
فكن مع الناس كالميزان معتدل	ولا تفلن دا عمى ودا خالي
عم الذي أنت مغفور بنعمته	خالي الذي أنت من أضراره خالي
لا يقطع الرأس إلا من يركبه	ولا ترد الدنيا ككثرة المال

فلما فرغ الزير من كلامه انطرح على فراشه ولما بلغ نفل شيون أبوه همام وأمه ضباغ احترق قلبهما عليه لأنه كان وحيد همام بعد شيبان أخيه وكانت الفرسان قد أتته بجثته اليهما فبكيا البكاء الشديد وهزقا عليه الثياب ثم واروه في التراب وفي ثاني الايام وكب همام لقتال الزير وتبعه جساس والابطال وبلغ مهملل الخبر فركب في أبطاله ولما التقى الفريقان برز همام الى الميدان وطلب المهملل وكان قد وضع لثام على وجهه حتى لا يعرفه فبرز اليه المهملل وهو لا يعلم أنه الامير همام فاقتتلا ساعة وكان همام قد ضرب الزير بالحسام قاصدا أن يسقيه كأس الحمام فغلى الزير منها فراحته خائبة ثم هجم عليه وطمعنه بالرمح في صدره فوقع على ظهر الجواد كأنه طود من الاطواد فالتفت الى الزير وهو على آخر رمق آه يا مهملل لقد قتلت أمس ابن أختك واليوم قتلت همام صهرك فلما سمع الزير هذا الكلام تنفص عيشه وتكدر وقال له يا همام ما عاهدتني أن لا نقاتل أبدا وأن نكون أصحابا فلماذا خاطرت بنفسك وأنت تعلم أنك لست من رجالى قال لقد جرى القلم بما حكم وانقضت حياقي ودنت وهذا الامر مقدر بامر الله وما دام الامر كذلك بأفارس المعارك فكف عن هذا الحرب واجعلني فدى أختك فقال والله يمز على فقدك وقد تكدر صفو عيشي من بعدك ولكني لا أكف الحرب والصدام حتى لا يبقى من أبي بكر أحد ثم هجم على المواكب وفرق الكتائب فتأخرت الفرسان عن قتاله ورجعت الى الوراء وهي بحالة الذل والانكسار ولما بلغ ضباغ قتل بعليها ضاع عقلها وعظم مصابها فصارت الى بنى تعلب ودخلت على أخيها الزير وقالت له غاضبة أمكذا تفعل يا أخبت العرب تقتل أولادي وبعلي وتحرمي أهلي وأبني حزينة أمكذا تكون الاخوان فواحق الإله القادر على كل شيء أن موتى يامهملل عندي من الحياة أفضل فأنك نسيت الجليل والمعروف وقابلتني بالغلدر والمتلوف بعد أن

خلصتك من الحريق فلما سمع الزير منها هذا الخطاب أظهر الحزن وتلقاها بالإكرام ثم
اعتذر لها بذلك الغلط وأخذ يطيب خاطرها ويمزيها عما فرط وأمرها أن تكن عنده
بمخدمها وحواشيها فامتنات كلامه وأقامت من ذلك اليوم في بيت أخيها ولما عظم الأمر
على جساس وبني بكر وكثر فيهم القتل أرسلوا يستنجدون أهل النجاة فامدوهم برجل
منهم يقال له الفهد بن سهل وكان يلقي نفسه بالمخاطر ويصيد الأسود الكواسر فساد إلى
مساعدة القوم وقد انتخب سبعين فارساً من الشجعان يقاربوه بالشجاعة والفروسية
وكانت أهله قد كتبت اليهم تقول قد مددناكم بعشرة آلاف فارس من الفحول وبهم
تناولن القصد والمامل فلما قدموا إلى تلك الأطلال ورآهم جساس وباقي الأبطال اعترام
الاندهال فانهم لم يروا أكثر من سبعين تحت راية العبد الأسد المرين فقالوا أين جماعتكم
الباقين فقال العبد أنا بسبعة آلاف بطل فارس ورفاق بثلاث آلاف بطل مداعم فتبسموا
من هذا الكلام والتقوم بالإكرام وذبحوا النوق والأغنام ونصبوا لهم المضارب والخيام
ثم استعدوا للقتال فسمع بهم الملهل فنضب وزحف من يومه في فرسان قومه فالتفتة
بنو بكر في مكان يدعى عقبة الرياح ولما تقارب العسكران قال الحارس بن عباد وكان
من الفرسان الأجواد إلى جساس هل تطيعني أيها الأمير فيما أشير قال قل ما بدالك قال إن
القوم مستخفين بقتالنا وذلك لضعفنا وقلة رجالنا فقاتلهم بالنساء مع الرجال فتبلغ منهم
القصد فقال جساس وقد اعتراه الاندهال مامع هذا الكلام وكيف تقا تل النساء مع الرجال
قال إنك تحلق رؤوس الفرسان وتجمع البنات والنساء اللواتي تصفين بالشجاعة فتحملن
الماء بالقرب وتعطي كل منهن مطرقة من خشب وتصفن خلف الرجال وقت الحرب فإن
هذا مما يزيد الأبطال نشاطاً في ساحة المجال فإذا خرج منكم أحد الناس يعرفه من رأسه
فيسقيه الماء فينعشه وإذا مررن بالعدو عرفته فاستصوب جساس رأيه واستحسنه وفي عاجل
الحال جمع النساء والرجال وعرض عليهم ذلك الأمر فامثلوا وأجابوا أمره وما كان
يومئذ من بني بكر أحد إلا حلق رأسه واستعد الرجال لاسمه ربيعة بن مروا وكان
زعباً قصيراً وفارساً خطيراً فقال يا قوم اتق قصير وإذا حلقت رأسي أصير معيرة عند
الكبير والصغير فدعوا لي لحيتي يا سادات العرب وأما أبلغكم الأرب وأضمن
لكم قتل خمسة فوارس من تغلب فاجابوه إلى ما طلب ولما التقى العساكر بالعساكر
تضاربوا بالسيوف والخناجر وأنصبت تغلب على بكر كليوث الأجام والهدوم بضرب
السيوف فارتد بنو بكر طالبة الانهزام فاشار جساس وفي يده الحسام

وصاح بصوت كالرعد وقال يا وبلكم ارجعوا وقاتلوا بهمة وعزيمة فإن الموت أفضل من الهزيمة فارتدت بنو بكر بعد الاقلال إلى الحرب والقتال وضموا خيولهم وطلبوا المكافحة والمجادة وصاح الفند بن سهل والتي نفسه في الميدان وهو ينخى الابطال ويصيح على الرجال ففرق المواكب وأظهر في قتاله العجائب فلما رأى المهمل أعماله برز اليه وطلب قتاله فالتقاء الفند بقلب كالحديد وهجم عليه هجوم الصناديد وما زال في عراك شديد وحرب ما عليه من مزيد إلى ان صار وقت الزوال فتوقفا عن الحرب والقتال واقترقت العساكر عن بعضها البعض ونزلت في جوانب تلك الارض وكان ربيعة الذي لم يحاق رأسه من بنى بكر قد قاتل قتالا شديدا حتى أقتلته الجوارح من ضرب السيوف والرماح فوقع طريقاً بين الثقتلى على وجه الفلا فرت عليه نساء بنى بكر فوجدته ذا لحية طويلة الشمر فحيته من بنى تغلب فغزبته بالمطارق حتى أوردته موارد العطب فضربت فيه الامثال وتحدثت السنة الرجال (قال الراوى) وعند الصباح ركبت الفرسان ظهور الخيول واعتقلت بالسيوف وتقدموا إلى ساحة الميدان للضرب والطمان وكان المهمل في أول الجحفل كأنه قلة من القليل أو قطعة فصلت من ذيل فصاح وهو يندب ويقول

شقيت النفس من أبناء	وأهلكك سد الحواسد والاعادى
ويشكر قد عزمناها وذملا	باسياف منعدة حداد
وعمام بن مرة قد تركنا	سريما في الفلاة عني الوهاد
تركت الطير عاكفة عليه	كشئ هالك من عهد عاد
إذا ما الخيل والابطال جالت	هزمت جموعاً في كل وادى
بضرب تذهل الابصار منه	وطعن مثل أفواه المزداد
وكل مجرب بالحرب ليث	إذا ما جال في ظهر الجواد
على أن ليس يول كليب	إذا سرنا إلى يوم الطراد
هلموا يا بنى بكر هلموا	فإن بقتلكم يشقاق فوادى
وإني سوف أفنيكم جميعا	وأبلغ منكم نيل المرادى

ثم أنه بعد هذا الشعر والنظام هجم على جيوش الاعداء الآجام وضرب فيهم الحساء وتبعه امرؤ القيس وكان صنديد طعان واشتد بين الفريقين القتال وكثرة القيل والقال وتمددت الفرسان على وجه البطح ساروا تحت الارض من قعقة السلاح وصيل الخيول وكان الفند قد حمل على المهمل وقاتل حتى استقتل وفعلت فرسانه مثله وبذل جسام

في ذلك اليوم المجهود وهجم بقومه على الرايات والبنود وهجوم الاسود واشتد على المهمل القتال وحاطت به الاعداء من اليمين والشمال وهو يقاتل ويمنع وينقذ رجائه عن الثبات ويدافع حتى جرح في ثلاثة مواضع فلما زاد عليه الحال وازدحمت حوله الرجال تآخر عن ساحة المجال خوفا من الهلاك والوبال وانكسرت بنو تغلب في ذلك النهار أشد انكسار وتفرقت واستظهرت عليهما بنو بكر غاية الاسظهار وقتلت جماعة من الامراء والاعيان وصناديد الفرسان ومن جعلتهم ليث الميدان وزينة الشجعان امرؤ القيس بن ابان وكان من الاعيان صيته محمود مشكور وهو غير امرؤ القيس الشاعر المشهور فبكى المهمل عليه وكان يحبه ويهيل اليه ورجعت بنو بكر الى الديار وهي في غاية الفرح والاستبشار على ذلك الانتصار وفي أوائلها الفند بن سهل الاسد الكرار وهو ينشد مفتخر في ذلك اليوم المهول :

عجلا اليوم صاحبي الرواحا	وأسقياني قبل المدامة راحا
أين ليلى وأين ليلي وليلى	أعشقت قلبي المدامة ملاحا
لا ترى عاشقا تعلق ليلي	ويلاقي العذاب منهم مباحا
لقيت تغلبا كعصبة أعاد	إذ أنام هو العذاب صباحا
ونهبنا عن حربنا تغلب الشرم	فأفقت البلاء والبلاء مناحا
دون أن أبصرت خيولا لبكر	وخيولا هندية ورماحا
فقتلنا بواردات رجالا	إذ بدا كاتم الضمير قباحا
سفهوا حلمنا فلما أثاروا	للقاء النجاة طاحوا طباحا
ورجعت تغلب تعيد كليبا	فاطحننا سراتهم حيث طاحا
قد تركنا نساءهم ناديات	معلنات مع البكاء النواحا
وتركنا دير تغلب قفرا	وكسرنا من العدو الجناحا
وترى الزبريكثر القول فينا	بعد ما صار مردا مستباحا

ولما بلغ المهمل هذا الشعر زاد حنقه على آل بكر وبات تلك الليلة على مقال الجرم جمع باقي الفرسان وتقدم للقتال فالتقته بنو بكر بقلوب كالجبال وجرت بينهم وقائع وأهوال لم يسمع بمثلا في سالف الاجيال واستمر هذا الحال مدة عشرة أيام وكان المهمل قد اتصر في أكثر الوقائع ولما كثر القتل بين الفريقين اتفقوا على توقيف الحرب مدة شهرين فافترقت الفوارس عن بعضها ونزلت كل فرقة في أرضها .

(خبر ظهور الجرو بن كليب الفارس الدعاس)

(قال الراوى) وكان لما قتل كليب كما تقدم الكلام وكانت امرأته الجميلة حاملة بهذا الغلام فلما طردها الزير وجاءت إلى عند جساس أخيها ولدت غلاما فسمته المجرس ولقبوه بالجرو وكان مع اخواله بنى مرة وأولاده وكان خاله فشفق عليه وقد أحب خاله جساس دون باقى الناس ونشأ الغلام ذا عقل وأدب وأحبه جميع العرب لفصاحته وبرايعته وشجته فكان يركب ظهور الخيل ويتعلم عليها الفروسية فى النهار والليل فبرع واشهر بين فرسان القبيلة فلما بلغ خمسة عشر عاما زادت شهرته وارتفع مقاله فرآه جساس فى بعض الايام وهو كانه ليث الاجام والشرر يتطاي من عينيه فلا يقدر أحد عليه فاندش وخاف منه وارتعش وكان يتأمل فى أمره ويخاف سطوته حيث أنه قتل أباه بالغدر وتركه يتيم مدى الدهر واتفق ذات يوم أن الجرو ركب فى جماعة من الشبان وأخذوا يلعبون بالجريد فى الميدان وكان من جملة الغلمان عجيب بن جساس وكان شديد فطن عجيب الجرو طعنه مال عنها فراحت خائبة ثم أن الجرو تقدم نحو عجيب وطعنه بجريده أصابته فالتفت عن ظهر الجواد الى الارض فنهض غضبا فاشتم الجرو وأهانته بالكلام وقال هكذا تفعل يا ابن اللثام بآبناء السادات الكرام ثم أشار يده بهذا الشعر والنظام

يقول عجيب من قلبه موجب	ألا يا رفاقى حالى عجيب
ضربنى الجرو منه الى بحريده	فادمانى وصيرنى تئيب
ولم يعلم بانى خير ماجد	ولد جساس قرم مستهيب
ولولا عمتى لقطعت رأسه	وأدعيت على الغبراء قليب
فهذا ولد كليب من أعادى	وما ضد الكلاب الا القصب
دعوه يروح عنا لا يماطل	ويذهب بسرعة قبل المغيب

(قال الراوى) فلما عجب من شعره ونظامه وفهم الجرو كلامه أجابه على شعره وقال

يقول الجرو اسمع يا ابن خالى	كلامك ليس يسمعه أديب
تقول اليوم نقتلنى بسيفك	وتتركنى على الغبراء قليب
إذا أبصرنى يوما فريدا	فتقتلنى بسيفك يا عجيب
فانزل عن جوادك	وافعل ما تريد من قريب
وافعل ما تريد اليوم فينا	فانى لا أخافك يا عجيب

فلما فرغ الجرو من كلامه وإذا بسطان أخو جساس مقيبلا يما فوجد الدم يسيل من ابن أخيه جساس فلما علم بواقعة الحان اغتاض غيظا شديدا وشم الجرو وسبه

وقال له والله لولا كرامة أمك لقطعت رأسك وأخذت أنفاسك

فقال يا خال ما أنا واقف بين يديك فافعل بي ما تريد ثم هطلت عيناه بالدموع وتهد من فؤاد موجوع وسار إلى أمه أعلمها بما جرى وطلب منها الرحيل من تلك الديار فتكدرت أمه لكدره وأجابته إلى طلبه ثم أنهما صبرا حتى أظلم الليل فهد المضارب والخيام وسارت تحت جناح الظلام جماعة من العبيد والخدم وجد في قطع البراري والآكام مسافة عشرة أيام وانفق في اليوم الحادي عشر أنهما التقيا بشيخ في ذلك البر هو راكب على فرس تسابق الريح وكان بمعيته عشرة أبطال من صناديد الرجال وكان قد خرج لصيد الوحوش والغزلان وهو راجع إلى الأوطان فتقدم الجرو إليه وسلم عليه فرد الشيخ وقال له أيها الفتى من أن أتيت وإلى أين قاصد فقال طردوني أهلى وريت يتم وأنا طالب انسان كريم التجأ إليه وعنده أقيم فقال الشيخ اذا كان الامر كما تقول فشرفى الى الأطلال وأنا أفديك بروحى ومالى وأشار إليه يقول

يقول أمير منجد فى قصيد	لا يا قصيد نيل المآرب
شرف منزلى وأمر عبيدك	يردون الأباغر والنجائب
بكم قد حلت البركة علينا	وزال الشر عنا والمتاعب
فقل ما تلاقوا أين سرتهم	وعندى تبلغوا كل المطالب
أنا منجد فن نسل أكارم	أبى وائل فينا وما فينا معائب
ألف ألف يخدمنى وتخضع	لأمرى فى المشارق والمغارب
أنت بقيت بعد اليوم أبى	ولست اليوم فى قولى بكافب

قال وكان هذا اسمه منجد بن وائل وهو خال كليب وقد كنا ذكرنا عنه أول الكلام فإنه بعد قتل ربيعه أبو كليب استخدم أخوته الثلاثة عند التبع فى بلاد الشام ولما قتل التبع حسان ولى وهرب وسكن فى آخر بلاد العرب خوفا من كليب أن يقتله كما قتل باقى اخوته لأنه كان يبغضه دون أهله وعشيرته فلهذا فرغ منجد من شعره فهم الجرو فحوى كلامه فرح واستبشر ورجع إلى أمه وأعلمها بما جرى ثم أنهم ساروا مع الأوطان ونصبوا هناك المضارب والخيام فأكرمهم منجد غاية الأكرام وأنزلهم فى أعز مقام وكان لهذا الشيخ عشر أولاد ذكور كانهم البدر فانتلفوا الجرو وأحبوه وكانوا لا يفارقوه وكانت الجلييلة عرفت الأمير منجد حق المعرفة وكتمت الأمر عزيد وعمر وخوفا من العواقب واجتمعت الجلييلة بابنها وقالت له إذا سالك أحد عن اسمك فقل اسمى المهجرس ولا تقول الجرو فقال أن الاثنين بمعنى واحد فاهو مرادك بذلك

فقلت وان يكن الهجرس كلب الصياد فانه اصلح الجرو وانت أمير وأبوك كان من
الفرسان المشاهير ومن ذلك اليوم تسمى بالهجرس بن العرب وكانت خاتمة عليه
فاجتمعت ذات يوم بشيخ عبيدها وكان اسمه صبيح وأشارت اليه نقول

تقول الجليلة بدمع سجام	أيا صبيح اسمع الكلام
فهذا الشيخ الذي تراه	مكيد الاعادى بضرب الحسام
يسمى منجد صميدع صنيذ	ولد وائل وفي الذمام
فهو أمير وابن أمير	حوله عساكر كفيض الغمام
فهذا خال كليب الامير	مع سالم الزبر قوم همام
فهو خالم قد عرفته سريع	مكيد الاعادى بضرب الحسام
وهو خال زوجي ولكن عدو	كيف العمل الآن سرنا انضمام
وأصل العدارة كليب أمير	قتل اخوته في دمشق الشام
قتل اليماني وأخذ زر أبوه	وأهلك منجد ونال المرام
وبحق الآن نزلنا عليه	عرفته وقد اعتراني السقام
إني أخاف على ابني حقيق	يمينه ويدعي دمه سجام
عدواك إياك تركن اليه	ولو أنه سقاك المدام

فلما فرغت وفهم العبد فحوى كلامها قال لها أين تتوجه الآن وقد صار لنا عدة
مدة من الزمان والصواب أن نسكنكم أمرنا عن كل لسان حتى يفرجها الرحمن واستمروا مدة
في تلك القبيلة وهم في أرغد عيش وأحسن حال إلى أن كان في بعض الأيام أغار على
الامير منجد بعض ملوك العربان ثمانين ألف عنان فالتقاه منجد فانكسر حتى آل أمره
إلى الدمار وتلك الافعال وما حل بمنجد من الالهوال برز إلى ساحة القتال قاتل الشجمان
ففرق الصفوف والمواكب وكسر ذلك العسكر وفعل أفعالا تذكر وعند رجوعه من معركة
القتال بالانتصار شكر منجد على تلك الافعال وقال له منك تكون الرجال فوالله لقد
حميت الحريم وطردت الغريم وخلدت لك ذكراً جميلاً طول الدوام وعند وصولها إلى
سراية الاحكام وجلسهما في الديوان قال له منجد بحضور السادات والاعيان مثلك
تكون الفرسان فاخبرني عن حسبك ونسبك ومن تكون قومك وعربك وأشار اليه
يتول وعمر الساميين يطول

على ما قال منجد من ضميره أيا هجرس أجبني على سؤالي

وأعلى باسمك يا مدلل واسم أبوك يا زين الرجال
وماهى كسينك بين القبائل ومن أى المكارم والمعالى
بحق الله خبرنى حقيقة أيا حامى النساء يوم القتال
فلما سمع الجرو فحوى كلامه وما أبداه فى شعره ونظامه شكره على ذلك بهذا القصيد
وعمر السامعين يطول

ألا يا غفر الأماجد فى الرجال فاسمع يا ملك فحوى مقال
أنا اسمى اليتيم أيا مسمى ولا أعرف أبوى ولا خوالى
وانى قد سألت أمى مراراً فتسكت لا ترد إلى سؤالى
تقول أبوك شاليتين بن مره قتله الزير فى يوم الزوالى
فأطلب من إله العرش ربى لأخذ الثأر منه بالقتال
(قال الراوى) فلما فرغ الهجرس من كلامه زاد منجد فى احترامه ونهض على الأقدام
واعتقه أمام السادات وقال أنت من بنى مره أصحاب الشجاعة فعربك من عربى ونسبك
من نسي فوالله ما ضاع نظرى فيك فأطلب من الله أن يحفظك وينصرك على حسادك وأعدائك
ومن ذلك الوقت زاد فى إكرامه ورفع مقامه وأقامه ملك على الديار وصار له من مزيد
الاعتبار والوقار عند الكبار والصغار وكان للنجد بنت بديعة الجمال كأها الهلال ذات
عقل ثاقب ورأى صائب لا يوجد مثلاً فى العرب والأعاجم اسمها بدر باسم فزوجه إياها
وتمتع الجرو بحسنها وبهاها وكان فى أرغد عيش وأحسن حال وهو يحكم على تلك الأطلال
محبوباً من الجميع (قال الراوى) هذا ما كان من الهجرس وأمه الجليلة رماجرى لها فى القبيلة
وأما جساس فانه بعد رحيل اخته من الديار زادت أكداره وكان كثيراً يتذكرها فى الليل
والنهار فاتفق فى بعض الأيام بينهما هو جالس فى خيمته إذ دخل عليه بعض الشعراء فسلم عليه
وعلى الأمراء وأخذ يمدحه بهذا الشعر والنظام على جارى المائدة فى تلك الأيام .

قال جابر فى بيوت صادقة أنت يا جساس رب المكرمات
سمعت فى صيتك أنا ياذا الأمير فى الكرم والجواد يا فخر الذوات
أنت ملك للبلاد جميعها حاكماً فى الارض من كل الجهات
قاتل للصد فى يوم الوغى مكرم للضيف سنة المحملات
لولاكم ما كنت جيت لارضكم ما كنت فارقت العيال مع البنات
أنت يا جساس ملك البلاد مع أخواتك وشقيقانك السيدات

وتركت أختي يا ملك وأولادها وزوج أختي يا ملك هذا العام مات
أولاد أختي يا ملك سبعة ذكور عند أولادى وفي أهل تبات
جرو هذا الدهر يا ملك عجيب كم له في كل يوم تقلبات

(قال الراوى) فلما فرغ جابر من شعره ونظامه وفهم جساس فحوى كلامه أمر له بالف دينار وأمر بإكرامه التفت عليه أخيه سلطان وقال له أمام السادات والأعيان أسمعت كلام الشاعر الذى يدور القبائل ويمدح السادات والأكابر أملا بالمكاسب وبلوغ المآرب كيف أنه ذكر أخته في شعره ولم ينسها في سفره فكيف نحن نكون سلاطين الزمان وملوك العصر والأوان ونترك أختنا تغضب منا وتبتعد عنا ولا نعلم الى أين ذهبت وأى قبيلة طلبت فاذا تقول عنا هو لاء المالك اذا سمعت عنا ذلك فن الواجب أن نفتنى أنزها ونعيدها اليها معزة مكرمة ثم أنه بكى وبكت أخوته لبكائه وندم سلطان على ما فعل ثم التفت جساس على ذلك الشاعر وقال له أنت تطوفه حول العرب وتمدح الملوك وأصحاب الرتب فأريد منك أن تستقصى لنا عن أخبار الجرو وأختي الجليلة وتعلمنى الى أى جهة قصد وعن اسم تلك القبيلة فإن أتيتنى بصحة الخبر بلفتك الأمل فامثل الشاعر الى أمره وسار على عجل يطوف الحلل ويستقصى عنها الأخبار من الشعراء والتجار حتى سمع بخبرها ووقف على حقيقة أمرها فقصد الى ذلك المكان واجتمع بهما فى الصيوان وحدثهما بما وقع فى حقيهما من جساس وسلطان ثم أشار يمدح الجرو يقول وهو فرحان على بلوغ القصد والمأمول

يقول جبر من قلب حزين بدعى سال من وسط الاماق
أدور على القبائل والعشائر لاحظى بالمكاسب والنفاق
فاصنى يا أمير لى كلامى فانت أجل فرسان السباق
وصيتك شاع فى كل القبائل فن يمن الى أرض العراق
ومالك فى البرايا من شبيهه ونجملك فوق هام المجد راق
سالت الله أن يحفظ جنابك على طول المدى والدهر باق
رحنا من حماة لعند خالك ملك جساس سلطان الأفاق
فاهدنا وقد أنعم علينا وقلبه من بعادك فى احراق
وأرسلنى لا كشف أين أتم ليحظى بكم بعد الفراق

قال وكانت الجليلة تسمع كلام الشاعر من وراء الحجاب فما هان عليها تسمع ذكر إخوتها الذين كانوا سببا لفراقها من حلتها فامرت كبير العبيد أن يوقف الشاعر عن تمام القصيد

وأن يكتم خبرهما وهذا خوفا من الفضيحة والانتهاك ثم أمرت له مع ولدها بالني ديناو
فخرج الشاعر ورجع على الاثر وأعلم جساس بذلك الخبر فأرسل في الحال أخوه سلطان في
جماعة من الابطال ليأتوا باخته الجليلة وابنها الجزو من تلك الاوطان فلما اقرب سلطان
إلى تلك الاوطان أرسل بعض الفرسان يعلم منجد بقدمه إلى أوطانه فخرج في الحال في
جماعة من فرسانه فالتقاهم أحسن ملتقا لانهم كانوا أفايب وأعداء وأنزله في سراية
الاحكام وذبح له النوق والاعنام وفي الايام اجتمع سلطان باخته الجليلة ولدها الجزو
واعتذر لها عما فرط منه وطلب منها الرجوع إلى الديار وشدد عليهما فاجاباه إلى ما طلب
وأعلم الجزو الامير منجد بأنه يريد الرجوع إلى أهله وعشيرته مع أمه وزوجته ومن يلوذ
به من جماعته لان نفسه قد اشتاقت للوطن فقال منجد والله يا أمري بعز علينا فإني ولا
زالت أرواحنا في كل وقت تشاقتك لكننا لا نقدر نمنعك عن أهلك وأصحابك وبني عمك
ثم أعطاه مائة ناقة محملة من النفائس والاقشة ومائة جواد وغير ذلك من المعان والجواهر
ومائة عبد ومائة جارية وأركب بنته زوجة الهجرس على هودج كبير وسار لوداعهم مسافة
خمسف يوم رجع إلى الديار وسارت الهجرس مع أمها وزوجها يقطعون القفار حتى وصلوا
إلى منازل بني مرة فالتقاهم جساس بالفرح وأمر بذبح الذبايح وأطعم الغادي وأشار
بالجرو يقول وعمر السامعين يطول

لما قال الفتى جساس صادق	ألا يا مرحبا بك يا ابن أختي
فبيكم حلت البركة علينا	وضاء الحى في قربك أينما
وأملك يا فتى وعيني وروحي	وعمرى يا جليلة ما فرحت
فأبنتك قد غدى كالسبع كاسر	فإن الجرو للاعداء كاسر
بيوم الحرب والاهوال جاسر	إنه العرش أرجعه لتختي
ولا تعيب على سلطان خالك	ولا قوله سيخط قط بياك
ولا ابني ولا نحن مثالك	أنا ساحمك قط فوق تختي
أنا أبكى على المرحوم أبيك	فته الزير في ريمك وحيك
فقم اركب ألا ياروح أخيك	واشخت للمهلل أى شغت
سالت الله أن تاخذ بشارك	بقتل الزير تكشف عنك عارك
مرادى بقتله تاخذ بشارك	وتحرقه بشارك يا ابن أختي

(قال الراوى) فلما فرغ جساس من شعره ونظامه تبسم الجرو من كلامه وقال كن مطمئن
الخطاير يا خال من هذا القبيل فلا بدلى من قتله عن قريب هذا ما كان من الجرو وجساس وأمه

الزير الفارس الدعاس فانه بينما كان راقد ذات ليلة إذ رأى في منامه أن أخاه الأمير كليب
يحاقبه بهذه الايات على أخذ الثار وكشف العار يقول وعمر السامعين يطول
تنام الليل كله يا مهلهل ونارى ما قدرت على وفاء
وعظمى ذاب حتى صار كحلا وجساس بن مرة في الحياة
فأجابه الزير يقول

أمير كليب ما قصرت يوما بأخذ الثار من قوم البغاة
قمم واسأل بناتك يا حبيبي على طعنى وفلى فى العداة
(قال الراوى) فاستيقظت بنات كليب من المنام وأيقظنهم بهذا الشعر والنظام
يقولون اليتامى يا مهلهل أانا كليب يستجد أخاه
كليب قد قام من وسط المقابر وصار كليب وسط الجياد
(قال الراوى) وكان الزير قد استيقظ من منامه فقال لبناته رأيت أباك فى المنام
ثم حدثن بما رأى بالتمام فبكين بكاء شديدا فقال الزير إن هذا المنام يدل على أمر عجيب
فاستدعى بعض الرماين وقص ذلك المنام عليه فغضب الرمل ورسم الاشكال وولد البنات
من الامهات وعرف حقيقة الخبر فقال له لك البشرى يا فارس الصدام فان جساس عرفه
بقتلى بعد أيام وذلك من يد شخص يظهر منه لحمك ودمك وأشارية قول وعمر السامعين يطوله
يقول بشير اسمع يا مهلهل أيا سالم فابشر زال همك
أناك النصر من رب البرايا إله العرش بالخيرات عمك
ضربت الرمل لاجلك يا مسمى لاكشف عنك همك ثم غمك
فقد نظرت رسوم الرمل عندي سيظهر شخص من خحك ودمك
فيقتل فى الوغا جساس حالا وانت تزجه ويزول همك
وتملك بهذه أولاد مرة وتسقيهم جيعا كأس سمك

قلبا سمع كلام الرمال فرح واستبشر ثم قال له أن تم كلامك هذا البشر منى لبلوغ
مرامك ثم أحسن اليه ووعد به كل شيء وعند الصباح ركب المهلهل الى الحرب وتبعته
الابطال والفرسان وركب أيضا الأمير جساس بالفرسان وانتلوا طول النهار وقتل
المهلهل منهم عددا كثيرا وما زلوا فى أشد قتال الى أن دقوا طبول الانقصال فافترقت
الطوائف عن بعضها ونزلت كل فرقة فى أرضها وأما الهجرس فانه لم يركب مع جساس
واجتمع جساس باخته الجليلة وقال لها أن ابنك لم يقاتل معنا ولم نعلم ما هو السبب فاسأليه

وأعطى بما يقول فسألته أمه من عدم خروجه إلى الحرب فقال لها يا أماه أنه لا يلتقي
إلى قتال الزيرسوى حصان خالى جساس الأخرج فان وهبى آياه فانا أعطيه عرضه رأس
المهلل فان قبل هذا الطلب بلغته الأرب فرجعت الجليلة وأعلمت أخاهم هذا الخبر فوهبه
الحصان وقال له ان أنت قتلت لنا هذا الشيطان تكون علينا ملكا ونحن لك غلاما وأعوانا
ففرخ الجرو بذلك الجواد وضمن لخاله قتل الزير أمام الفرسان والقوادير لما أصبح الصباح
ركب الجرو الحصان المذكور وتبعه كل فارس مشهور وكان المهملل قد حمل وطلب وبرز
الفرسان وقال أين جساس فبرز إلى الميدان وبرز الجرو وهجم عليه فاشار يقول

قال هجرس يا مهملل أن عزرائيل أقبل أين تغدى اليوم منى
سوف تلقانى وتقتل لاتحسفى بظنك أنى كمن جاك أول

(قال الراوى) فلما فرخ الجرو من شعره حمل عليه وكان المهملل قد مال قلبه اليه وتحركت له
جميع أعضائه باذن الله هذا والهجرس قد قعد قتله ليوفى الجساس ضمانه وكان الزير يبطل
مضاربه بحسن اختياره وكان يطارعه قلبه على قتله وما زال على تلك الحال وهما فى عراك
وقتال إلى المساء فرجعا عن ساحة المجال ورجع المهملل إلى الاوطان واجتمع بينات أخيه
كليب وأعلمهن بحديث الغلام وما جرى بينهما فى معركة الصدا وكيف أنه أشبه الناس
بإباهم كليب فى الصورة واتقتال ثم قال لليامة علمنى هل كانت أمك حائل لما ذهبت من
عندنا فقالت نعم يا عمى كانت لها شربين فما معنى هذا السؤال فانشد يقول

يقول الزير أبو لىلى المهملل مربع الخيل ان قصدت الينا
يمامة اسمعى منى كلامى أيا ست الملاح المحسنا
برزت اليوم للميدان حتى أقتل آل مرة أجمعنا
فبارزنى غريب منهم له عزم كما الصخر المتينا
كمثل أباكم وجهها وحربا قد كرنى ليالى الماضينا
فقد قاتلته فى كل لطف وهو يطعن طعان الفانلينا
فحملاته وطعناته قوية نقد الصخر الزرد المتينا

فلما انتهى دياب من كلامه أجابته اليامة تقول

ألا يا عم اسمع ما أفوله لتفهم سالم الخبر البقينا
فامى حاملة من يوم راحت وحق الله رب العالمينا
وليس أدرى ايش جابت أبنت يا غلام يا فطينا
ثلاث أشاير لى فى كليب أشارت بعقلى راسخينا

ركبت يوما بقرب البيت مهرة
من التفاح أعطاني ثلاثة
فانك سوف تحتاجي اليهم
ضربته بواحدة باعم راحت
وثاني واحدة في رأس رجمه
عد أنزل وضربه ثلاثة
يكون أخى اذا سوى نظيره
عسى الله يدركنا بلطفه
وقال أيا يمامة أنظرينه
وقال بدى الثلاثة أضربينه
اذا ظهرت لنا حقا بنونا
بضرب ركابه صارت طحينه
وثالثهم خطفها باليمينه
كفعل أبى أيا عى الحنونا
وان خائف يكن غريب فينا
وينصرنا إله العالمينا

(قال الراوى) فلما فرغت اليمامة من شعرها ونظامها وعمها يسمع كلامها قال لها مق
فعل أبوك ذلك قالت قبل موته بشهرين لما كنت أنت على يبر السباع وقد صممت الآن أن
أرافقك إلى الميدان وأضربه بالتفاح في ساحة الكفاح فان فعل كما فعل والدى يكون بلا
شك أخى وبه أبلغ أربى وفى ثاني الأيام ركب الزير وركبت مع اليمامة وقد أخذت معها ثلاثة
نخاحات وكان الجرو قد ركب بالأبطال وتقدم الى الميدان وطلب الزير للقتال فبرزت اليه
اليمامة وقالت أنا أقاتلك اليوم دون عى فاستعظم الجرو ذلك ولم يعلم السبب ثم أن اليمامة أخذت
نخاحة لوحها بيدها وضربته بها فأخذها برجله مع الركاب فطحنها ثم أهاضربته بالثانية فأخذها
على سنان الرماح ثم أخذت الثالثة وقالت اللهم يا خالق الخلق امع الباطل واكشف الحق
فأخذها بيده ووضعها بجيبه فلما شاهدت تلك الحال علمت أنها أخوها فنزلت عن ظهر جوادها
والقت نفسها عليه وقالت أهلا وسهلا يا أخى ابن دى وأبى فانت والله ابن كليب بدون ريب
وقد ربيت في ديار العدا والحمد لله الذى عرفناك فقال لها أنا ابن شاليس أيتها السيدة الحرة
وأى هى الجليلة بنت الأمير مرة فقالت أنت ابن الأمير كليب فانشدت تقول

قالت يمامة قصيدا من ضمائرهما
اسمع أخى قصتى وافهم معانيها
أبوك قد خانه جساس ياسندى
شاليس خالك وكل الناس تعرفه
وعمك الزيز نخر الناس كلهم
فاسال والدتك واكتم سرى
دمع العيون على الخدين هتان
يا قاهر العدا فى وسط ميدان
بطعنة يا عظيم القدر والشان
أهل الأغارب من قص ومن دان
وفارس الخيل من عجم وعربان
وأرجع الينا فانت اليوم أيمانى

قال الراوى كلما فرغت اليمامة من شعرها تكدت عنده تلك القضية لان قلبه لا يميل الى جساس
ولا الى أحد من بنى مرة لاسيا وقد حن قلبه الى اليمامة فقال لها سرا لقد صدقت فأذهبه

الآن وعند الصباح أتبعكم إلى الاوطان ثم توفى عن القتال ورجع إلى الأمة حالاً وأخبرها بذلك الشأن وأن تعلمه من هو أبوه من الفرسان وأقسم بالله إذا كتبت عنه الحقيقة قتلها وجعلها عبرة فلما علمت أمه بأن الخبر قد انفصل إليه وأن الأمر ما عاد يخفى عليه عطته بالقصة من أولها إلى آخرها ثم أشارت تقول من فؤاد مبتول :

الجليلة قالت أبيات ملاح	نار قلبي بالحشا زادت لظاه
استمع يا ولدي فيما أقول	يا ضياء عيني ويا كل المنا
أنت روي أفتفهم مني الكلام	قول صادق ليس فيه خفا
أن أبوك كليب صور المحصنات	قاهر الأبطال في قوم الوغا
وأخوته خمسون أعمامك جميع	كلهم فرسان طعنات قنا
ربعة من السبت يا ابن حقيق	كل واحد سبع ربي بالفلا
منهم أبوك كان يدهى كليب	والفق الزير المهمل يا منا
والفق المسمى عدى ودريعان	هذي الأربعة أنوا منها سوى
ثم ست وأربعون خلافهم	من الجوارى والسرارى والاما
كلهم يا أمير أعمامك لهم	كل واحد ألف يطن بالوغا
وأبوك كليب ساد على الجميع	بالقروسية مع جود وسخا
جاء جساس خالك باق فيه	وتركى بعده مثل الاما
وطردني عمك الزير بعده	فرحت إلى أهل دون الملا
قد كنت حاملي بعد أهلك	فولدتك في هذا الحما
رحت سميتك على اسم الكلاب	صرت مثل السبع رابي بالفلا
وأنا والله من خوفي عليك	قلت أخى شاليس أنه لك أبا
وأنا أعلمتك فافعل ما تريد	ما بقيت أخاف غر الملا

فلما فرغت الجليلة من شعرها بكى بكاء شديدا ولام أمه ثم أنه صبر إلى الليل فركب وسار بالهجل إلى المهمل ومحبته العبد أبو شهوان الذي كان أرسله إليه عمه الزير وفي أثناء الطريق أراه العبد قصر أبيه وقبره المصنف بالذهب فلما رآه بكى وانتحب وعند وصوله إلى عمه سلم عليه وقبل يديه واجتمعت شقايقه وجميع من يلوذ به من أهله وأقاربه فوقفوا عليه وترحبوا به وكان الزير من آخر الخلق به ولما استقر به المجلس وطابت من الحاق النفوس قال الجرو الحمد لله رب الكائنات الذي جمع بعد الشتات فلابد من قله (٨٢ - الزير سالم الكبير)

جساس وأجعله مثلاً بين الناس لأنه فجئني بابي وتاجي وفخري وتركني بقاء طول دهرى
فقال المهمل لا بد من قتله على رؤوس الأشهاد وأنت تكون الحاكم بين أهلك على هذه
البلاد ثم أنشد يقول وعمر السامعين يطول

يقول الزبير أبو إيلي المهمل	صفا عيشي ووقتي ما تكدر
أنا السعد من رب الرايا	وزال النحس عن ريعي وأدبر
فقبل ظهوره كنا حزاما	تقضى الليل قلق وتسهر
على فقد الفتى الماجد كليباً	ثوى غدرا له جساس قنطر
وفي دمه كتب لي في البلاطة	وصايا عشر أبيات وأكثر
يوصيني بقوله لا تصالح	فسالم أنت أن صالحت تخسر
واطرد للجليلة من حانا	عدوه كعها ما كان أخضر
طردناها وهى بالجرو حامل	ومن يقدر على رد المقدر
أما فهم فتكت بحد سيفي	ونلت القصد منها بالمشير
وأنى ما بكيت على كذب	أخذ بثاره بالسيف مجهر
فأبكي حيث ما خف ذكورا	بنات الكل ما له أحد يذكر
ولما خالني أنعم علينا	وجانا الجرو كالسبع الغضفر
صفا عيشي وقد نلت المفاصد	وزال النحس عنا ثم أدبر
وبعده يا بنى اسمع كلامي	أنا عمك وأنت الليث قسور
فقم واجلس على كرسي أهلك	وفي أحول أجوتك تبصر

(قال الراوى) فلما انتهى الوزير من كلامه قال الجرو أطال الله بقاءك ونصرك على
جميع أعدك وبلغك منك أنى والله يا عم فى فتى وغم فلا تزول أحزاني وأنا أربى
حتى أخذ بثار أبى وأقطع رأس جساس وأجعله مثلاً بين الناس أنه بعد حديثه وكلامه
أجاب عم المهمل بهذه الأبيات على شعره ونظامه

يقول الجرو قهار الأذى	ألا يا عم يا حسن البنات
فأفهم قصتي ونشيد شعري	فانت اليوم نصرى فى الغزاة
تقول اليوم قوم أملك علينا	وأتم كالسباع الكاسرات
ألا يا عم انت أمير حاكم	وذكرك شائع فى السكائنات
أصاح لي أنا يا عم أملك	واركب فوق ظهر الصافنات
وحياتى ينوحوا ثم يكوا	وبعد كليب صاروا سايات

يريدوا قتل جسساس بن مرة يشوفوا رأسه فوق الفتاة
فذاك الوقت وليتني لأحكم وأفعل ما تريد أيا مناسق
دعونا نطابق الفزاز عليهم ونشهر السيوف الماضيات

(قال الراوى) فلما فرغ الجرو من كلاه شكره جميع أهله وأعمامه وبعد ذلك قال لهم
الزير ما هو لراى عندك يا ابن أخى قال الراوى عندى هو أنى أغار عليكم نهار غدا وأخذ
توقكم وجمالكم إلى جسساس وأقول له يا بنى قد أنيت اليوم بأموالهم وغدا آتى برأس
الزير ثم أبرز لحمار بنك وأمت تضع قرية من الدم تحت جانبك فاطعنك بالرمح فخذته تحت
أبطنك والى نفسك على الأرض فتلتشق القرية ويهرك الدم وأنا أصبح إلى جسساس وأقول
له قد قتلت عدوك يا خال فانزل إليه وقطع رأسه فقد زال الكدر وبلغنا الوطن وعندما
يأتى إليك فقوم له بالجل وتعدمه الحياة لأنه لم يعلم بقدومى عليكم وبهذه الوسيلة تتم
الحياة وتنتهى من هذه الورطة الويلة فاستصوب الزير رآيه ثم أنه ودعهم وسار وحده إلى
ديار بنى مرة وعند الصباح ركب الجرو فى جماعة من الفرسان وساق مواشى بنى قيس باتفاق المهمل
ليث الميدان ففرح الأمير جسساس وسادة بنى مرة وشكروا الجرو على هذه الغنيمة والنصر
(قال الراوى) واتفق فى ذلك بان جسساس رأى حمارا غريبا هو أنه أبصر ذاته بأنه كان قد ربه
عند جرو وذهب وكان يحبه ولما نشأ وترعرع تصاحب مع سبع فالفه إلى أن كان فى بعض الأيام
أغار السبع مواشى بنى مرة وهجم نساؤه وأولادهم ويفنى كبرهم وصغارهم وكان الذئب
يساعده عليهم فاغتاظ جسساس من أفعال الأسد وهجم عليه يريد قتله فوثب عليه الذئب من
وراءه ونهشه فالفاه سريعا على الأرض فقام جسساس مرعوبا من هذا الحمار فهض فى الحال
وساروا إلى الديوان وجمع إخوته وباقي السادات وأعلمهم بذلك المنام فقالوا هذا أضغاث أحلام
وما زالوا يهنون عليه الأمر حتى راق وزال عنه القلق والكدر ولما أصبح الصباح ركب
الزير يطالب الحرب والكفاح وركب جسساس وهو فى قلق ووسواس وكان الجرو قد وعد
بهلاك القوم وقتل المهمل فى ذلك اليوم ولما اتقى الفريقان برز الجرو إلى الميدان فبرز إليه
المهمل فالتقاء الجرو وحمل وطعنه طعنة كاذبة لحسبها المهمل من تحت أبطه فراحت خائبة
والى نفسه على الأرض مزطار الحصان خديعة للفرسان ليظهر لهم بأنه قد مات وحلت الآفاق
فمندها صاح الجرو والله أكبر على من طغى وتكبر فقال لنا المراد بقتل الزير الذى أهلك العبادتهم
أنه صاح على جسساس وقال له انزل يا خال وأقطع رأس عدوك فقد قتلت واكتفىنا شره فلما رآه
مختبئ بدمه نزل عن ظهر القميرة وفى ظنه أنه بلغ مراده ولما اقترب منه نهض الزير فى
الحال وقبض على لحية وهجم الجرو ويشأ وضع الرمح بين كتفيه فمندها علم جسساس بأنه
حيلا قد تمت عليه ونأكد عنده صحة ذلك المنام فاشار بخاطب الجرو ويقول

قال حساس الذي شاهد وفاة
اني يا ابن أختي بك مستجير
فاجابه الجرو ألا يا خال أقصر عن ملامك
تقول أجبرني يا ابن أختي
قتلت كليب عدوا وظالما
وبعد كليب قد أصبحت حاكم
طغيت وجرت في حكمك علينا
تريد اليوم منا أن نجيرك
يا سياح البيض فيه طعن القنا
فاجبرني يا ابن أختي من القنا
دنى أجلى وقد راني حمامك
ألا باجرو أعطينا زمامك
تظن بانني أسمع كلامك
تسامى في الملا أيضا مقامك
فاذني لم نعد نسمع كلامك
فهذا ما تشوفه في منامك

فلما فرغ الجرو من كلامه جعل حساس يتوسل اليه بان يعفوا عنه قائلا بالله عليك أصفح
عني فان الذي مضى قد مضى وهل اذا قتلتني يكون أبر فتركني لوجه الله الواحد القيوم
فقال الجرو لا بد من قتلك كما قتلت أبي حتى أكون بلغت أربي فلما طال بينهما الخطاب
قال الزير أراك قد اطالتا العتاب فعند ذلك طعنه الجرو بالرمح في صدره وتقدم الزير
وضربه بالسيف على رأسه فقطعه ثم وضع فيه على عنقه حتى مص دمه وكان الجرو
ينفش في لحمه حتى بلغ مراده وشفي فؤده وبعد ذلك أعطى الزير الرأس لابن أخته
ليأخذها الى شقايقه فسلمها الجرو الى بعض عبيده وهجم مع عمه مع باقي الابطال على
جموع بني مرة فاذا قوهم الوبال وبافوا منهم الآمال وكانت مرة لما علمت بقتل حساس
أيقنت بالموت الأحمر لانه كان القائد الأكبر وعليه الاعتماد في القتال فوات الادبار وطلبت
الهزيمة والفرار وكان المهمل قتل في ذلك النهار خلقا كثيرة منهم أمراء وقواد وسادات
أجناد والذين ساموا منهم طلبوا من الزير وللجرو الامان فاجابوهم وعفوا عنهم بشرط
أن يكونوا مثل العبيد لا ينقلون سلاحا ولا يحضرون حربا ولا كفاحا ولا يقدون نار
لا ليلا ولا نهار ولا يعرف قبر ميت في جوار لافي مقبرة ولا في مقبرة ولا في دار مشكين
في البراري يقضون حياتهم بضرب الطبل وان غابت نسائم طول النهار لا يسالها اين
كانت بل يسالها ايش جبت وليس لهم صفة سوى الرقص والخلعة فقبلوا هذه الشروط
بكل رضا وقناعة وبعد ذلك تسلطن الجرو على كل القبائل نظير أبيه وطاعته العباد
وفرحت بنات كليب كل الفرحة وزال العم والترح وخلص عنهم ثياب السواد وكان
عندهم ذلك اليوم من أعظم الاعياد وكان الجرو قد تزوج ثلاثة نساء وولد له ولدان
غسمى الاول تغلب والثاني مالك ولما بلغا سن الرجولية زوجهما بابتنتين من بنات
الامير هلال حاكم حماء وزوج أخته اليمامة للأمير مفلح ابن الامير المذكور وهكذا اتصل
حيثهم النسب وخدمت نيران الحروب بين العرب وكان أفرح الناس المهمل وكان الجرو

قد عرض عليه الزواج فامتنع وكان منمكفاً على الجلوس في الخيام وكان يرقدينام وهو لايس آله الحزب لانه كان اعتاد عليها مدة الحروب التي استمرت نحو أربعون سنة ما كان من أمر المهلهل في تلك الايام أما الجرو فانه كان قد زوج أربعة من شقايقه الى جماعة من الامراء وعمل من ولائم وأفراح مدة طويلة أما ولداه مالك وتغلب فانهما بقيا مدة خمسة عشر عاماً ولم يرزقا أولاد من بنات الامير هلال المذكور وبعد نهاية المدة طلبت نساؤهما زيارة أهلها فطلب أزواجهما من أبيهما الجرو أن يأذن لهما بذلك فاذن لهما فساروا مع نساءهما الى تلك الاطراف ولما بلغ الامير هلال قدومهم خرج للتلقيهم مع ولده الامير مفلح مع زوجته اليمامة وخرجت أيضاً أكابر المدينة التقوم بالترحاب والإكرام وأرزلوهم في أحسن مكان وقاموا في تلك الاوطان مدة من الزمان وهم في سرور وفرح ولما صمما الامير مالك وتغلب على الرجوع الى الاوطان مات الامير مفلح مع أبيه الامير هلال فاقاما مكانهم يحكان في تلك الديار وانقادت لامرهما تلك البلاد وكانا محبوبان من جميع العباد وذهبت اليمامة الى أهلها فانفق ذات يوم أن الامير مالك قال لآخيه يا أخى أنه قد مضى علينا مدة من الزمان ولم يرزق بولد حتى يبقى لنا ذكر يذكر بين البشر فدعنا نتزوج الآن على نسانا فلعل الله يرزقنا أولاداً وألا يقطع نسلنا من بين العباد فقال تغلب من الصواب أن نصلى الى الله في هذه الليلة ونتضرع اليه أن يرزقنا أولاداً من نسانا فهو على كل شيء قدير فامثل أخوه لرأيه وصليا تلك الليلة بحرارة قلب وأشار تغلب يقول وعمر الساميين يطول :

يقول الفتى تغلب على ما جرى له	دمع جرى فوق الخردود نهود
أقول وى قلبى من البين لوعة	وبى حشرات على الفؤاد تشود
لفراق أبينا بين الجرو والوزير عمنا	عليهم قلبى والحشا مكسور
أيا رب يا رحمن يا سامع الدعا	عليك اتكلنا يا جابر المكسور
سألتك ربى بالخليل وابنه	بحق الذى اليه العبيد تزور
فيارب يا رحمن تجبر قلوبنا	بجاء موسى وعيسى الفاضل المشهور
بجاء داود مع يحيى مع الخضر	بالعرش والكبرى وبحر النور
ترزقنا ولدبن يجهيوا ذكرنا	أيا من ترزق كل وحش كسور

وكان الامير تغلب يشد هذه الايات وأخوه مالك يقول آمين يارب العالمين فاستجاب الله دعائهما ولم تمضى مدة يسيرة وبرهة قصيرة حتى حبلت النساء ولما تمت الايام ولدن في يوم واحد فولدت زوجة مالك بنتاً وزوجة تغلب ولداً فقامت في الحى الافراح

والمرات وكان الامير بنى الصيد والقنص فأرسلوا لها بعض العبيد يبشرها بذلك الخبر
وكان اسمه سرور فلما أقبل العبد اليها قال له علامك يا سرور أبشير أم نذير فقال أنى
بشير وأشار اليها بهذه الايات يقول

قال الداهى المسمى سرور يا سادى أتيتكم قاصد بشير
يا أمير مالك أذاك بنت كالقمر وجهها كالشمس والبدر المنير
وأنت يا أمير تغلب أذاك غلام يفرح القلب المتيم يا أمير
أتيت اليكم حالا بلا بطل فوق حمرا كأها طير يطير
أريد منكم يا كرام بشارتى اجبروا بالله قلبى الكسير

(قال الراوى) فلما سمعا كلام العبد فرحا فرحا شديدا وأعتقا العبد وأعطياه ألف
دينار ومائة رأس من المواشى وأقاما الفرح والسرور مدة شهرين كاملين وأرسلا حالا
يعلمان أباهما الجرو وعمهما الزير ويبشراهما بأن الله قد رزقهما بأولاد يحبو ذكرهما قد
سميا الغلام الاوس والبلت مى وتعاهد الاخين على زواجهما ببعضهما متى كبرا ولما بلغ
الجرو والمهلل ذلك الخبر فرحا فرحا شديدا وحدا الله ثم ركب الجرو فى جمع غفير من
الاكابر والاعيان والفرسان لزيارة أولاده لانه كان فى غاية الاشتياق لاجل مشاهدتهما
ولما اقترب من تلك الديار وبلغت الاخبار بقدمه إلى ولديه فخرجا لمستقاه بموكب عظيم
من الامراء والاعيان والطبول إلى أن دخل المدينة وعند وصوله سلما عليه ووقعا على
يديه يقبلانها فقبلهما بين عينيهما ثم سألا عن عمهما فقال أنه بخير وعافية وأنه ما زال فى
خياما وهو ملازم طعامه مع مدامه ثم سار إلى المدينة وكان ذلك اليوم أعظم يوم من
أيام الزينة ونزل الجرو فى القصر الكبير ووقف بخدمته الكبير والمأمور والامير وأقام
فى تلك الديار شهرين كوامل والمهنيين ترد عليه وهو يفرق العطايا على المساكين والارامل
والايتام وكان فى آخر هذه المدة مرض الامير تغلب مرضا شديدا أقام فى فراشه عشرة
أيام ومات فحزن عليه الجرو حزنا عظيما وعملوا عليه مناحة عظيمة حضرها الامراء والاعيان
والابطال والفرسان من سائر البلدان ودفنوه بكل إكرام ووقار ولما عزم الجرو على
الرجوع إلى بلاده استدعى ولده مالك اليه وأشار يقول

يقول الجرو من قلب حزين ودمعى قد جرى تحت العيون
كوانى البين فى أول زمانى بفرقة تغلب زادت عيوى
لقد كنا بخير مع سرور فجاء الدهر فينا فى البنين

فربي يحفظك مالك دواما إله فيه قد طابت طنوني
(قال الراوى) فلما فرغ الجرو من شعره ونظامه أوصاه بالرية وأن يكون عادلا في
حكمه وأن يزوج ابنته منى بأوس ابن أخيه وبعد ذلك ودعه وسار وجد في قطع القفار
إلى أن وصل إلى أطلاله واجتمع بأهله وعياله وأما الأمير مالك فانه اعتنى بتربية ابنته
وابن أخيه كما أوصاه أبيه حتى كبر وكار الأوس يركب ظهور الخيل ويتم الفروسية من
الفرسان واستمر كذلك مدة من الزمان وكانت ابنة عمه منى من أجل النساء وكان الأوس
يحبها محبة عظيمة ولا يطيق فراقها ليلا ولا ونهارا فلما شاع ذكرها في قبائل الأعراب
تواردت على أبيها الخطاب وكان قد سمعنا أن الصناديد بن الأكوع وكان ابن عم الملك تبع
فمشقها على السباع وكان من الملوك العظام فأرسل وزيره ليخطبها من أبيها فعند وصوله
طلبها لمولاه فقال والله نعم والصهر وبه أنال الفخر غير أنه لا يخفك أطل الله بقاءك بأن
لا يفتى بخلوه لابن عمها الأوس ونحن الآن مبشرين بأمر العرس فلا يمكن أن أنقض الكتاب
إلا هذا الذي يمنعني عن إجراء الأيجاب فقل الوزير أكتب لي الجواب نكتب له هذه الآيات

يقول الفتى مالك على ما جرى له	بدمع جرى فوق الحدود صدود
أيا غادينا منى على مين ضامر	تسابق لضرب المرفف المبرود
تهدى هداك الله خذلى رسالتى	وأعطيه مكتوبى تنال سعود
إذا جيت قدام الصنديد قل له	يأتى على طول الزمان ودود
ومنى ترى مخطوبة لابن عمها	ومعها ترنى والآنم شهود
فحاشا لمثل أن يخون أفاربه	وأفسح زمامى ثم أكون عنود
ترى الأوس روحى ومهجتى	وهو عندنا أحسن من المولود
فلو كنت أعطتها لغير ابن عمها	لكنت أنت اليوم أول بالمقصود

فأخذ الوزير الجواب ورجع إلى عند الصنديد وأعطاه إياه فلما فرغ وقف على حقيقة الحال
خرج عن دائرة الاعتدال فغير زيّه وتشكر وركب جواده وسار إلى تلك الديار وعند وصوله
إلى مضارب الأمير مالك لم يجد هناك ولم يكن في الحى إلا النساء والبنات فسأل بعض النساء
عن غياب الرجال قالت منهن من سار إلى القبائل ليعزموا الناس إلى العرس والفرح ومنهن
من ذهب مع الأمير مالك إلى الصيد ففرح وتقدم نحو الصيوان وأركز دمه ووقف على الباب
ونادى هيا يا أصحاب البيت فقد أناكم ضيف من أبعدمكان وكانت منى داخل الخبار وحدها
فأردت جوابا ولا أبنت خطا بالوما أبطأ الجواب وعرف أن الصيوان خاليا من الرجال أنشد
قال الفتى الغريب الذى شكى ولى قلب من بين الجوانح خائب

أتيت قاصداً مالكا في حاجة
يا أهل هذا البيت أين أميركم
يا ربة البيت الذي داخل الحى
ألا فاتخبروني يا بنات بحالكم
إذا كان أهل الحى غابوا جميعهم
فتقرى ضيفاً قد أتى من عربة
أكيد ما كل النساء تستر الفتى
فأما سمعت من شعره وفظامه وعرفت قصده ومراهه أخذتها الذيرة والمرودة لتستر
عرض أهلها من القيل والقال وأشارت تقول :

تقول فتاة الحى منى التى شكت
يا مرحبا بالضيف لما زارنا
أنزل مكالكم حتى أحضر لك الغدا
أنا بنت مالك راح للصيد والدى
أنزل الى أن يرجعوا رجالنا
فكم جاء الينا يا أمير مثالكم
نحن نحب الضيف إذا جاء محلنا
ألا فاستمع للقول يا نجاب
لك الخير والإكرام والترحاب
وتاكل من زاد لنا وشراب
مع ابن عدى الاوس والاحباب
ويأتوا ينحوا الحى بعد غياب
خلایق كثيرة ما لهن حساب
أنزل واجلس جانب الاطاب

فلما فرغت من كلامها قام الصنديد في حبا وغراها ستار الخيمة بستان ربحه فوجد
صبيبة بديعة الجلال فزاد به البلبال فصاحت عليه من خلف الستار تنظر الى بنات الملوك
يا حذار ثم ردت منديلها على وجهها وقالت له لا شك أنك قليل الحياة فإن كنت ضيفاً
كما تقول كى آتيك بالغذاء وإلا فما هذه الوقاحة ثم قالت لجاريته اطلعى افرشى له حتى
يجلس ويتغذى لبيها يأتى أبى من الصيد فخرجت اليه الجارية وسالته أن ينزل فى الصيوان
فقال لها أنا عيب على أن أنزل عند الحریم وأنا سيد عظيم لئلا أدعى بكاح وهذا من
أعظم القبايح وما أتيت إلى هذه الديار إلا لامر ضرورى جداً ثم أنشد وقال :

قال الفتى المدعو الامير فالح
ست لجوجا على الغدا يا منبى
لو ابن عمك مع جموعك فى الفلا
عيب على فى النزول فافنى
لئن الملوك لهم كلام مجاهم
لى عند أهلك حاجة ومصالح
لكن أتيت لقيت أبوك سارح
والحى خالى صاح فيه الصائح
بين الحریم أصير فاين كاح
ما يدعو الاسرار عند البائع

وكذا الحريم ليس تحفظ سرنا
دوى على خير فاني رايح
ودت عليه ثم قالت بالعجل
يا أمير انزل لاتكون مراح
انزل تغدى يافى من زادنا
ان كنت بن كرام قوم فالخ
بحيات رأسك لانزد ضيافى
اسمع كلامى ثم كون مساح
فانى أميرة وابن عمى مثله
فى جودة يا أمير بحر طافح

فلما سمع كلامها قل لها مادام الامم كذلك فاني لا أخالف مقالك فقالت للجارية
أن تأخذ له خبز وزد ولما أتته بالزاد صاح فيها فقالت ما علامك يا غانم فقال أكون
أمير وذكرى بين الناس أكل من يد جارية لا قدر لها ولا قيمة فعند ذلك وضعت على
رأسها الغطا وأخذت من الجارية صلية الطعام وقدمتها له فعند ذلك قبض عليها وغطاها
بعباءة ووضعها على الجواد خلفه وسار سربع فصاحت الجارية وضجت نساء الحى واقلبت
الافراح بالانراح وعلامتهم الضجيج والنواح وهو يجد فى قطع البطاح الى أن أسى المساء
فزل على بعض المدران وهو مسرور فاجلسها قربه وأراد أن يمارحها بالكلام فنفرت منه
وابتعدت عنه وصارت تشتتمه وتلعنه وتقول له يا خائب يا خائن ما الذى حملك على هذا
الفعل الفج وأنت تقول أنك عظيم وسيد كريم أيجسب أن كل الطيور يا كل لحما فسوف
تقدم على هذا العمل ويحل بك من ابن عمى الاوس البؤس والنقم فن تكون من قباقل
العربان يا ذليل يا مهان فاشار اليها بقول وعمر السامعين يطول :

قال الفنى الصنديد ابن الاكوع
انى أمير بالملوك مسمى
حولى من الفرسان كل محرب
منسوب من أب وخال وعا
فسمعت أنا فى حسنك وجمالك
والقلب فيك يا مليحة هما
أرسلت الى أيبك الوزير عناية
حتى يزوجك لى وينعما
فاجابنى بكلامه لا يعطينى
كلا ولو سقوه كاسا سما
فاغاضنى بكلامه لحضرت فى
ذلك اليوم وحدى وأيبك لا يعطيا
فاخذتك وبلغت كل ماربنى
واليوم أت مى بنت العما

فلما فرغ من كلامه ومى تسمع نظامه بك بكاء شديد وجعلت تصيح وتستغيث وتطلب
منه أطلق سبيلها اترجع الى الارطان فلم يسمع لها كلام وجعل يلاطفها ويقول لا بد من
أخذك الى أطلال وأنزوجك بالحلال وأعزم الامراء والسادات من جميع البلدان ليحضروا
الافراح لاني أتيت من بلاد بعيدة لاجل هذه الغاية الوحيدة وقد نلت مرادى وحصلت
عسلى مسرة فؤادى ثم أقام تلك الليلة فى ذلك المكان وهو مسرور فرحان ولما أصبح

الصباح وأضاء بنوره ولاح ركب الحصان وأردفها خلفه وصار يقطع البراري والقفار ويوصل سير الليل بسير النهار حتى وصل إلى الديار وهو بغاية الفرح والابتشار ولما سمعت أكابر قومه بقدمه ظافرا غانما اجتمعوا اليه وسلموا عليه وهنأوه بالسلامة وسالوه عن غفرته وما جرى له في غربته فقال أني عند وصولي تلك الاطلال مجمت على الفرسان والابطال ومددت أكرهم على بساط الرمال وفعلت فعلا تذكرك على طول الاجيال وقتلت الامير مالك وابن أخيه الاوس وأتيت إلى هنا بالعروس وقد نلت غاية مقصدي وعن قريب أباشر الافراح وأذبح الذبائح فلما سمعت منه هذا الكلام كان عليها أشد من ضرب الحسام فهضت على الاقدام وقالت أمام السادات والاعيان أيها الخائن القرنان لقد نطقت بالزور والبهتان فوحق الإله الديان الذي لا يشغلة شأن لو كان أبي مالك وابن عمي الاوس حاضرا لما بلغت مطلوبك ولا نلت مرغوبك ولا رجعت سالما لأوطانك ولا اجتمعت باملك ولكنك خطفتني بالاحتيال وهربت في الحال خوفا من أن تدركك الرجال ويحل بك الوبال فوحق علام الغيوب إنك ان تنال نبي المطلوب ولو قطعني أربا وجعلت لحي ما كلا لطير الساء ثم أن بعد هذا الكلام بككت بدمع سحام لا قد خفتها للعبات وتذكرت ليالي المسرات وأشارت تقول من فؤاد مبتول

تقول فتاه الحى مى العريسة	بدمع جرى فوق الخدود سجم
ألا يا جميع الناس بالله اسمعوا	ترى صديد كذاب لثم
يا حيف تكذب يا أمير أماننا	حاشا لثلك في الكلام بهيم
ترى الكذب لا ياتي بمثلك	ترى الكذب مصرعه وخسيم
فما أنت فارس خيل تكسب الثنا	ولا أنت من نسل الكرام كريم
وما أنت بمن ينقلون إلى اتقنا	ولا أنت بمن يعرف التكريم
أتيت إلينا تطلب الزاد حيلة	أنيك وعاء الغدر منك عظيم
وكان أبي مع ابن عمي لصيدم	ولا كان إنسانا في الحى مقيم
غريمك بن الجرو من قيس أصله	شجع في الحرب وأنت غريب
وابن الاوس قوم صميدع	أمير ابن أمير للعداء خصيم
الاوس بن عمي فارس الوغى	والله لقولى يا رجال علم
فلا بد ما ياتيك يا باخس الردى	سريعا وتضحى للعداء عديم
فكونوا يا قوم وأنتم على حذر	ولا يكون أحد منكم غشيم
فسوف تانيكم أهلى على عمل	وتبقى منكم كل قرم عظيم

(قال الراوى) فلما فرغت من شعرها ونظامها وسمع الحاضرون فحوى كلامها خافوا منه العواقب وعلوموا بان كلام الصنديد ليس له صحة ولا موة على أقماره وصاروا يخوفوه من الاوس وقتاله أما الصنديد فانه اغتاض ونهض ولطمها على وجهها وقال هكذا تسكلمين يا بنت اللثام أمام السادة الكرام ثم سل سيفه من غمده وهجم عليها قاصدا قتلها فمعد ذلك وثب الوزير وباقي الامراء بالعجل ودروه وقالوا له أنت أمين وسيدو تجمل عقلك مثل اللسان وتبقى معير عند قبائل العرب ان فاذا تقول عنك الملوك إذا سمعت بذلك وما زالوا يتوسلون اليه حتى لان وكان عنده سيجان قلبه أقى من الصوان فاستدعاه اليه فحضر وا وكان من صمر أن بن الازم وكأه الشيطان بصفة إنسان لا يعرف الحلال من الحرام ولا يراعى حرمة فقال لهخذ هذه الملعونة إلى بيتك وسلمها لزوجتك لتعيد بها بالحديد وتعذبها وتلبسها ثياب الشعر وتضربها خمسة مرات فى الهار وأطعمها خمسة أرغفة من الشعير فقال يا مولاي أن هذه الصبية لا يمكنها احتمال العذاب وربما تموت فقال إن ماتت نعمت عليك وإن رأيتها لانت ونذمت وشتمت أهلها وذكرتنى بالخير فاحضرها العندى حتى تقبل يدي فاخذها العبد إلى بيته وسلمها لزوجته وأعلمها بواقعة الحال فلما رأت حسنها وجمالها وأدبها شفقت عليها وقالت لبعليها إن هذه الصبية لا تستحق الضرب والانتقام ولا تستاهل غير الاعزاز والاكرام فانها كالبدو فقال لها وقد لان قلبه من كلام زوجته وكيف العمل وما نحن إلا عبيد الملك فعند ذلك قامت ونزعت عنها ثياب الحرير ولبستها ثوبا من شعر الخنزير وأرادت ضربها بالسوط على قدميها فرفعت على رجليها وجعلت تسكى وتتوسل اليها وتثنى عليها وأنشدت تقول

بالله أن ترى إلى أحوالى	فالدهر فوق صحبتى وعيالى
يا وحيدتى يا ذلتى يا غربتى	قد صرت بعد العز بالاذلال
قد كنت فى جاه وعز ورفعة	والله ربي عالم الاحوال
فتربنى هذا الهار بحالى	فلعل الله يستجيب فى الحال
وبعيدنى بعد النساء إلى الوطن	وأرى جميع الامل والاخوان
إنى كريمة من أكابر معشر	فاقوا الورى بالجاه والافضال
ولهم وقائع فى البلاد جميعها	بين الملوك وزمرة الابطال

(قال الراوى) فلما فرغت من شعرها ونظامها رقت قلبها عليه وقالت طيبى نفسا وقرى عينا فاق بها صنع معروف لوجه الله تعالى ثم أنها جمات بجلد جاموس يابس فصلته لها ثوبا والبستها

أياه من تحت الثياب وقالت إن ضربتك فلا تشعرين بالمرض وما قصدى إلا أن
يسمع الملك الضرب وأنت من الألم تستغيثين وأقدم لك جميع ما تحتاجين ومتى دخل
الليل تنسلخين من الثوب الجلدة سترقدين براحة إلا أن يأتي الله بالفرج فشكرتها ودعت
لها بالخير ووعدتها بالجمل هذا ما كان من مي وما جرى لها وأما ما كان من أبيها فإنه
عند رجوعه من الصيد سمع الصياح والبكاء فسأل عن ذلك فاخبرته زوجته بأقعة الحال
فغاب من شدة غيظه عن الصواب وأما الأوس بن عم الصبية فإنه غشى عليه لأنه يحبها
حبا ولما أذوق من غشيتها فصار عمه يلاطفه بالكلام ويقول له طيب قلبا فما يصلح الحزن
إلا للنساء فاصبر لبيما ترسل من يكشف لنا خبر ذلك الرجل وبعد ذلك نسبر إلى دياره
فتخربها ونسي حريمه وعياله فقال الأوس ومن يذهب غيري فوالله لا سرت إلا وحدي
ولا أريد رفيقا سوى رب العالمين ثم نهض واعتد بعدة جلاء وركب ظهر جواده وودعهم
وسار في قطع القمار ودموعه تجري على خديه كالأنهار وهو لا يدري إلى أين يذهب
والى أي قبيلة يقصد من قبائل العرب لي أن وصل إلى واد عميق ضيق الطريق كثير الأشجار
والوحوش فبينما هو يتألم في ذلك المكان وإذا قد ظهر عليه أحد الفرسان وهو بالسلاح
والفرسية عليه علامة فلما رأى الأوس انفراده وحده لم إليه وقصده ثم قال له انزل
يا جبان عن ظهر الحصان وإخلع ما عليك من الثياب وفر بنفسك في هذه المضارب قبل
أن أسقيك كأس العطب أنا جمر بن عمرو فارس العرب فلما سمع الأوس كلامه صار
الضيا في وجهه ظلام وهجم عليه في الحال وصدمه صدمة تزعزع الجبال فالتقاء جمر
أيضا والنحما في ساحة المجال واشتد بينهما القتال ساعة وهما في ضرب وطمعان تقشعر منه
الابدان فاختلف بينهما ضربتين فالتفتين وكان الساق الأوس تغلب فجاءت في صدره
خرجت تلمع من ظهره فوق قتيلا وفي دمه جدلا فاخذ عدته وجواده ثم سار وهو
يقطع البراري والففار والسهول والاعوار ولما اشتد عليه الحال أنشد وقال

يقول الأوس المفارق في حبيبته دمي جرى من فوق خدي قناة
فيران قلبي اشتعلت في ضمائري يهب لها بين الضلوع لظاء
يا ليت من كان السبب بفرافنا يطعن بحربة في صميم حشاه
يا رب فاهديني علما عاجلا ليحول من قلبي العنا وشقاء

ثم أنه جد في السير وهو يقطع البراري والآكام مدة خمسة أيام واتفق في اليوم
للخامس أنه التقى بفارس وهو يجد وقطع القفار فتقدم إليه وسلم عليه وقال له إلى أين أنت
سائر إلى من تنسب من القبائل والعشائر قال أني من بني عبس وعدنان أصحاب الفضل

الاحسان انى سائر الى ديار بنى عامر لاستدعى حامينا عنتر فارس الخيل لانه سار من
١٠ أيام ايحضر وليمة دعا اليها عامر بن الطفيل وفي غيبته غزانا عمرو بن معد في خمسة
آلاف فارس فحاربنا محاربة شديدة وجرى بيننا وبينه وقائع شديدة فارسلني مولاي
قيس بن زهير لاستدعيه للحضور قبل أن يظفر بنا عمر المذكور فقال الاوس وقد تعجب
من هذا عنتر بن شداد فارس الصدام الذي اشتهر ذكره في هذه الايام بطعن الرمح وضرب
الحسام وفهر الجبابرة وحارب الملوك الاكاسرة وافتخر على الابطال والفرسان في
ساحة الميدان فلما سمع الاوس الخبر تحير وانهر ثم ودعه وجد في البر الاقفر وما زال
يقطع البراري والآكام مدة سبعة أيام حتى رأى جماعة من العبيد ترعى الاغنام فحياهم
بالسلام وأخذ يسألهم بهذا الشعر والنظام :

يقول الفتى المضنى الفائض ما به	فدمعى جرى فوق للحدود سايح
ألا يا عبيد الخير بالله اشفعوا	لصب بعيد الدار ولهان نازح
فجميع وجميع مستهام ملوغ	تركة البين مضى كثير الجوايح
لقد ضاع لي حرة عنيقة عن الخنا	فهل من يبشرني بها يافوالخ
ويخبرني لاي بلاد توجهت	من أجلها ناري تزيد اللفاح
لقد أحرقت قلبي ولي مهجتي	وكل عظامي أو ثقتهم جراح

فلما فرغ من كلامه تقدم اليه كبير الرعيان وكان اسمه مرجان وقال اعلم غلام أنه من
برهة عشرة ايام سبي أميرنا الصنديد ابنة اسمها مى لا يوجد أجمل منها فاراد أن يتزوجها
فامتنت عنه ولم تميل اليه فقيدها بقيود من حديد وكل يوم يعذبها العذاب الشديد فعسى
أن تكون هذه الابنة التي ذكرتها لنا في نظملك فرج الله عنك همك فلما سمع الاوس هذا
الكلام أيقن ببلوغ المرام ونزل على الحصان وقبل العمدمرجان وأوعده بالجميل والاحسان
فبينما هم في الحديث والكلام واذا بسعد بن أخت الصنديد قد أقبل في ذلك الوقت ليفتقد
المراعى فنظر الاوس فاستغفر به وسال عنه بعض العبيد فقال هذا ابن عم الصبية التي
عند خالك الصنديد قد جاء ليكشف أخبارها ويرجع بها الى ديارها فلما سمع هذا الكلام
رجع الى خاله وأعلمه بما شاهد وما سمع وأشار اليه يقول

قال سعد قد أتيتك عارا	يا خال منى فاسمع الاخبارا
البنت التي غربتها عن أهلها	من خلفها فارس أناك جهارا
يا خال فارس في الله مجرب	وعيونك يا خال تصدح نارا
ان كان وافك لك أوقات الصفا	فيصفوها ناتي لك الاكدادا
قد جاء الى عند العبيد يسال	أتبوه كالكاسد هدارا

لما سمعت أتيت نحوك بالعجل هذا الذى يا خال تم وصار
(قال الراوى) فلما فرغ سعد من كلامه قال له الصنديد فارس واحد قال نعم أبها السيد
الماجد فشمه خاله وقال له ما قدرت أن تقتله حتى أنبنى هذا الخبر فمن يكون هذا القران الذى
أتى إلى هذا المكان فارجع وخذ روحه من بين جنبيه فإنه لا يلىق أن أركب اقتال صعلوك
من صعاليك العرب فخرج سعد من عند خاله وقصد الاوس فلما اجتمع به صاح فيه وحمل عليه
فالتقاء كالسيد وضر به بالحسام المندفأ لقاء على الأرض قتيلًا فاخذ سلبه وثيابه ولما أبلغ
سحاله الخبر طار من عينيه الشرار فركب ظهر جواده واعتد بعده جلاله وقصد الاوس
حتى التقى به فوجده شابًا لائبات عرضيه فآشار اليه يقول

يقول الامير صنديد كلاما أنا البطل الهام بلا توائ
أنا صنديد عزمى مثل اسمى شديد الباس فى يوم الطمان
فاجابه الاوس بهذه الايات

أنا فارس على كل الفوارس وذكرى شاع فى قاص ودان
أيا صنديد لا تشكر بنفسك فسوف ترون ضرابى مع طعانى

فلما فرغ الاوس من الكلام انطبق على الصنديد كأنه الليث وأخذ معه فى القتال والصدام ولم
تكن الاساعة حتى اتخنه بالجراح فولى وطلب لنفسه الحرب خروفا من حلول العطب فقبضه
الاوس مثل السرحان حتى وصل إلى الصيوان احتمى عند النسوان وكانت قومه تبغضه
وتكرهه لانه كان زنديقا شريرا وكانت تتمنى هلاكه ولا تعلونه فى أمر مهما كان فلما
دخل على الحريم قالت له زوجته سعد أعلامك داخل الينا مرعوب قل كل هذا لاجل الابنة
التي اختطفها وما فلت المرعوب فقالت تستحق أكثر من ذلك ثم وبختة وقالت له تدعى
الفروسية وتهرب من ولد أمرد هذا والاوس بصيح عليه ويقول أخرج يا لئيم من بين
الحريم حتى أريك كيف القتال وأجازيك على تلك الفعالم يا غدار يا محتال فخاف الصنديد
وقال لزوجته سعدا أعطيه إنة عمه وأكفيا شره فخرجت زوجته ووقعت لايه وطلبت
عنه العفو والسماح عما جرى وكان فاجابها إلى ذلك الشأن وأعظام الامان فجاؤا اليه بآنة
عمه منى بعد أن البسوها الثياب الفاخرة وذبحوا الذبائح وقدموا لها الاطعمة ولما اجتمع
بها زال عن قلبه الكدرو من كثرة فرحه أخذ يسكب العبرات وهكذا فعلت وفى وكان ذلك
اليوم عندها كيوم العيد لاجماعتها (قال الراوى) فباناهذه لآيلة فى الحالة وعند الصباح أركب
حتى فى هودج وسار مع جماعة من العبيد وتوجه قاصدا دياره ولما أقرب من بلاده أرسل

يُشَرِّعُهُ مَالِكٌ بِقُدُومِهِ وَشَاعَ الْخَبْرُ فِي الْحَيِّ فَخَرَجَتْ النِّسَاءُ وَالْبَنَاتُ وَأَكْبَرُ السَّادَاتِ
لِلْمُتَقَامِ وَلَمَّا اجْتَمَعُوا بِهِ رَسَلُوا عَلَى بَعْضِهِمْ وَشَكَرُوا لِمِيرِ مَالِكِ ابْنِ أَخِيهِ عَلَى فِئْلِهِ عِنْدَ رُصُولِهِ
إِلَى الْحِيَامِ حَدَّثَهُمُ الْاَوْسُ بِمَا جَرَى فَتَعَجَّبُوا مِنْ فِئْلِهِ ثُمَّ حَدَّثَهُمْ بِحَدِيثِ عَتْرِ وَمَا سَمِعَ عَنْهُ
فَقَالَ عَمُّهُ لَقَدْ سَمِعْنَا بِذِكْرِهِ وَأَنَّهُ أَفْرَسُ فَرَسَانِ عَصْرِهِ وَبَعْدَ ذَلِكَ دَارَتْ فِي الْقَبِيلَةِ الْاَفْرَاحُ
وَزَفُّوا الْاَوْسَ عَلَى ابْنَتِهِ عَمُّهُ فَكَانَتْ لَيْلَةً مِنْ أَعْظَمِ اللَّيَالِي حَضَرَهَا جَمْعٌ كَبِيرٌ مِنَ الْاَسْرَاءِ
وَالسَّادَاتِ وَفَرِحَ الْاَوْسُ بِعَرُوسِهِ وَنَالَ مِنْهَا الْقُصْدَ وَالْأَمَلَ وَحَظِيَ مِنْهَا بِذَلِكَ الْحَسَنِ وَعَاشَرَ
مَعَهَا بِأَرْغَدٍ عَيْشٍ وَأَحْسَنِ حَالٍ وَبَعْدَ ذَلِكَ وَضَعَتْ غُلَامًا سَمَّاهُ مَالِكٌ وَلَهُ حَدِيثٌ طَوِيلٌ فَانْفَقَ
بَعْدَ عَشْرَةِ أَيَّامٍ أَنَّ عَمَّ الْاَوْسِ مَرَضٌ مَرَضًا شَدِيدًا وَمَاتَ فَحُزِنَ عَلَيْهِ وَبَكَى عَلَيْهِ الْجَمِيعُ
لَأَنَّهُ كَانَ مَحْبُوبًا مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ وَأَرْسَلَ الْاَوْسُ وَأَعْلَمَ جَدَّهُ بِذَلِكَ الْخَبْرَ فَحُزِنَ وَتَكَدَّرَ فَقَالَتْ
لَهُ أُخْتُهُ الْبَيْمَامَةُ أَرْسَلِ يَا أَخِي وَأَحْضِرْ ابْنَ ابْنِكَ الْاَوْسَ لِيَرْجِعَ إِلَى أَهْلِهِ وَيَجْتَمِعَ شَمْلُنَا
فَيُشْمَلُهُ فَأَجَابَهَا إِلَى ذَلِكَ وَفِي الْحَالِ أَرْسَلَ رَجُلًا مِنْ بَنِي عَمِّهِ لِيَحْكُمَ مَكَانَهُ فَجَاءَ الْاَوْسُ مَعَ
أَهْلِهِ وَسَكَنَ عِنْدَ الْجُرُوجِ وَجَدَهُ وَرَاقَ لَهُمَا الزَّوَانُ وَعَاشَا فِي عِزٍّ وَأَمَانٍ (قُلِ الرَّاَوِي) هَذَا مَا كَانَ
مِنْ هَؤُلَاءِ وَأَمَّا مَا كَانَ مِنَ الْبَطْلِ الْهَامِ وَالْيَيْثِ الْضَرْغَامِ صَاحِبِ الذِّكْرِ الصَّهْبَرِ الْمَهْلِلِ الْمَدْعُورِ
بِاسْمِ الزَّيْرِ فَإِنَّهُ كَانَ قَدْ أَحْنَاهُ الْكُرُّ لَمَّا عَلَيْهِ مِنَ السَّنِينَ وَقَدْ ضَعُفَتْ قَوَاهُ وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ
مُوَاطِبٌ عَلَى أَكْلِ الطَّعَامِ وَشَرَبِ الْمُدَامِ وَكَانَ لَا يَنَامُ إِلَّا وَهُوَ لَا يَسُ عِدَّةُ الْحَرْبِ وَمَا زَالَهُ
عَلَى نَظَرِ الْحَالِ حَتَّى رَزَلَهُ أَسْنَانُ جَدِّهِ وَكَانَتْ بَنَاتُ أَخِيهِ تَحْدُوهُ وَتَدَادِيهِ فَاجْتَمَعَ يَوْمًا
بِالْجُرُوجِ وَقَالَ لَهُ يَا ابْنَ أَخِي قَدْ ضَاعَتْ أَخْلَاقِي مِنَ الْوَحْدَةِ وَالْاِنْفِرَادِ فَأُرِيدُ مِنْكَ أَنْ تَرْسَلَنِي مَعَ
بَعْضِ الْاَتْبَاعِ لِلتَّنَزُّهِ فِي الْبِلَادِ فَأَجَابَهُ إِلَى مَا طَلَبَ وَأَرْكَبَهُ هُوْدُجًا عَلَى ظَهْرِ جَمَلٍ وَأَعْطَاهُ عَبْدَانِ
لِلخِدْمَةِ وَجَمِيعَ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ لَوَازِمِ السَّفَرِ فَوَدَّعَهُ الْمَهْلِلُ وَسَارَ وَمَا زَالَ يَجُولُ مِنْ مَكَانٍ
إِلَى مَكَانٍ حَتَّى اقْتَرَبَ مِنْ بِلَادِ الصَّعِيدِ وَكَانَ الْعَبْدَانِ قَدْ تَعَبَا مِنْ مَشَقَّةِ الطَّرِيقِ وَهَمَّايَا قِيَامًا مِنْ
التَّعَبِ أَشَدِّ الضِّيقِ فَصَمَّمَا عَلَى قَتْلِهِ وَإِعْدَامِهِ وَيَقُولُونَ لِأَهْلِهِ قَدْ أَدْرَكْتَهُ الْمَنِيَّةُ فَمَرَفَ الزَّيْرُ
قَصْدَهُمَا فَقَدْ دَنَا حَامِي وَابْسَرَا الْقَبْرَ أَمَامِي فَإِذَا أَدْرَكْتَنِي مَنَاتِي أُرِيدُ مِنْكُمْ أَنْ تَبْلُغُوا أَهْلِي
وَصَبَّتِي قَالَ مَا هِيَ فَعَاوَدَهُمَا عَلَى حِفْظِهَا وَتَأْذِينِهَا فَحَلَفَا لَهُ بِأَعْظَمِ الْاَقْسَامِ بِتَبْلِيغِهَا بِالْكَامِلِ
وَالنَّهَامِ فَقَالَ إِذَا وَصَلْتُمْ إِلَى الْحَيِّ فَأَقْرِبَا أَهْلِي مِنِّي لِلسَّلَامِ وَأَنْشُدُوهُمْ هَذَا الْبَيْتَ وَقُولَا لَهُمْ
لَئِنِّي فِي الْقَبْرِ قَدْ اخْتَلَيْتُ

مَنْ مَبْلَغُ الْاَقْوَامِ أَنْ مَهْلِلًا اللَّهُ دَرَكًا وَدَرِ أَيْسًا
وَكُرَّهَ عَلَيْهِمَا حِفْظَهُمَا وَلَمَّا مَخَلَ اللَّيْلُ ذُبْحَاهُ وَدَنَاءَهُ تَحْتَ التَّرَابِ وَرَجَعَا إِلَى دِيَارِهِمَا
وَوَدَّعَا عَلَى سَيْدِهِمَا الْجُرُوجِ وَأَعْلَمَاهُ بِمَوْتِ عَمِّهِ الزَّيْرِ فَبَكَى بِكَاءٍ شَدِيدًا هُوَ وَمَنْ حَضَرَ مِنْهُمْ

كان العبدان اقتربا من الجرو وأنشداه البيت المذكور

من مبلغ الاقوام أن مهمل الله دركا ودر أيبكا
فلما سمع الجرو هذا الشعر به حيث لا معنى له فاستدعى بأخته اليمامة وكانت من أركى
أسماء العرب وأعلمها بموت عمها وأنشدها ما ذاك البيت فلطمت على وجهها وبكت وقالت
أن عني لا يقول أبيات ناقصة بل أراد أن يقول

من مبلغ الاقوام أن مهمل الله أضحي قتيلا في الفلاة بجندلا
الله دركا ودر أيبكا لا يبرح العبدان حتى يقتلا
ثم أهما قبضا على العبدان وألقوهما تحت العذاب والضرب إلى أن أفرا بأنهما قتلاه
ودفناه فقتلهما الجرو وهكذا انتهت حياة الزير وقد أخذ تاره في حياته وبعد مماته قال
بعد وفاة الزير وضمت امرأة الأوس غلاما فسماه عامر وعندما بلغ سن الرجولية تزوج
بامرأة من أشرف العرب فولدت له غلاما في نفس الليلة التي مات فيها الجرو وقد عاد
هلال وهو جد بني هلال ولما كبر الأمير هلال تزوج بامرأة ذات حسن وجمال فولدت له
غلاما دعاه المذر واتفق أن هلال زار مكة في بعض السنين بأربعائة فارس وكان وقتئذ
ظهور النبي المختار وعند وصوله ضرب الخيام وطاف برجاله حول البيت الحرام وتشرف
بمقابلة النبي ﷺ وقبله بين عينيه وصار له من جملة الاحباب والاعوان فأمره النبي ﷺ
أن ينزل في وادي العباس وكان النبي في تلك الأيام يحارب بعض المشائير فعاونوه الامير
هلال وأمدوه بالعسكر وقاتل معه في ذلك الهار وكانت فاطمة الزهراء راكبة في هودجها
فلما رأت هول القناعة ومصارعة الابطال زجرت جنهما لتخرج لمشاهدة الرجال فشرده
بها في تلك البراري وكان السبب بالبلاء والشتاء فقال لها أبوها ادعى لهم بالانصار
فانهم بني هلال الاخيار وهم لنا من جملة الاحباب والانصار ففدنت فيهم دعوتها
بالتثبيت والنصر على طول الدهر .

تم الكتاب بعون الملك الوهاب

Bibliotheca Alexandrina



0622644